

## الفصل الثاني

### العرض النسقى

أولاً: العرض النسقى المنطقى (ابن سينا أبو البركات)

١ - الموسوعات الثلاث (ابن سينا). العرض هو تأليف فى الواقد الذى تبلغ ذروته عند ابن سينا فى نسق منطقى وعند إخوان الصفا فى نسق شعبى، استمرارا للعرض الجزئى خاصة عند الكندى والرازى، والعرض الكلى عند الفارابى.

وهو عرض لأقسام الحكمة الثلاثة المنطق والطبيعيات والالهيات عند ابن سينا فى موسوعتى الشفاء والنجاة أو الأربعة عند إخوان الصفا باضافة جزء رابع فى العلوم الالهية الناموسية والشرعية أو عند ابن سينا فى "الاشارات والتبهيئات" بزيادة جزء عن المقامات والأحوال.

والتأليف فى الواقد له عدة أشكال: تمثل الكندى الى عرض الفارابى الى تنظير ابن سينا الى تطهير ابن رشد وتصحيحه. تمثل الكندى وحسن فهمه للواقد مقدمة لبداية عرض الفارابى له بوضوح. الكندى أخذ والفارابى أعطى. الكندى فهم والفارابى عبر. وكان من السهل على ابن سينا بعد ذلك أن ينظر الحكمة كلها ويجد لها بنية ثابتة مازالت حتى الآن عبر التاريخ سواء فى تاريخ الفلسفة الاسلامية أو فى تاريخ الفلسفة الغربية فى العصر الوسيط. أما ابن رشد فعاد الى الأصول الأولى يعيد فهمها بعيدا عن خلط المتفلسفين، مسلمين ومسيحيين بين أرسطو وأفلاطون، بين الفلسفة والتصوف كما هو الحال فى الفلسفة الاشراقية فابن رشد هنا عقلى سلفى ظاهرى أصولى.

بعدهما فتت الفارابى الآخر، وأدخل الواقد فى الموروث ركب ابن سينا الآخر وجعله هو العلم والنسق<sup>(١)</sup>. الفارابى صاحب فهم وابن سينا صاحب موضوع أو مذهب<sup>(٢)</sup>. الفارابى تحليلى وابن سينا تركيبى. الفارابى معلم وشيخ وابن سينا تلميذ ومريد، الفارابى عبقرى وابن سينا ماهر<sup>(٣)</sup>. الفارابى عالم وابن سينا متعالم<sup>(٤)</sup>. وفى ذلك العصر لم يكن هناك تمييز بين

(١) وهذا ما حاوله أيضا هيجل فى الفلسفة الغربية الحديثة فى اتسكولوبديا العلوم الفلسفية صراحة وفى "ظاهريات الروح" وفى "علم المنطق" ضمنا.

(٢) وبلغة شعبية يمكن القول إن الفارابى هو الصياد وابن سينا هو الطاهى.

(٣) هذا هو التمييز المعروف بين Talent، Genie.

(٤) هذا هو التمييز المعروف بين Erudit، Savant.

العلم والمعلومات. فكل معلومات علم، وكل علم معلومات نظرا لأن مهمة الحكماء كانت احتواء الوافد داخل الموروث وإنشاء فكر عضوي إبداعي جديد<sup>(١)</sup>.

وبالرغم من إمكانية إدخال الموسوعات الثلاث في التأليف أيضا ومعرفة مكوناتها، الوافد والموروث وآليات الإبداع إلا أنها نوع أدبي خاص لأنها عرض نسقي ومن ثم استقلت عن التأليف الذي يغلب عليه نوع الرسائل القصيرة في موضوعات متفرقة. ولا تدخل في العرض الجزئي أو الكلي لأنها لا تحمل عناوين الوافد كما يفعل الفارابي في "أجزاء فلسفة أرسطوطاليس" أو "أجزاء فلسفة أفلاطون" أو "الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون الإلهي وأرسطوطاليس الحكيم" أو "تحقيق غرض أرسطو في كتاب ما بعد الطبيعة"... الخ.

وقد درس ابن سينا نفس موضوعات الشفاء في رسائل مستقلة هي أدخل في التأليف لأنها لا تمثل عرضا نسقيا لعلم الحكمة. له رسائل في المنطق صغيرة ورسالة واحدة طويلة. كما كتب عن الشعر في المجموع أو الحكمة العروضية. وله رسائل في الطبيعيات والالهيات أدخل في التأليف منها في العرض. وله "منطق المشرقيين" في المنطق و"عيون الحكمة" في الطبيعيات. يمكن إلحاقها بالعرض النسقي أو بالتأليف.

ويذكر ابن سينا في آخر "البرهان" أنه فرغ من الطبيعيات والالهيات خلا كتابي الحيوان والنبات في عشرين يوما من غير رجوع إلى كتاب وهذا هو أحدها في التأليف، الاعتماد على النظر والاجتهاد دون رجوع إلى المصادر<sup>(٢)</sup>.

تمثل موسوعات ابن سينا الثلاث: الشفاء، والنجاة، والإشارات والتبهيئات التحول من العرض الجزئي عند الكندي أو الكلي عند الفارابي إلى العرض الكلي النسقي عند ابن سينا وإخوان الصفا.

وتدل أسماء موسوعات ابن سينا الثلاث على الغرض غير المعلن، وتكشف عن المسكوت عنه. فلفظ "الشفاء" من لغة الطب، الشفاء من الأمراض، ولكنه يعني في الفلسفة شفاء النفس بعلم الحكمة كما أن الطب هو شفاء الجسد بالدواء. وقد يعني اللفظ معنى أعمق وهو نهاية التعلم من الوافد وتكرار الموروث، وبداية التحول من النقل إلى الإبداع. كما يعني لفظ "النجاة" الانتقال من الطب بمعنى نجاة البدن من الموت إلى الدين، نجاة النفس من الهلاك وانقاذها بعد الموت ونيلها الخلود. ولكنه قد يعني معنى أعمق وهو التحول من القديم إلى

(١) كان ابن سينا يقرأ بنفسه. فإذا ما استغلق عليه الأمر لجأ إلى الفارابي أو إبتهل ودعا حتى أن كثيرا من المسائل ظهرت له في المنام، فابن سينا يعيش فكره ووافده مجرد حافظ أو ناقل.

(٢) الشفاء، البرهان ص ٥٤.

الجديد، من التقابل بين الواقد والموروث الى استعمالها معا كأداة للحكمة. فإذا كان الواقد أقرب الى علوم الوسائل والموروث أقرب الى علوم الغايات فان كليهما قد أصبحا عند ابن سينا علوما للوسائل من أجل تأليف مستقل هو علوم الغايات تحولا من النقل، من الأوائل وأمن الأواخر الى الإبداع حتى ولو كان فى صيغة عرض نسقى. أما لفظا "الإشارات والتبهيئات" فهما لفظان صوفيان يكشفان عن تحول النسق العقلى المنطقى المجرد الى إبداع ذوقى صوفى خالص، وأن الواقد والموروث كليهما لهما مصدر واحد فى القلب بالاضافة الى مصدرهما فى التاريخ.

فإذا كان الكندى والفارابى قد حولوا علم الكلام الى الفلسفة فان ابن سينا قد حول الفلسفة الى تصوف والتصوف الى فلسفة كما حول ابن رشد أصول الفقه الى فلسفة، والقاضى الى حكيم. ومن ثم تصبح الفلسفة هى الوعاء الذى تصب فيه العلوم العقلية النقلية الأربعة.

وتشبه الموسوعات الثلاث لابن سينا "الشفاء" و"النجاة" و"الإشارات والتبهيئات" شروح ابن رشد الثلاثة: الأكبر والأوسط والأصغر، من حيث الكم. انما الخلاف بينهما فى العرض والشرح. فابن سينا يعرض مضمون الواقد وهو نوع من التأليف فى حين أن ابن رشد يشرح نص الواقد. وقد يقال أن الأوسط يعادل "الإشارات والتبهيئات" فى حين أن الأصغر يعادل "النجاة" من حيث الكم. والحقيقة أن النجاة مجرد تلخيص للشفاء فى حين أن الإشارات والتبهيئات اتجه نحو الموضوع مباشرة مثل الجوامع.

والصلة بين الموسوعات الثلاث "الشفاء" و"النجاة" و"الإشارات والتبهيئات" ليست فقط صلة كمية مثل شروح ابن رشد الثلاثة الأكبر والأوسط والأصغر بل هى علاقة كيفية تدل على التحول من النقل الى الإبداع. "الشفاء" أقرب الى النقل نظرا لظهور الواقد فيه، و"النجاة" أبعد عن النقل وأقرب الى الإبداع نظرا لاختفاء أسماء أعلام الواقد فيه<sup>(١)</sup>. فى حين أن "الإشارات والتبهيئات" أقرب الى الإبداع لأنها تتبع من الداخل أكثر من صدورها من الخارج. تعتمد على الذوق أكثر مما تعتمد على النظر<sup>(٢)</sup>. وكان ابن سينا على وعى بعلمية التحول من النقل الى الإبداع على ما يبدو من سيرته الذاتية. فالعلم واحد ولكن الخلاف فى المنهج، الحفظ والنقل أم التنظير والإبداع<sup>(٣)</sup>. لذلك كانت "الإشارات والتبهيئات" أقل الموسوعات الثلاث

(١) يعترف ابن سينا أنه اعتمد على بعض التقاسير وأن البعض الآخر لم يصل اليه، الشفاء، القياس ص ٤٩٥.

(٢) ابن سينا من أسرة اسماعيلية لها عناية خاصة بالبحث الطبى. استجاب أبوه لداعى المصريين واستمع منهم النفس والعقل والفلسفة والهيئة واستأذنه عبد الله الناتالى ودرس الفقه على يد اسماعيل الزاهد وعرف طرق السؤال والجواب والاعتراض.

(٣) سأله تلميذه الم يشرح له كتب أرسطو ولكن ابن سينا اعتذر عن ذلك بضيق الوقت وأنه لا فراغ له لأن شرح الآخرين يأتى فى المرتبة الثانية بعد إيداع الأنا ولكنه فضل تصنيف كتاب يضم ما وضع لديه من هذه -

تجريدا وأقربها إلى الموروث وإفصاحا عن الأشراق. أسلوبها إشارات وتببيهاات وحكايات مما يجعلها أقرب إلى الأدب الفلسفي. يخاطب ابن سينا القارئ حتى يكون قريبا منه. مصطلحاتها موروثية خاصة في الجزء الرابع عن المقامات والأحوال.

ويتضمن العرض النسقي المنطقي أو الشعبي مكونات النص الثلاثة كما هو الحال في الشرح، التفسير والتلخيص والجوامع: الواقد والموروث وآليات الإبداع في الجمع بينهما في نوع أدبي جديد هو العرض. العرض هو إعادة كتابة الواقد بعد أن امتزج عضويا بالموروث، وأصبح الموروث هو عاؤه وصورته. وقد مهد لذلك الكندي والرازي والفارابي. ونتيجة لهذا المزج العضوي الجاد أصبح ظهور الواقد قليلا باستثناء البنية والموضوع، كما أصبح حضور الموروث غير مباشر باستثناء اللغة العربية. وتظهر آليات الإبداع المكون الثالث للنص بوضوح أكثر<sup>(١)</sup>.

وفي العرض تغيب أفعال القول الموجودة في الشرح والتلخيص والجوامع لأن العرض لا يبدأ باللفظ كالتفسير أو بالمعنى كالتلخيص أو بالشئ ذاته كالجوامع بل يعني الموضوع ذاته كتصور كلي شامل. ومن ثم فإن إطلاق الحكم بأن الفلسفة الإسلامية مجرد شرح وتلخيص للفلسفة اليونانية لا ينطبق في الظاهر إلا على نوع أدبي واحد هو الشرح وليس على كل الأنواع الأدبية الأخرى مثل العرض بأنواعه، النسقي والشعبي والأدبي والتأليف بكل أنواعه تمثل الواقد، وتمثل الواقد وتنظير الموروث، وتنظير الموروث والإبداع الخالص. ومن ثم تضع الحجة التي يعتمد عليها الحكم بالأثر والتأثر<sup>(٢)</sup>.

---

= العلوم بلا مناظرة مع المخالفين أو الاشتغال بالرد عليهم. فموسوعات ابن سينا الثلاث بديل عن شرح أرسطو بلا مناقشة أو مناظرة أو رد أي مجرد عرض وهو تأليف في الواقد مثل الجبهة الثانية في مشروع التراث والتجديد "موقفا من التراث الغربي"، السيرة الذاتية ص د/و.

(١) تقابل هذه المكونات الثلاثة، الواقد والموروث وآليات الإبداع الجبهات الثلاث في مشروع "التراث والتجديد": الموقف من التراث الغربي، والموقف من التراث القديم، والموقف من الواقع أو نظرية التفسير.

(٢) ويرجع هذا الحكم إلى أن الباحث غربي يرى أن الآخر هو الأصل والأنا الفرع، ومسار التاريخ الحضاري من الآخر إلى الأنا. وقد يتبع الباحث الدراسات القانونية خاصة دراسات المستشرقين التي تقع في هذا الاستبدال الحضاري بين الأصل والفرع ودون تحليل للنصوص الأصلية، بالإضافة إلى خداع اللغة ودون تحليل لظاهرة التشكل الكاذب والتسرع بالحكم من اللغة إلى المعنى ثم إلى الشئ. وهو حكم يقوم على الاستسهال والاعتماد على سلطة الباحثين القدماء دون القيام ببحث خاص مما يدل على الكسل العقلي والترهل العلمي والاستسلام للعرف الشائع، وتكرار الأحكام المسبقة التي أصبحت وكأنها حقائق علمية من كثرة تكرارها خالفة صورة نمطية لعلاقة الأنا بالآخر. كما يعود إلى عمق المنهج التاريخي والوقوع في الرد التاريخي في دراسة الأنا والإبداع الخالص لدراسة الآخر، والكيل بمكيالين، الرد التاريخي لأننا والإبداع الذي على غير منوال للآخر. ونظرا لثقل الوعي بالموقف الحضاري للباحث المعاصر نظرا لطول =

ويمكن تحليل العرض النسقى المنطقى عند ابن سينا بعدة طرق كلها ممكنة إنما الأمر فيها هو مجرد اختيار.

١- عرض المكونات الثلاثة فى كل موسوعة من موسوعات ابن سينا الثلاث، "الشفاء" و"النجاة" و"الإشارات والتبهيئات"، وفى كل موسوعة ابتداء من المنطق ثم الطبيعيات ثم الالهيات. وفى المنطق ابتداء من المقولات الى العبارة ... الخ، حفاظا على الوحدة الإبداعية لكل عمل. وبالرغم مما قد يوقع ذلك فى بعض التكرار خاصة فى آليات الإبداع إلا أن هذه الطريق تحافظ على وحدة كل عمل كإبداع مستقل على وجه التفصيل كتبا كتابا فى كل علم.

٢- عرض المكونات الثلاثة، الواقد والموروث وآليات الإبداع فى الأبنية الثلاثية للحكمة: المنطق، والطبيعيات، والالهيات بصرف النظر عن أجزاء كل علم، فالمنطق كل واحد بلا أجزاء خاصة وأن هناك بعض كتبه لا يتوافر فيها العنصران الأولان الواقد أوالموروث وتعتمد على الإبداع الخالص. وهى طريقة تجمع بين العموم والخصوص.

٣- عرض المكونات الثلاثة، الواقد والموروث وآليات الإبداع فى كل موسوعة على حدة حفاظا على وحدة العمل بالرغم مما قد توقع هذه الطريقة فى التكرار. إلا أن ميزتها معرفة مراحل العرض وتحوله من النقل الى الإبداع عند الفيلسوف الواحد عبر مراحل عمره وليس بين الفلاسفة عبر التاريخ. فالتحول من النقل الى الإبداع يتم فى الوعى الفردى والوعى الجماعى.

٤- عرض المكونات الثلاثة كروافد حضارية علمية، الواقد والموروث وآليات الإبداع بصرف النظر عن وحدة الموسوعات وتمايزها وخصوصية كل منها لمعرفة مدى حضور الواقد والموروث وتفاعلها فى الوعى الفردى والجماعى مع آليات الإبداع. فالمهم هى البواعث الحضارية العامة وليس الأعمال الفردية. وهى أعم الطرق وأكثرها تجريدا التى تعطى للتصور الكلى الشامل.

ويمكن الجمع بطريقة أو بأخرى بين هذه الطرق الأربعة من أجل اثبات التحول من النقل الى الإبداع دون اختيار حاسم لطريقة دون أخرى حتى لا يطغى المنهج على الموضوع، والآلة على الهدف.

ونظرا للطابع النسقى المجرى للموسوعات الثلاث وإخفاء مصادرها وعدم ظهور المكونات الثلاثة: الواقد والموروث وآليات الإبداع إلا فى أقل القليل كان من الضرورى الحديث

---

- الاستعمار الثقافى والتبعية العلمية، ولعدم وجود إبداع ذاتى حالى يمكن أن يكون أساسا لفهم الإبداع الذاتى القديم تم نقل أحكام المستشرقين بالآثر والتأثر والشرح والتلخيص.

عن النص نفسه بين الترجمة والتعليق والانتحال والشرح والتلخيص والجامع وهى الانواع الأدبية السابقة على العرض والداخله فيه خطوة نحو التأليف والتراكم ثم الإبداع الخالص.

وتم اعتبار "الشفاء" هى الموسوعة الأولى التى على أساسها يتم التقسيم الى منطق وطبيعات والالهييات، و"النجاه" تعرض من داخلها لأنها مختصر لها. كما تم تجميع "الإشارات والتنبهات" و"المجموع" و"عيون الحكمة" حولها. وتم تخصيص الوافد فى المنطقى والوافد فى الرياضى والوافد فى الالهييات لندرة الوافد الطبيعى. وتم تجميع الموروث كله معا نقاديا للتكرار، تكرار اللغة العربية والبيئة المحلية والموضوعات الدينية خاصة وأن الشفاء عمل واحد بالرغم من تقسيمه الى أجزاء. ولا يوجد حل أمثل لتقسيم العرض بأية طريقة كانت من الطرق الأربعة<sup>(١)</sup>.

٢- الوافد فى المنطق. تتفاوت موسوعات ابن سينا الثلاث بين العرض والتأليف والإبداع. والدليل على ذلك ظهور المكونين الرئيسيين للتأليف، الوافد والموروث فى بعض أجزاء الشفاء واختفائهما فى البعض الآخر مما يدل على الإبداع الخالص اعتمادا على العقل وحده. ولا يرجع السبب وحده الى إخفاء ابن سينا مصادره فى "المقولات" و"السفسطة" و"الخطابة" من كتب المنطق بل ومن كتب الطبيعات كلها لأنها تظهر فى أجزاء أخرى. كما أن هذا الاخفاء لا يكون فى كتب بأكملها حيث كان من الممكن ظهورها لارتباطها بالموروث مثل "السفسطة" لارتباط الجدول بعلم الكلام، و"الخطابة" فالعرب خطباء أوفى علوم بأكملها مثل كل أجزاء الطبيعات. كما يعاود المصدران، الوافد والموروث الظهور فى "الالهييات". إنما يعنى أن الموسوعة الواحدة أو مجموع الموسوعات الثلاث تكشف عن مراحل التحول من النقل الى الإبداع من خلال العرض والتأليف.

كما يتفاوت ظهور الوافد والموروث فى أجزاء الشفاء. ففي الرياضيات يكثر ذكر الوافد ويقل الموروث. وفي الالهييات يكاد ينعدم الوافد ويزيد الموروث. وهذا هو الذى دعا الى قسمة التزاوج العضوى بين الوافد والموروث الى ثلاثة أنواع: الأول تمثل الوافد قبل تنظير الموروث فى حالة غلبة الوافد على الموروث، والثانى تمثل الدافع مع تنظير الموروث فى حالة التعادل بينهما فى الحضور، والثالث تنظير الموروث قبل تمثل الوافد فى حالة غلبة الموروث على الوافد.

(١) وذلك مثل سيمفونيات الموسيقى التى قد تتشابه بعض "النغمات" فيها إلا أن كل سيمفونية لها وحدتها الإبداعية الخاصة. ويقال نفس الشيء فى الشعر والوحدات الإبداعية للقاصد وفى العمارة والرسم والنحت والتصوير كوحدات إبداعية للمبنى واللوح والتماثيل والمصور. وقد استعملت هذه الطريقة فى الباب الثالث من المجلد الأول، عن الشرح والتلخيص والجامع.

ليس المقصود من كتاب "المقولات" توضيح فكر أرسطو أو شرح النص الموضوعي بعيدا عن الشراح بل عرض الموضوع نفسه بعد تزوج الواقد والموروث لصالح الإبداع الخالص. ابن سينا لا يشرح بل يتمثل ويهضم ويخرج ويتحرك بما لديه من طاقة. بدأ الكندي والفارابي التقطيع والهضم، وعند ابن سينا حدث التمثل والاخراج. وعند ابن رشد تحول الغذاء الأول الى غذاء نافع لصحة البدن. لم يسر ابن سينا مع نص أرسطو اختلافا أو اتفاقا لأن نص الشفاء عرض ابداعي خالص لا تمايز فيه بين واقد وموروث. بل يكشف النص عن الجدل الدائر حوله وعن بعض المسائل الأخرى التي تحدث عنها أرسطو بصورة عارضة. يغير ابن سينا القصد ويدخل في حوار مع كل ما قيل حتى يمكن إعادة بناء الموضوع وتغيير بؤر الفكر ومستويات التحليل.

كما أن "السفسطة" إبداع خالص. وفي آخر فقرة يبدى فيها ابن سينا اعجابه بأرسطو الذي أتم العلم وليس تعصبا له أو عدم تعمق في دراسة أفلاطون بل مجرد تعبير عن دهشة عبر عنها العالم كله. فأرسطو ختام الفلسفة اليونانية كلها كما أن الاسلام خاتم الرسالات. تقوم فلسفة على العقل والطبيعة كما يقوم إبداع المسلمين على العقل والطبيعة والوحي. ومن يدرى فربما أرسطو نبي اليونان لم يذكره القرآن صراحة كما ذكر تلميذه ذا القرنين ﴿وما من أمة إلا خلا فيها نذير﴾<sup>(١)</sup>.

وبعد خلو "المقولات" من الواقد والموروث لأنه عمل ابداعي خالص يظهر الواقد في العبارة في اسم هوميروس ليس بشخصه بل مجرد ضرب مثل باسم علم مثل سقراط في اليونانية أو "زيد" و"عمر" في العربية بدلا من "فلان"، وفي عبارة واحدة طويلة سقيمة، وفي مناسبة واحدة<sup>(٢)</sup>. كما يذكر "المعلم الأول" لقب أرسطو وليس اسمه. والتحول من الاسم الى اللقب بداية التحول من المؤلف الى الرمز، ومن التاريخ الى النمط. وعندما يذكر ابن سينا "المعلم الأول" فانه يكون هو الشراح لابن سينا. كما كان أرسطو هو الشراح لابن رشد في التفسير والتلخيص والجوامع ابن سينا هو الذي يقرر المعنى والمعلم الأول يوحي اليه. ابن سينا هو المبدع والمعلم الأول هو المقلد. وأحيانا يصحح ابن سينا العلم الأول ويحكم عليه بالقبح أن يذكر من بسائط الألفاظ الاسم والكلمة دون الأداة. كما يتحدث عنه باعتباره آخر تمايزا بين الأنا والآخر، يحكم عليه ويصف مسار فكره باعتباره موضوع علم وليس مصدر علم<sup>(٣)</sup>.

(١) الشفاء، المقولات ٢٥، ٢٦.

(٢) أوميروش (١٠)، المعلم الأول (٤) الشفاء، العبارة ص ١٠٠/١١٩/١٢١/٢٩.

(٣) وهذا هو أساس علم الاستغراب.

وفى منطق "النجاة" يذكر فرفوروريوس والاسكندر وثاوفرسطس وإقليدس ثم ثامسطيوس، والمعلم الأول، ومن الكتب إيساغوجى وقاطيغورياس<sup>(١)</sup>. يتحدث ابن سينا عن الكليات الخمس، حد الجنس بما لا يشاركه فيه الفصل، وعدم دوران الجنس على النوع وعدم الاهتمام بما يقوله فرفوروريوس وهو واقع كتاب إيساغوجى فى الكليات الخمس. كما يذكر رأى ثاوفرسطس وثامسطيوس فى المطلقة بل ورأى غيرهما مثل الاسكندر وغيره من المحصلين. ولا يفضل ابن سينا أى من الرايين ويفضل رأى ثاوفرسطس. كما يضرب ابن سينا المثل بالحد الرياضى للمثلث عند إقليدس للحد المنطقى، وأن النظر الى الأبسط يفيد فى معرفة المبادئ كما يفيد العدد الهندسة كما هو الحال فى العاشرة عند إقليدس<sup>(٢)</sup>.

ويذكر المعلم الأول تحولا من الشخص الى الفكرة واستشهادا به على وجه المنفعة أن للعقل النظرى الحكم الكلى، وللعقل العملى الأفعال والتعلقات الجزئية. كما يضرب ابن سينا المثل بتقديم كتاب إيساغوجى وقاطيغورياس على باقى كتب المنطق. ولا يشير ابن سينا فى "النجاة" الى الوافد كثيرا على عكس الفارابى، ربما لبعده عن فترة النقل وقرب الفارابى منها، فبينهما قرن من الزمان، وربما لأن الوافد تحول الى ثقافة شائعة ولم تعد ثقافة مغايرة يشار إليها باعتبارها مغايرة لثقافة الأنا، الموروث، وربما لاستقرار المصطلحات العربية حتى أصبحت جزءا من الاستعمال اليومى. والسبب الحقيقى هو الصمت على المصادر من أجل العرض العقلى الخالص لبنية الموضوع.

وفى "الإشارات والتنبيهات" ينقد ابن سينا فرفوروريوس الذى يثنى عليه المشاؤون، وهو سخف وحشف كله. لا يفهمونه بل ولا يفهم المؤلف نفسه. نقده رجل من أهل زمانه دون أن يذكر ابن سينا اسمه إما تجاهلا له أو لحرصه على الموضوع لا على الشخص ونقده فرفوروريوس بطريقة أسقط منه<sup>(٣)</sup>. كما ينقد ابن سينا اتباع المشائين له فكيف يكون ابن سينا نفسه مشائيا مقلدا؟ ويذكر ابن سينا المعلم الأول وجالينوس وإقليدس ولم يذكر أرسطو بشخصه أو أفلوطين الشيخ اليونانى أو أفلاطون أو كليهما من أرباب الفيض والإشراق. يضبط ابن سينا الحجج المزيفة التى استحدثت بعد المعلم الأول والتى عرضها بالتفصيل فى "الشفاء" مما يدل على أسبقية تدوينه على "الإشارات والتنبيهات". كما يضرب المثل بوجود جالينوس وإقليدس وغيرهم على التواتر مثل العلم بوجود مكة. ويذكر ابن سينا قصة "سلامان وأيسال" يضرب بهما المثل لسلامان للإنسان وأيسال لدرجته فى المعرفة ويستخدم المثل اليونانى للتعبير من خلاله عن معنى إسلامى قبل أن يصبح للمعنى الإسلامى حاملا مستقلا

(١) فرفوروريوس، الاسكندر، ثامسطيوس، إقليدس (٢)، ثامسطيوس، المعلم الأول، إيساغوجى، قاطيغورياس (١).

(٢) النجاة ص ٢٣/٩ - ٢٤/٨٣/٧٤/٢٤١/٢٢٢.

(٣) فرفوروريوس (٢)، المعلم الأول، جالينوس، إقليدس، المشاؤون (١)، المنطقيون (٤)، سلامان وأيسال (٢).

هو "حى بن يقطان". القصة اليونانية أداة للتعبير أولاً قبل إيداع القصة الإسلامية. الوافد حامل أولاً للمعنى الموروث قبل أن يتحول الحامل والمحمول الى الموروث دون الوافد.

ويبدو التمايز بين المنطقيين واللغويين وكأن المناطقة يمثلون الوافد واللغويين يمثلون الموروث فى التقابل بين المنطق واللغة فى المناظرة الشهيرة بين متى بن يونس وأبى سعيد السيرافى. فالمنطق لغة اليونان واللغة منطق العرب (١). وقد يكون الخلاف فى الاسم. فما يسميه المنطقيون كلية يسميه اللغويون الاسم المفرد. والمنطق نفسه موضع نقاش. ولا يوجد علم معيارى لا نقاش فيه. وهناك حجج وحجج مضادة أكثر من "الشفاء" و"النجاة". يسهو المنطقيون ويظنون وليس كل ما يقولونه يقينا. بهم مخلفون وأذكاء. وهناك معانى عرفية للألفاظ، وهناك عادة جرت فى المنطق مما يظهر البعد الاجتماعى فى اللغة. وهناك تمايز بين المنطق وغيره من العلوم. وهناك معانى قديمة وحديثة بين القدماء والمحدثين مما يظهر البعد التاريخى للغة. ومازال ابن سينا فى "الإشارات والتبهيئات" يستعمل بعض المصطلحات المعربة مثل اسطقس (٢).

وفى "منطق المشرقين" يحدد ابن سينا فى المقدمة موقفه من اليونانيين فى تقابل مع المشرقيين. وتظهر ألفاظ اليونانيون ثم المشاؤون ثم المشرقيون والأولون (٣). وسبب تأليف منطق المشرقيين هو جمع كلام فيما اختلف أهل البحث فيه دون التفات الى عصبية أو هوى أو عادة أو ألف، وعدم المبالاة بالاختلاف لما ألفه متعلموا كتب اليونانيين من غفلة وقلة فهم، ولما كتبه من قبل للعامية من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين الظانين أن الله لم يهد إلا سواهم. فابن سينا ينفذ متعلمى كتب اليونانيين، ويريد أن يكتب مستقلا عنهم غير مبال باختلاف معهم. وكان قد كتب من قبل موسوعاته الثلاث للعامية المتفلسفين المشغوفين بالمشائين لبيان أن الكتابة فى علمهم سهلة ميسورة. واليونانيون ليسوا وحدهم مصدر العلم بل قد يأتى العلم من غير اليونانيين. فإذا كان اليونانيون قد أعطوا المنطق فقد يكون للمشرقيين منطق سواء بنفس الاسم أو باسم غيره. لقد ألف ابن سينا طبقاً لعادة المشتغلين باليونانيين المعترزين بهم لعدم مخالفة العادة والجمهور. انحاز اليهم بل ومتعصب لهم فهم أولى بالتعصب لهم من غيرهم ولكنه أكمل ما أرادوه وقصروا فيه وأغضى عن ما أغمضوا وتخطوا فيه أو وجد له مخرجاً. جاهر بمخالفتهم فيما لا سكوت عنه، وغطى ما بقى منه (٤).

(١) انظر دراستنا: جدل الوافد والموروث، قراءة فى المناظرة بين المنطق والنحو بين متى بن يونس وأبى سعيد

اكسيرا فى "موم الفكر والوطن جـ ١، التراث والعصر والحداثة ص ١٠٧-١١٨.

(٢) الإشارات جـ ١/١٩٩/١٥٤-١٥٨/١٥٥-٥٨/٦٠-١٨٥/٢٢٥/٢٨/٣٧/٣٩/٤٣-٤٥.

(٣) اليونانيون (٤)، المشاؤون (٣)، المشرقيون، الأولون (١).

(٤) منطق المشرقيين ص ٣-٤.

وفى "القياس" يذكر أيضاً المعلم الأول وليس أرسطو تحولا من الشخص الى الرمز، ومن التاريخ الى الفكر (١). كما يذكر التعليم الأول أى العلم وليس الشخص. والتحول من المعلم الأول الى التعليم الأول خطوة فى التحول من الشخص الى الموضوع، ومن العالم الى العلم، ومن المؤلف الى النص ومن الشخص الى الموضوع، ومن الفرد الى الشيء. المعلم الأول بالنسبة لأرسطو لا مشخصا أولا، وصاحب التعليم بالنسبة للمعلم الأول لا مشخصا ثانيا.

كل الصناعة مستفادة من المعلم الأول بالفعل لا بالقوة كما أن المسلمين أصحاب نبوة. لديهم خاتم الانبياء ونهاية الوحي. فأرسطو بالنسبة للمنطق مثل الرسول بالنسبة للوحي، كلاهما منطوق، منطوق العقل ومنطق الدين والمنطق المعيارى الذى يرجع اليه كقياس. ويعتمد ابن سينا على هذا الموقف ليستنتج المحالات من رأى المخالف وعندما يكون له موقف نقدى من المنطق. والمعلم الأول لا يعلم حال قياس الخلف إلا على سبيل التذكير والتجريد عن المادة واستعماله وقبوله على نحو طبيعى. وقد اتبعه جالينوس فى ذلك. وغرض المعلم الأول أن يجعل الأوسط جزئيا لا عموم له. ولا يبالي فى الأمثلة أن تكون الحدود على كل ذلك التواطؤ. لابن سينا موقفه المنطقى. وعلى أساس هذا الموقف ينبغي فهم قول المعلم الأول. ابن سينا هو النص والمعلم الأول هو الشارح. ابن سينا هو المقروء والمعلم الأول هو القارىء. ابن سينا هو المتبوع والمعلم الأول هو التابع. ابن سينا هو المجتهد والمعلم الأول هو المقلد. ابن سينا خير من يعلم المعلم الأول، ما قاله وما لم يقله. يصحح استشهاد الآخرين به، إيجابا أم سلبا، وعلى أكثر تقدير فهو أرسطو صاحب التعليم الأول وابن سينا الراوى الصادق عنه والمبرهن على صدق كلامه (٢).

ويأخذ جالينوس لقب الفاضل من المتأخرين وهو الأغلب أو الفاضل فقط وهو الأقل تحولا من الشخص الى الرمز، ومن المؤلف الى الموقف، ومن الخاص الى العام، ومن الفرد الى الفعل، ومن العالم الى السلطة العلمية أى من الزمان الى الخلود. وأحيانا تتغير صياغة اللقب الى الفاضل من المتأخرين. فاللقب لم يستقر بعد وان استقر التحول من الشخص الى اللاشخص. يحق للفاضل المتأخر أن يمدح المنطق. ومع ذلك فللفاضل من المتأخرين سبيله الخاص وموقفه الخاص فى المنطق وليس بالضرورة موافقا لمنطق أرسطو. ويبين بوجه حسن ما يعلنه المعلم الأول وهو حال قياس الخلف على سبيل التذكير والتجريد من المادة وبيان أن استعماله وقبوله طبيعى. كما أن ابن سينا يرفض قول فاضل المتأخرين من اعتبار

(١) المعلم الأول (٨)، التعليم الأول (١)، الفاضل من المتأخرين (جالينوس) (٥)، الفاضل (٢) بقراط (٣)، افلاطون (٢)، زينون، سقراط، أرشميس، شيخ النصارى (١).  
 (٢) الشفاء، القياس ص ٤٩٧/٣٠-٨٠/٨١-٤٤٧/٤٧٥/٥٥٢/٥٦٥/١٤٤٢/١٤٨/٥٦٥.

المقدمات المستعملة في مناقضة مالميس وبارمنيدس مقدمات منطقية لأن نكر فيها الكم والتناهي، وأن التناهي للكم بذاته أو لغيره لأن النظر في الكم ولواحقه ليس نظرا منطقيا. ويرفض تفسيره كما يرفض تفسير شيخ النصارى<sup>(١)</sup>.

ويذكر بقراط باسمه أو بلقبه، الطبيب الفاضل أو الفاضل تحولا أيضا من الشخص الى اللاشخص، ومن الجزئي الى الكلي ومن الفرد الى الدلالة. الطبيب منطقي ينظر الى المنطق كأداة للاستدلال. ليس الطب علما تجريبييا فقط بل هو علم منطقي وأخلاقي كذلك. والعجيب أن الفاضل يرى أن المنطق فضلا على الطب كما يظهر ذلك في الكتاب المنسوب الى بقراط وهو الفصول. لذلك أثار المسلمون جالينوس الطبيب المنطقي على بقراط الطبيب الخاص. كان جالينوس أفضل المتأخرين في حين كان بقراط هو الفاضل فحسب. ومع ذلك يقر الفاضل بما يقوله ابن سينا. فابن سينا هو المقروء، والفاضل هو القارئ<sup>(٢)</sup>. ويحرص ابن سينا على ذكر لفظ "المنسوب" خشية الانتحال. وهو الذي ينتسب الى حضارة طالما اتهمت بخطأ النسبة مثل نسبة جزء من التاسوعات الى أرسطو باسم أثولوجيا أرسطوطاليس<sup>(٣)</sup>.

ويذكر أفلاطون، تلميذ المعلم الأول. تعرض لنظرية المعرفة في أن العلم تذكر. ويدخول أفلاطون في المنطق تؤخذ الأمثلة من الحياة والنفس وليس من اشكال القياس المجردة. ويذكر سقراط ومينون بمناسبة زوال شك مينون على سقراط في المعرفة. ويشير اليهما ابن سينا على أنهما رجل يسمى مانون وفيلسوف يسمى سقراط تحولا من الخاص الى العام، ومن التاريخ الى الفكر. ويضرب ابن سينا المثل بأرشميدس الذي كان يبرهن على الرياضيات قبل صياغة المنطق مما يدل على أن البرهان طبيعي، وأن المنطق ما هو إلا تجريد له. كما يذكر ابن سينا شيخ النصارى تحولا كالعادة من الشخص الى اللاشخص، ومن الفرد الى المؤسسة. هل هو حنين بن اسحق الذي يذكره مع فاضل المتأخرين، فكلاهما طبيب؟ هل هو يحيى بن عدي أم يوحنا النحوي؟ وفي كلتا الحالتين يخالفه ابن سينا في تفسيره ويستقل عنه.

كما يحال الى بعض كتب المنطق معربة مثل قاطيغورياس وباري ارمينياس. يحال الى الأول لمعرفة أن النظر في الكم ولواحقه ليس نظرا منطقيا، والى الثاني لتسمية نوع من القول قولا جازما وقضية. كما يحال الى كتاب البرهان والى الشكل الذي في كتاب أوقليدس والى

(١) السابق ص ٨٠/١٥٥-١٤/٤٨١/٨١.

(٢) السابق ص ١٤٨/١٦١.

(٣) السابق ص ٥٤٥/١٥١/١٥٤٨.

كتاب الفصول لأبقراط الى العمل وليس الى الشخص (١). وما زالت بعض الأمثلة اليونانية باقية مما يدل على محلية الواقد وتقابل ابن سينا معه باعتباره آخر. فتذكر أثينية، أهل اثينا، أهل قونيا، أهل أثينية في أشكال القضايا. بل إن مادة القضايا أيضا محلية من تاريخ اليونان مثل قتال أهل أثينية لأهل قونيا وهو قتال مذموم (٢).

وفى "البرهان" يحيل ابن سينا أيضا الى المعلم الأول دون ذكر أرسطو مرة واحدة فقد انتهى الشخص وبقي الفكر، وانتهى الفرد وبقي العالم (٣). ويتوجه ابن سينا الى تخلص المعلم الأول من برائن الشراح، ونقد من غرتهم قلة العناية والنظر وعدم استقصاء كلامه حق الاستقصاء وتوضيح المقصود من الكلام. والحديث عن الله كموجود مطلق مثل وجود المثلث تبعا لقول المعلم الأول. وقد ذكره ابن سينا دون تعديل مما يدل على أنه كذلك عنده الوجود الجزئي هو الموجود، والوجود الكلي هو الموجود على الاطلاق. ويبدو التشابه بين التوحيد العقلي الواقد الأول والتوحيد الديني الموروث نظرا لقيام كل منهما على العقل، وقيام الثاني على العقل وهو أساس النقل. كما يفترض ابن سينا أن يكون المعلم الأول قد كتب "البرهان" قبل باقى كتب المنطق لأن الغرض الأفضل فى البرهان وفى القياس هو الوصول الى اليقين. والطرق البرهانية تأخذ مما هو أعرف فى العقل الى ما هو أعرف فى الطبيعة على ما صرح به المعلم الأول فى الطبيعيات تأكيداً لوحدة العقل والطبيعة، وهو ما يوضحه ابن سينا فى "السماع الطبيعى". أما باقى الاحالات الى المعلم الأول فان الغرض منها الاستشهاد على صحة تحليلات ابن سينا. فابن سينا هو المقروء والمعلم الأول هو القارئ. ابن سينا هو الرأى للنشء والمعلم الأول هو المثبت والمؤكد لهذه الرؤى. فان حدث عدم تطابق بين الرؤيتين يتم تأويل أقوال المعلم الأول بناء على تحليل ابن سينا. ويدخل ابن سينا فى مسار فكر المعلم الأول بداية ونهاية وعودا على بدأ. ويصف أفعال الايضاح فى شعوره ومحللا تشبيهاته ومجازاته، ومقارنا بينه وبين المعلم الأول فى مواطن التشابه والاختلاف مثل التمييز بين الحد التام والحد الذى هو مبدأ البرهان اختصارا على المتعلم (٤).

ويحيل ابن سينا الى أفلاطون رافضا نظرية المثل التى يسميها الصور الأفلاطونية، الصور المعقولة المفارقة الموجودة لكل معقول حتى الطبيعيات، مجردة خارج المادة وطبيعية

(١) السابق ص ١٤/١٩/٥٦٦/٥٧٥/٥٣٠.

(٢) السابق ص ٥٦٨-٥٦٩.

(٣) المعلم الأول (١٢)، سقراط (٨)، أفلاطون (٧)، مينون (٣)، أوميروش، فيثاغورس، القينادس، أخيلوس، أيس، لوسندروس (١).

(٤) السابق ص ٢١٦/٢٥٢/٢٥٦-٢٥٧/٢٢٠/٢٢٠/١٩٥/٧/٥٧-٥٨/٥/٦٣/٤٩.

في المادة. وهي نظرية باطلّة لأن الصور الطبيعية لا تبقى كما هي اذا ما جردت عن المادة. والصور الرياضية لا تقوم بلا مادة وان كانت حدودها تستلزم المادة. وإبطال هذه النظرية في الفلسفة الأولى وليس في المنطق أو في أي علم آخر لأن الصور والمثل المفارقة لا تدخل في صناعة البراهين ولا في مبادئها. هناك فرق بين المنطق والميتافيزيقا. الصور الأفلاطونية جزء من الميتافيزيقا وليست جزءا من المنطق. البرهان بالمحمولات، والصور توجد في الجوهر. الأولى في الذهن والثانية في الحقيقة. كما يحيل ابن سينا الى أفلاطون في جعل السبب في الاتحاد جذب المغناطيس والكهرباء بينما يجعله ابن سينا ضرورة الخلاء. كما يحال الى الشكل الرابع في البرهان الى كتاب إقليدس، فإقليدس هنا عمل وليس شخصا مؤلف وليس مؤلفا. كما يحال الى شعر هوميروس، الإلياذة، كمثال للقول المركب في الحدود لأنه لا يمكن أن يسمى باسم واحد مفرد. شعر هوميروس هو المقصود وليس هوميروس كمثال في المنطق. ولو كان ابن رشد مكان ابن سينا لغيره الى شعر عربي<sup>(١)</sup>.

ويحال الى سقراط في محاوره "مينون" لأفلاطون من أجل اثبات التعليم والتعلم ضد شك مانت في حضارة ترى أن الظن لا يغني عن الحق شيئا وأن بعض الظن إثم، وجعلت اليقين هدفا للعلم. وينقد ابن سينا أفلاطون بأنه لم يقض نهائيا على شبهة الشك عند مينون. وعادة ما يقرن سقراط بأفلاطون، الأستاذ بالتلميذ في حضارة تقدر العلاقة بين الشيخ والمريد وتجعلها طريقا للعلم. كما يؤخذ سقراط مثلا للموضوع الذي في حاجة الى محمول. كما يؤخذ سقراط وأفلاطون باعتبارهما نوعين لهما جنس واحد هو إنسان. فالتعنين سبب الفردية، والعموم سبب الكلية. سقراط متعین، وإنسان عام. وكل فرد له خاصية عامة مثل سقراط الفيلسوف والقيادس الملك، وأخيلوس الشجاع، وأيس كبير النفس، ولوسندروس الصالح. وهي الأمثلة التي أسقطها ابن رشد فيما بعد ووضع مكانها أمثلة عربية كما هو الحال في تخيصه الخطابية. وكلها أسماء أبطال من الأساطير اليونانية<sup>(٢)</sup>.

ويحيل ابن سينا الى مجموع أجزاء "الشفاء" في المنطق خاصة في الطبيعيات عامة دون الالهيات أو الى مجموع كتب المعلم الأول فلا فرق بين الاثنين، الأول تأليف في الواقد أو عرض له والثاني هو الواقد. فكل كتاب من كتب المنطق له موضوعه المستقل. وقد يحال الى اسم الكتاب مرتين مثل الأسطفسات مرة وكتاب إقليدس مرة أخرى، وإلى الجدل مرة وإلى الحجج الجدلية مرة أخرى، وإلى القياس مرة وإلى أنالوطيقا الأولى مرة أخرى مما يدل على عدم استقرار أسماء كتب أرسطو حتى عصر ابن سينا بين التعريب والنقل وربما حتى

(١) السابق ص ١٢٨-١٣٠/١٦٩/٢٤٥/٢٢٣/٢١٣.

(٢) السابق ص ٢٨-٢٩/٢٥٦/٢٤٢.

الآن. كما يستشهد ابن سينا بأحدى محاورات أفلاطون، مينون، عن العلم والتعليم ومناقشة سقراط لمينون. كما أحال إليها من قبل في كتاب "القياس"<sup>(١)</sup>.

ويحال إلى "إيساغوجي" أو "المدخل" في موضوع الذاتى والمقدم فى حين أنه فى كتاب البرهان العلة. وقد جرت العادة باستعمال لفظ ذاتى كما ورد فى إيساغوجى لا كما ورد فى البرهان. ثم تأتى مقارنة الضرورة فى القياس والبرهان لأن الكبرى الضرورية تكون على نحوين مختلفين فى القياس وفى البرهان. والخط بين الكتابين وارد. ويحيل ابن سينا إلى قياس الشفاء صراحة حيث لخص فيه الموضوع من قبل. كما يحيل أيضا إلى كتاب "الجدل" مما يبين وحدة موسوعة الشفاء. الجدل لا يثبت ولا ينفي حقيقة بل اعتمادا على تسليم الخصوم أو الرأى المشهور كمقدمات. الجدل لا يعطى حدا حقيقيا إنما يعطى فقط الحد حسب قانون الشهرة لا بحسب قانون الحقيقة. ويحال إلى كتاب النفس لمعرفة الفرق بين القوة والعقل بالملكة. وتظهر البيئة اليونانية فى الأمثلة مثل أخذ أثينية كمثل للعلة الفاعلة<sup>(٢)</sup>.

وفى "الجدل" يحيل ابن سينا إلى التعليم الأول أكثر من الاحالة إلى المعلم الأول للقضاء نهائيا على الشخص من أجل الموضوع، وعلى العالم من أجل العلم. كما يكشف هذا القول من المعلم إلى التعليم عن إحساس بتطور العلم ويتجرىد الآراء من الأوائل إلى الأواخر. وفى نفس الوقت يعطى القدرة على نقد الشراح بالعودة إلى الأصول. ويبين ابن سينا الاشتباه فى التعليم الأول وإمكان تأويله على وجهين مما يبيح للشراح بالعودة إلى الأصول. ويبين ابن سينا الاشتباه من صدقهم. البداية بالتعليم الأول، والنهائية بلا نهاية، تقسح المجال للشراح ولتاريخ العلم ولابن سينا ولباقى الحضارات والشعوب. ويمكن لأى فيلسوف مراجعة التعليم الأول ثم تحقيقات فى التاريخ، ويكون جزءا من تاريخ العلم. يمكن لابن سينا تغيير ترتيب التعليم الأول وإعادة النظام إليه ونقد النص الأول فى ترتيبه تقدما وتأخيرا، والفائدة فى العودة إلى النص الأول كما هو الحال عند ابن رشد وكان الحكماء هم سلفيون بالضرورة<sup>(٣)</sup>.

ثم يذكر ابن سينا المعلم الأول وليس أرسطو تحولا من الشخص إلى المعيار، ومن الفرد إلى الموقف. يدافع ابن سينا عن المعلم الأول وعن نقة فهمه دون خلط بين حكمه الجزء على الكل وحكمه على الكل. كما يصحح خطأ من يظن أن القياس الجدلى يصدر عن السائل وحده دون المجيب الذى يقيس من المشهورات كما يقيس السائل من المتسلمات. ويصحح خطأ الظن

(١) القياس، أنالوطيقا الأولى (١)، الجدل (٥)، الحجج الجدلية (١)، البرهان (٣)، السماع الطبيعى، أنالوطيقا

الأولى، إيساغوجى، الإلياذة (الياس)، كتاب إقليدس، النفس، مينون (أفلاطون) (١).

(٢) الشفاء، البرهان ص ٧٨ - ٧٩/٩٥/٧١/٢٨/٢١/٢١٣/٢٣/٢٥٧/٢٢٣/٢٤٢.

(٣) التعليم الأول (٩)، المعلم الأول (٥)، سقراط (٤)، ثراسوماخوس، زين، بقراط، أفلاطونى (٢)، فيثاغورس (١).

بأن التصاريف صادرة عن الشيء كالوجع عن المرض، فهذا تأويل بعيد عن قول المعلم الأول. ويبدو ابن سينا هو الفيلسوف المبدع والمعلم الأول هو الشارح والمؤيد. ابن سينا هو المقروء والمعلم الأول هو القارئ. ابن سينا هو المؤول والمعلم الأول هو المؤيد. فالأشياء المشهورة لا توضع موضع الجنس. وفي النهاية يتفق كلاهما في المذهب<sup>(١)</sup>.

ويقر ابن سينا بوجود نسخ عديدة من التعليم الأول، ويفترض سقطا في بعض منها هو سبب سوء تأويل الشراح في حضارة متهمه بالخلط بين الكتب ونسبتها إلى غير أصحابها. يستوثق ابن سينا من روايات الآخرين عن التعليم الأول ويطباقها بروايته الخاصة وكأنتنا في مناهج النقل الكتابي عند الأصوليين، الاجازة والمناولة ... الخ. ويعتمد ابن سينا على السياق، الموضوع الذي عليه الخلاف والوضع الذي قبله وبعده. وتظهر بعض الفاظ الأصوليين مثل الأخبار والحديث. والمعنى هو الذي يجعل ابن سينا يتشكك في باقى الروايات، ويفترض وقوع السقط أو التحريف أو السهو. كما يفترض وقوع سوء التأويل من الآخرين وصحة تأويله اعتمادا على السياق حتى يتسق المعنى ويسترسل الخطاب<sup>(٢)</sup>.

أما سقراط فانه يضرب به المثل على المغالطة بينه وبين تراسوماخوس حين تجادلا في العدل بعدما غالطه سقراط باسم مشترك فافحمه مما ينفع السائل والمجيب معا. كما يضرب به المثل كموضوع في قضية ثم في قياس مغالطى. ويحال الى الصور الافلاطونية لاثبات ضرورة مطابقة المحدود للحد. فالإنسان صورة أفلاطونية لكنها لا تنطبق على الإنسان الفردى. الأولى أنلية والثانى زائل. الأولى لا تفعل ولا تتفعل، والثانى يفعل ويتفعل. كما يضرب المثل بزينون للجدل الامتحانى بقياسه على دفع الحركة على نقيض المشهور والمشهورات من مواد العلم عند الأصوليين والقياسات التى توجب خلاف الظاهر وان كان يوجد فيها قياس يصعب حله مثل قياسه على ابطال الحركة. ومعلوم أنه مماحكة وعدول عن الحق. كما يضرب المثل بأراء بقراط في الطب، وفيثاغورس فى الموسيقى، كل فى صناعة أجمع عليها أهلها لجمعها والتسويق بينها وصياغتها فى مذهب كما فعل ابن سبعين. ويذكر بقراط كمثل للغلط فى ترتيب الشكل كما غلط فى ترتيب الشكل الهلالي<sup>(٣)</sup>.

ويحال الى "البرهان" و"يساغوجى" و"القياس" و"سوفسطيقا" و"أنالوطيقا" نظرا لوحدة الكتب المنطقية ووحدة العرض<sup>(٤)</sup>. فيحال الى "البرهان" لمزيد من التفصيل فى الموضوع مثل

(١) السابق ص ٣٨/٤٣/٧٥/١٠٣ - ٢٤٦/٢١٧/١٠٤.

(٢) السابق ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٣) السابق ص ٩٥/٦٤/٢٧٦/٣٢٦/٨٢/٢٢٦.

(٤) البرهان (٢٤)، يساغوجى (٣)، القياس (٢)، سوفسطيقا، أنالوطيقا (١).

الحركة والارادة والسكون كأعراض ذاتية للحيوان، وكيفية إيجاد الحد، والفرق بينها وبين كيفية اعتبار حال الحد الموجود. وقد تختلف تسمية موضوع من كتاب الى كتاب فى المنطق مثل تسمية الوضع فى البرهان بطريقة أى الدعوى القائمة على البرهان، وفى الجدل بطريقة أخرى وهى الدعوى بلا برهان. ويحال الى "إيساغوجي" فى موضوع الحد والرسم والخاصة والعرض مع التمييز بين العرض المنطقى والعرض الطبيعى. كما يحال الى "القياس" فى موضوع تراكم الجزئيات التجريبية لإيقاع التصديق الكلى وفى موضوعات تفصيلية أخرى. وكذلك يحال الى "سوفسطيكا" لاكمال الموضوع<sup>(١)</sup>.

وبالرغم من أن "الجدل" أقل صورية من أشكال القياس وطرق البرهان وأقرب الى السؤال والجواب، وصراع القوى بين المتخاصمين واستعمال ابن سينا أسلوب مخاطبة النفس بصيغة المتكلم المفرد ومخاطبة القارئ بصيغة المخاطب حتى يأنس اليه إلا أن الطابع العام مازال هو الطابع المجرد الشكلى البعيد عن الجدل الفكرى والجدل الاجتماعى. صحيح أن ابن سينا غير عنوان الكتاب من المواضع الى الجدل، من الموضوع الى المنهج، وهو تغير جذرى، ولكنه مازال صوريا من حيث الشكل، تقليديا من حيث المضمون. ونظرا لصمت ابن سينا عن مصادره فإن وصف الفلسفة تطوريا من الخطابة الى الجدل يشبه وصف الفارابى تطور العلوم الفلسفية حتى البرهان. والصمت عن المصادر اكمال الفلسفة فى عقل الفيلسوف<sup>(٢)</sup>.

وكتاب الشعر كأحد أجزاء الشفاء ليس شرحا أو تلخيصا أو تأليفا بل هو عرض. الشرح لايضاح الألفاظ، والتلخيص لبلورة المعانى والتأليف لدراسة الموضوع ذاته. فشرح الشفاء ينطبق عليه ما ينطبق على منطق "الشفاء". ولم تكن هذه الأنواع الأدبية متميزة فيما بينها تماما. فقد يسمى ابن سينا العرض التلخيص كما يصرح فى الفقرة الأخيرة أنه تلخيص صرف وهو فى الحقيقة عرض أى تأليف فى الوافد يعتمد على العقل وحده وعلى بنية الموضوع. لم يلخص ابن سينا كتاب "الشعر" فى الشفاء بل عرض الموضوع متجاوزا نص "الشعر" الى موضوع الشعر. لذلك لا يظهر فى نص "الشعر" أى أثر للترجمة. عبارة ابن سينا أوضح من عبارة متى، منتقلا من الغموض الى الوضوح، وأوجز من عبارة متى منتقلا من الاسهاب الى التركيز، وأحيانا أطول من عبارة متى منتقلا من الاجمال الى التفصيل. عبارة ابن سينا على مستوى الألفاظ تتجاوز الشرح والتلخيص والجامع. ويستعمل الامثال والخرافات الشعرية بدلا من الأسمار والاشعار فى ترجمة متى تحسينا للعبارة. العرض

(١) الشفاء، الجدل ص ٢٤٥/٢٤٦/٢٧/٥٧/٣١٨/٢٨٠.

(٢) هذا ما فعل هيجل أيضا فى تاريخ الفلسفة قبله. فابن سينا هو هيجل المسلمين كما أن هيجل هو ابن سينا

المانيا والغرب.

تجاوز للشرح والتلخيص من أجل إيضاح المعنى والتغلب على صعوبة العبارة دون توفيق بين أفكاره وأفكار أرسطو وهو ما قد يحدث على مستوى المعنى فى التلخيص. هو أشبه بالتداعى الحر بين المعانى. تتوحد الفكرة بين ابن سينا وأرسطو مما يودى الى ترك جملة غامضة بأكملها وزيادة فقرات أخرى أكثر وضوحا. ولا يهم من أين استقى ابن سينا شروحه فالعرض يعتمد على طبيعة العقل والموضوع أى على بنية الفكر الداخلية وليس على مصادره الخارجية<sup>(١)</sup>. كتاب الشعر اذن عما قائم بذاته وليس شرحا أو تلخيصا لأرسطو. ولا يعنى ذلك أنه ابتعد عن المقياس والنموذج الأمتل والحقيقة فى النص الأرسطى بل يعنى أنه تأليف مستقل يمثل حتمية "الشفاء" مرحلة التحول من النقل الى الإبداع، أهم مساهمتين فيه هما المقارنة بين خصائص الشعر العربى وخصائص الشعر اليونانى، دنية إبداع ابن سينا فى الشعر المطلق حسب الزمان.

وفى كتاب "الشعر" يذكر أوميروش بطبيعة الحال ثم أنبذقليس ثم أيسخيلوس، ثم المعلم الأول وسقراط وسوفوكليس ومانى<sup>(٢)</sup>. ولم يذكر يوربيدس أو باقى الفلاسفة اليونان خاصة أفلاطون. ذكر أوميروش مع انبذقليس لبيان الفرق بين الشعر والنثر فى الوزن. فكلام أنبذقليس فى الطبيعيات ليس فيه من الشعر إلا الوزن، ولا يشارك هوميروش إلا فى الوزن دون ان يكون شعرا. الشعر تخيل ووزن. ويحاكى هوميروش الفضائل فى أكثر الأمر فقط. وهو أول من قام بذلك ولم يسبقه اليه شاعر آخر. وتقع المحاكاة للأخلاق. لذلك مدح أوميروش أخلاقية أخيلوس. وهو تصور إسلامى كما هو معروف فى الآيات الشهيرة فى آخر سورة الشعراء ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون...﴾. وفضيلة الفضائل هو واقع الناس ومطابقة القول بالفعل. ويستحق هوميروش المدح لأنه يعمل بما يعلم. لذلك يتبقى على الشاعر أن يقل من الكلام الذى لا محاكاة فيه دون إطالة كما كان يفعل باقى الشعراء مع قلة المحاكاة. أما أوميروس فكان ينسب قليلا، وهو اللفظ العربى، النسيب، ثم ينتقل الى المحاكاة لامرأة أو لرجل أو لمثل أو لعادة وإلا كان قبحا وعبيا فى الشعر. فهو أول من قال "طراغوديا" قولا يعتد به بل قال أيضا "درامطريات". وواضح أن الألفاظ المعربة مازالت مستعملة فى عصر ابن سينا وكذلك لفظ إيفخانا ساوس الذى أحدثه انبذقليس. كما قال أوميروس بضرورة وحدة الغرض فى الشعر حتى ولو تعددت الحوادث على حين كان باقى الشعراء متعددى الأغراض<sup>(٣)</sup>.

(١) كتاب الشعر ص ١٩٩-٢٠٠.

(٢) أوميروس (١١)، انبذقليس (٥)، أيسخيلوس (٢)، المعلم الأول، سقراط، سوفوكليس، مانى (١).

(٣) الشفاء، الشعر ص ٣٣/٣٦-٣٨/٣٩-٦٦/٧٠.

ويأتى أنباذقليس في المرتبة الثانية بعد أميروس لبيان الفرق بين الشعر والنثر في الوزن. وفي هذا الموضوع يدخل سقراط أى الكلام الموزون الذى ليس شعرا. الشعر تخييل ووزن. والكلام الذى وزنه أنباذقليس فى الطبيعيات ليس شعرا، وليس فيه من الشعر إلا الوزن، ولا يشارك أميروس إلا فى الوزن. الوزن فى كلام أنباذقليس أقوال طبيعية وفى كلام أميروس أقوال شعرية. كما أحدث انباذقليس نوعا من أنواع الشعر هو ايفخاتاناسوس أما أسخيلوس وسوفسكليس فقد أدخلوا الألحان فى الشعر على ما هو معروف فى المسرح الشعرى<sup>(١)</sup>. ويحال الى كتاب "الخطابة" مرتين. فهو أقرب كتب المنطق الى الشعر والمقارنة بينهما فى موضوعات الاستعارة والشبه والتصديق<sup>(٢)</sup>.

٣- الوافد فى الرياضى. ويضم الرياضى عند أرسطو الحساب والهندسة والهيئة والموسيقى. ولكن ابن سينا يغير الترتيب الى الهندسة والحساب والموسيقى والهيئة الأول بالثانى، والثالث بالرابع. جعل اليونان الحساب قبل الهندسة، والكم المنفصل قبل الكم المتصل، وهو أقرب الى العقل. فالهندسة تقوم على الحساب. ولكن ابن سينا جعل الهندسة قبل الحساب نظرا لأن الهندسة هو العلم الذى يجمع بين الحس والعقل، بين التجربة والبرهان. وجعل اليونان الهيئة قبل الموسيقى لأن نظام الكون له الأولوية على نظام النفس فى حين أعطى ابن سينا الأولوية للموسيقى على الهيئة. فالنغم فى النفس سابق على النغم فى الكون. ويتفق ابن سينا مع اليونان فى أولوية الحساب والهندسة (اليونان) أو الموسيقى والهيئة (ابن سينا). فالمباشر له الأولوية على غير المباشر. والتداخل والتمايز بين العلوم استئناف لاحضاء العلوم عند الفارابى وأقسام العلوم العقلية عند ابن سينا نفسه.

وقسم أرسطو الحكمة الى طبيعية ورياضية وإلهية. ثم أضاف المسلمون المنطق كجزء من الحكمة بدلا من كونه مجرد آلة. فأصبحت الحكمة منطقية وطبيعية وإلهية. ولم تنكر الرياضيات لصورتها أو لصعوبتها أو لأنها أدخلت فى العلم الخالص<sup>(٣)</sup>. ولأن المنطق مواز للهندسة فى بنائه جعل ابن سينا الرياضيات مع المنطقيات. فالمقولة هى النقطة، والعبارة الخط، والقياس الهندسة، والبرهان الموازيات لثالث متوازيات. كما يمكن الربط بين الهندسة والمنطق أكثر من ذلك. فالموازيان لثالث متوازيان قضية منطقية، مقدمتان ونتيجة كما هو الحال فى المنطق الغربى الحديث وإشكال أيهما يرد الى الأخر، المنطق الى الرياضة أو الرياضة الى المنطق.

(١) السابق ص ٤٠/٥٣/٣١.

(٢) السابق ص ٤٩.

(٣) الشفاء، الرياضى مقنمة عبد الحميد صبرة ص ٣ وليست رياضيات "النجاة" من وضع ابن سينا بل استخلصها تلميذه الجوزجاني من رياضيات "الشفاء".

وأصول الهندسة لإقليدس خمس عشرة مقالة، أطولها العاشرة وأقصرها الخامسة عشرة. ثم تتفاوت المقالات الأخرى بين الطول والقصر. وهي كذلك فى رياضيات الشفاء. والمقالتان الأخيرتان ليستا من وضع إقليدس بل منتحلة من اليونان أو من العرب. والانتحال تأليف فلسفى لإكمال الموضوع بصرف النظر عن المؤلف<sup>(١)</sup>. والكتاب عمل جماعى فى التاريخ داخل حضارته أو منتقلا داخل الحضارات الأخرى. وفى المقالة السابعة، الانتقال من الهندسة الى الحساب، يضاف الحساب الى العنوان عند الشراح حتى يطابق الموضوع العنوان. وعلم الهندسة يسمى أيضا علم الأول أى علم الأوليات. وهو مقدمة لعلم المساحة الى علم الهندسة التطبيقى كما أن حروف المعجم مقدمة لعلم الكتابة.

وقد جمع إقليدس نفس الأصول أو المبادئ أو القضايا أو الأشكال التى توصل اليها السابقون عليه. وأضاف اليها براهين من عنده وأعاد ترتيبها. فأصول إقليدس ليست خلقا عبقرىا على غير منوال بل تراكم تاريخى طويل مع القدرة على الاستيعاب والتقطير وتأسيس العلم والنقطة النوعية فى التاريخ. وهو منسوب الى إقليدس احتراسا من عدم صحة النسبة فى حضارة تتهم بالخلط والانتحال. كما تذكر النسخة المعتمدة والزيادات عليها سواء فى النص أو فى الأشكال والأرقام.

وهو من أوائل الكتب التى ترجمها المسلمون وقدروها أعظم تقدير. واعتبروا إقليدس الرياضى الأول وأرسطو المنطقى الأول وجالينوس الطبيب الأول فى حضارة تقوم على خانم النبوة ونهاية التاريخ. كما كانت تعتبر أرشميدس رائدا فى الهندسة المساحية والميكانيكية وأبولونيوس للقطاعات المخروطية. وقد سُمى الصورى إدراكا لجوهر علم الهندسة وتحويلا للشخص الى مذهب.

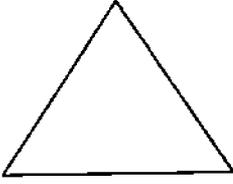
والكتاب ليس ترجمة. فالعرض مرحلة تالية للترجمة والتعليق والشرح والتلخيص والجوامع<sup>(٢)</sup>. وليس اختصارا بالرغم من استعمال ابن سينا والجوزجاني اللفظ لأن ابن سينا يذكر أنه لم يقتصر على الاختصار بل تجاوزه الى حل بعض مشكلاته. فالاختصار يعنى التركيز، وحل المشكلات يعنى دراسة الموضوعات بالرجوع الى الأشياء ذاتها. يعنى الاختصار اختصار براهين الكتاب وعباراته لا مقالاته وأشكاله. الاختصار هو الإبقاء على الحدس دون البرهان ثم الاستدلال على الحدس من جديد براهين أبسط وأوضح. وما سماه

(١) انظر المجلد الأول (النقل)، الباب الثانى (النص) الفصل الثالث (الانتحال) وبتعبير المعاصرين فى الغرب مات المؤلف عاش النص.

(٢) الشفاء، الرياضى ص ٤/ج.



"الحساب" قد كتب بعدهما<sup>(١)</sup>. لقد عرف المسلمون الصلة بين الحساب والهندسة ولاعوا بين الحساب الهندي والحساب اليوناني، بين الشرق والغرب، واعتبروا الجبر والمقابلة فرعا للحساب، وعرفوا الأعداد الصحيحة والكسور العشرية، والجذور التربيعية والتكعيبية. وإن تحويل الهندسة الى حساب أو الحساب الى هندسة ليدل على العقلية التوحيدية التي تضم العلوم كلها في علم واحد<sup>(٢)</sup>.



وقد قام ابن سينا بالاختصار كالعادة. ويعنى الاختصار هنا حذف المادة الخارجة على الصناعة ولها بديل في علم الحساب مثل الاستعمال والاستخراج بديلا عن الجبر والمقابلة، والجمع والتفريق الهندي. وهذا المحذوف يدخل في الفروع وليس في الأصول، كما هو الحال في التفرقة بين الأصول والفروع في الفقه<sup>(٣)</sup>. غايته إعطاء الحالة الراهنة لعلم الحساب طبقا لعادة العلماء في عصره دون تحديد للتيارات التي ينقدها. يكفيه الإشارة الى قوم رغبة في إخفاء المصادر وبناء النسق. وهو تأليف عارض في علم الحساب لاعطاء صورة للحالة الراهنة للعلم في عصره للطلاب، على عكس الرسائل التي تكشف عن قدر كبير من الإبداع والاجتهاد<sup>(٤)</sup>.

لذلك يبدو ابن سينا بلا تجربة خاصة، متعلما، جامعا للعلم، يخفي مصادر، منقطع الصلة بين السابق واللاحق لصالح النسق. لم يذكر السابقين عليه، الكندي والرازي وإخوان الصفا والفارابي وكان التراكم الفلسفي لم يحدث لديه إلا من النوافذ مباشرة دون الموروث، من القدماء مباشرة دون المحدثين، من الأوائل مباشرة دون الأواخر مما أوقعه في الصورية. ظهر علم الحساب علما صوريا خالصا لا يميز حضارة عن أخرى، خال من الخصوصية إلا القدرة على استعمال العقل المجرد والثقة به. يبحث عن القانون مع الخصائص الذاتية التي يدرکہا العقل في العدد<sup>(٥)</sup>. هو علم نظري خالص بل أكثر نظرية من الهندسة لأنها تتعلق

(١) الشفاء، الحساب ص ١٧.

(٢) الاسطقات (٣)، قاطيفورياس (١).

(٣) الشفاء، الحساب ص ٦٩/٦٥-٦٦.

(٤) مثل ما يفعله استاذ الجامعة الحالي في الكتاب المقرر.

(٥) الشفاء، الحساب ص ٢٠/٤٠.

بالمكان. لا دلالة حضارية فيه<sup>(١)</sup>. هو أقرب الى التمرينات العقلية وإثبات الاتساق العقلي وقدرة العقل على التتظير والتنسيق والاستدلال والبرهان. وعندما وصل التجريد الى هذا الحد سبب رد فعل الفقهاء وطابعهم العملي الحسى. فلا فائدة فى الحساب إلا فى حساب أوقات الصلاة والمواريث ومساحات الأراضى ومقادير الخراج وموازين السوق ومعاملته. ولم تشفع مخاطبة القارئ من أجل الدخول فى علاقة صحيحة معه أو بعض التحليلات الشعورية للمؤلف وبيان أن العلم تجربة معاشة فى التقليل من طابع "الحساب" الصورى<sup>(٢)</sup>.

ولم يذكر فى "الحساب" أى اسم علم يونانى. وذكر الفيثاغوريون مرة واحدة والمتكلمون فى صناعة العدد. ولا يقصد بهم المتكلمون بالمعنى الاصطلاحى أى علماء الكلام بل المشتغلون بصناعة العدد أى علم الحساب. وهم المتطفلون على العلم الذين يستعملون أقاويل خطابية وشعرية دون البرهانية. كما يذكر القدماء مرة واحدة ارتباطا بالوعى التاريخى، فالحساب عمل جماعى عبر العصور والأجيال. وتظهر بعض المصطلحات اليونانية المعربة مثل الاسطقسات، كتاب إقليدس فى أصول الهندسة، وقاطيغورياس والارتماطيقى مما يدل على استمرار التعريب حتى عصر ابن سينا<sup>(٣)</sup>. وإذا كان محور الهندسة إقليدس، ومحور الهيئة بطليموس فلماذا لم يظهر ديوفانتس محورا للحساب، وفيثاغورس محورا للموسيقى؟

وأين كتاب "الموسيقى" فى الشفاء الذى قد يعادل كتاب "الموسيقى الكبير" للفارابى أورسائل الكندى فى الموسيقى؟ أين الأصل اليونانى أو التأليف العربى؟ لماذا لم يكتب ابن سينا جزءا فى الموسيقى ضمه الى موسوعة "الشفاء" اعتمد فيها على الوافد أى مثل فيثاغورس أوالموروث كما فعل إخوان الصفا فى الرسائل؟ هل أبدع الكندى والفارابى فى الموسيقى ولم يجد ابن سينا موسيقيا وافدا أو موروثا يتمثله ويعرض ويؤلف فيه ويصمت عنه؟ وبالرغم من أن الموسيقى علم مستقل ضمن العلوم الرياضية، الهندسة والحساب والهيئة (الفلك) إلا أنه متصل بعلم الحساب. وينبئ ابن سينا فيه على وجود تأليف فى الموسيقى. فالحساب والموسيقى كلاهما تأليف يقوم على النسبة. وإذا كانت الموسيقى حسابا فهل هذا يفسر غياب جزء عن الموسيقى؟ وإذا كان الحساب موسيقى فلماذا حضر الحساب وغابت الموسيقى؟ وإذا كان ابن سينا قد كتب جزءا فى الموسيقى فهل ضاع أو سقط بفعل تقادم الزمن<sup>(٤)</sup>؟

(١) وقد يمكن إعادة قراءته من خلال الرياضيات الحديثة، حساب المجموعات والهندسة اللا إقليدية.

(٢) الشفاء، الحساب ص ٦٥.

(٣) الفيثاغوريون، القدماء (١) الاسطقسات (٧)، قاطيغورياس، ارتماطيقى (١)، الشفاء، الحساب ص ٦٤/٦٥.

(٤) الشفاء، الحساب ص ٦٦-٦٧/٦٩، ٤٩.

وكتاب "الهيئة" هو أكبر كتب الرياضى فى "الشفاء" وأكثرها دلالة على حضور الوافد والموروث<sup>(١)</sup>. ويبدو أنه كان من الصعب إخفاء المصادر، كتاب المجسطى لبطليموس أو إبراز الإبداع الخالص لابن سينا وتأجيله الى كتاب كان ابن سينا يود الإبداع فى علم الهيئة وأعلن عن كتاب "الواحق" ولكن لم يطل به العمر. ويبدو من اسمه نبرة التعظيم والاجلال. فهو حرفيا "الكتاب العظيم" فالمبالغة شيمة القدماء مثل المحدثين، والأوائل مثل الأواخر.

وهو كتاب فى علم الفلك. وله أسماء عديدة مثل الهيئة والنجوم والتعليم. وهو علم يجمع بين الطبيعيات والرياضيات. لذلك وضع القدماء الرياضيات بعد الطبيعيات وقبل الالهيات فى حين وضعها المسلمون بعد المنطق وقبل الطبيعيات. عند اليونان إمكانية قيام طبيعيات رياضية وعند المسلمين إمكانية قيام منطق رياضى.

هو كتاب فى التعليم مما يدل على الربط بين الفلك والرياضيات بين التعليم والتعاليم، والتباعد بينه وبين التنجيم أو علم أحكام النجوم الذى يعتبر من الدراسات الفرعية فى الطبيعيات كالفراشة وتعبير الرويا<sup>(٢)</sup>. لذلك ينتقل ابن سينا من الفلك الى الهندسة لأن الفلك فى النهاية علم رياضى. والحقيقة أن علم الهيئة يضم الجغرافيا والفلك. كما يضم الرياضة مثل الحساب والهندسة بالرغم من إمكانية تصنيف كتاب آخر فى الجغرافيا مستقلا عن كتاب الهيئة. ويدخل التاريخ ضمن علم الفلك، التاريخ الطبيعى، تاريخ اجتماع الكواكب ، تاريخ حركات الأفلاك، حوادث الاقتران والاتفاق<sup>(٣)</sup>.

وبالرغم من تصريح ابن سينا فى آخر كتاب "الهيئة" بأنه اختصر كتاب المجسطى كما لخص من قبل كتاب "الهندسة" لافلديس إلا أن الاختصار هنا يعنى التأليف فى الموضوع بعد مراجعته على واقع فلكى آخر فى زمن آخر وفى مكان آخر. ويصرح بذلك فى آخر الكتاب بل وفى آخر المقال أو فى أوله. وهو تصريح يؤكد الناسخ أيضا فى النهاية. وفى نفس الوقت يصرح ابن سينا أن غايته هى معرفة مدى تطابق ما فى المجسطى وبين المعقول فى العلم الطبيعى ومعرفة كيفية وقوع هذه الحركات وأن يورد الفوائد بعد المجسطى فى الزمان اللاحق ومطابقته مع زمان المجسطى بتجارب فلكية أخرى بعده تطويرا للعلم القديم وإكمالا للرصد القديم بالرصد الجديد. ولا يزعم ابن سينا أنه فلكى متخصص ولكنه رياضى دقيق<sup>(٤)</sup>.

(١) يتضمن كتاب "الهيئة" جهازا نقديا مستقيضا أدخل فى تاريخ الوثائق إذا ما كان بغير دلالة حضارية، مجرد رصد للنوابع والمتغيرات فى الحرف، مجرد تعاليم يكثف عن علم المحقق أكثر من دلالة النص.

(٢) الشفاء، الهيئة، مقدمة ص ١١-١٢.

(٣) السابق ص ٣١٣/١٤٦/٣٧٦.

(٤) السابق ص ٦٥٩/٦٤٩/٦٥١/٦٥٩، مقدمة ص ١١/٢٢.

ويعترف ابن سينا منذ البداية في العنوان أنه تلخيص كتاب بطليموس. ويقر الناسخ بأن ما حرره الشيخ مجرد جمع وتلخيص. ويتضح من مقدمة الكتاب ذكر اسم المجسطى صراحة وبأمانة بالرغم من صمت ابن سينا عن مصادره من أجل التحول من النقل الى الإبداع، كبداية وليس كنهاية، كمقدمة وليس كنتيجة، انتقالا من الجوامع والعرض الى التأليف والابداع خاصة وأن لفظ جوامع وارد في نص "الهيئة" مما يدل على اتصال النوعين الأدبيين: الجوامع والعرض. يقتدى ابن سينا بالمجسطى دون إبداع جديد إلا في أشياء قليلة حرصا على التحول الطبيعي من النقل الى الإبداع، واحتراما لسنة القدماء وتواصلها معها دون تعالم أو قطعية. الجديد تماما هو كتاب "اللواحق" الذي أعلن عنه ابن سينا دون أن يمهله العمر لاتمامه. "الهيئة" إذن عرض في الفلك و"اللواحق" إبداع فيه. وغرض ابن سينا هو تقريب المعانى الى الافهام، وهي إحدى غايات العرض ابتداء من المادة كلها وليس النص المحدد والتأليف في مادة الوافد وتجاوز ترجمة نصوصه والتعليق عليها والانتحال فيها ثم شرحها وتلخيصها وجمعها. العرض ابتداء من المادة والتأليف ابتداء من الذهن. ويترك ابن سينا الحسابات في الأشكال وترك ذكر تاريخ الأرصاد وتحاشى التكرار في الأشكال أى الرسوم التوضيحية. يكفى وضوح الفكرة دون ذكر الأمثلة والشواهد التي لا يعرفها إلا المتخصصون<sup>(١)</sup>.

ويمكن لانسان آخر إثبات هذه الجداول على نحو مطول أو مختصر. فالعلم عمل جماعى بين العلماء. واحد للفكرة والثانى للشواهد. الأول لقراءة الجداول والثانى لصنعها كما هو الحال في الدراسات الميدانية الحديثة. إلا أن التحليل النظرى فى الهيئة سابق على الجداول والاحصاءات والأشكال والرسوم. ولا يعنى الاختصار مجرد حذف من المادة بل قد يكون زيادة عليها من أجل حسن العرض واكتمال التأليف والربط بين الأجزاء. بل قد يعنى إعطاء تفصيلات لتقديم أجزائه وتقوية روابطه. بل إن اضافة الهيئة لبطليموس على أعمال أرسطو هو بكمال للوافد كله بصرف النظر عن المؤلف، وكذلك إدخال أصول الهندسة لإقليدس. والغريب نقص الفلك والرياضيات من أعمال أرسطو<sup>(٢)</sup>.

كان ابن سينا على وعى بنوعه الأدبى وما يسميه الاقتصار أى بداية ائتلاف بعد الترجمة والتعليق والانتحال والشرح والتلخيص والجوامع. العرض فى الوافد تأليف نسقى يعتمد على الوافد أكثر مما يعتمد على الموروث فى حين أن التأليف والتراكم تأليف إيداعى يبدأ بتمثل الوافد ثم تمثل الوافد قبل تنظير الموروث ثم تمثل الوافد مع تنظير الموروث. ثم يحدث التراكم فى تمثل الوافد بعد تنظير الموروث ثم تنظير الموروث وأخيرا الإبداع الخالص

(١) السابق ص ١٥-١٦.

(٢) السابق ص ٦٥.

الذى عادة ما يكون فى الرسائل الصغيرة. وبطبيعة الحال يكون الإبداع صغير الحجم عظيم القدر، فى حين تكون المراحل السابقة عظيمة الحجم كما هو الحال فى شروح ابن رشد وتلخيصاته وجوامعه، وعروض الفارابى الجزئية والكلية. التأليف يتجاوز العرض أولا فى العنوان، أنه ليس إعلانا للعرض، وفيه المؤلف جزء من القصد. وثانيا فى تزايد حضور نسبة الإبداع من خلال زيادة نسبة الموروث بجوار الوافد فى حين أن حضور الوافد فى العرض أكثر. وقد يفاوت الكتاب الواحد فى نسبة العرض والتأليف. إذ يضم ابن سينا المقالات التاسعة والعاشره والحادية عشرة فى واحدة تجاوزا للعرض الى التأليف عن طريق الاقتصار. كما تتفاوت المقالات داخل الكتاب الواحد بين العرض والتأليف. فإذا كانت الأولى أقرب الى التلخيص كما يعلن ابن سينا فان باقى المقالات الثلاث المدمجة مع باقى المقالات أقرب الى التأليف<sup>(١)</sup>. التأليف العارض هنا أقرب الى عرض الحالة الراهنة للعلم<sup>(٢)</sup>.

التأليف العارض قد يعنى هنا الأمالى والتجميع، إملاء مادة وتجميع معلومات دون جهد فى ابداعها. "الشفاء" كله مكتوب بهذه الطريقة. وقد سبق الفارابى استعمال هذه الطريقة فى الموسيقى الكبير، تجميع موسيقى القدماء فى مذهب متسق وكأنه يعطى الحالة الراهنة للعلم. لذلك يبدو ابن سينا فى "الهيئة" بل وفى مجموع "الشفاء" ناقلا للعلم جامعا له دون دراسة للموضوعات ذاتها ودون تحويل له من النظر الى العمل بل ودون تمثىل وبالتالي دون إبداع ظاهر. وهذا هو الذى دفعه الى اختصاره فى "النجاة". فبان "الشفاء" شبيها بالشرح الأكبر عند أرسطو أو التفسير و"النجاة" شبيها بالشرح الأصغر أى الجوامع. وظل "النجاة" أيضا مثل "الشفاء" علما نظريا خالصا، اتفاقا فى الكيف واختلافا فى الكم. فأعاد كتابته مرة ثانية فى "الإشارات والتنبهات" مضيفا قسما رابعا فى المقالات والاحوال ومعتمدا على التجارب الذوقية، من الداخل دون الاكتفاء من الخارج، التأويل مع التنزيل، منتقلا من الحكمة الى التصوف، ومن الوافد الى الموروث. لذلك أنت "الإشارات والتنبهات" تعادل الشرح الأوسط عند ابن رشد أى التلاخيص، بصرف النظر عن زمان الكتابة اكتفاء بالأنواع الأدبية.

وكثيرا ما يتحدث ابن سينا بحياد عن الآخر دون أخذ موقف حضارى ظاهر منه. الشفاء تأليف فى الظاهر ونقل فى الحقيقة عن طريق العرض عكس الترجمة التى هى نقل فى الظاهر وتأليف إيداعى فى الحقيقة. ولكنها خطوة ضرورية قبل التأليف فى الوافد وتفاعله مع الموروث وهو الإبداع. لا توجد "أنا" حاضر فى ابن سينا بل مجرد تمثىل للآخر وإغراق فى الوافد من أجل تقديمه فى مذهب حتى يسهل بعد ذلك تفاعله مع الموروث. بدأ ابن سينا منعزلا حضاريا،

(١) السابق ص ٣١٥/١١.

(٢) هذا هو الذى يسمى .The State of the Art.

تابعاً للوافد أو بلغة عصرنا في قمة التعريب مما سبب رد فعل الفقهاء عليه. "الشفاء" بطرق عصرنا يبدو مجرد "قص ولزق" مثل الطالب المبتدئ، أو الجامع لكل شيء<sup>(١)</sup>.

العرض عند ابن سينا أقرب إلى العلم الخالص، دائرة منغلقة منقسمة على عكس الكندي والرازي والفارابي في العروض الجزئية والكلية في مرحلة ما قبل العرض النسقي دون معرفة كيفية نشأة العلم وليس فقط نتيجة العلم. هو فكر مذهبي جاهز، غير تساؤلي ولا على. لا توجد له بداية ولا وسط ولا نهاية، لا سؤال ولا جواب، لا قضية ولا موضوع، لا إشكال ولا حل. يضع الحقائق ولا يبحث عنها. فكر بلا موقف ولا قضية ولا سياق. العرض هنا يعنى المذهبية وعدم إظهار الوافد بالموروث كخطوة نحو الإبداع. العرض تركيب مصطنع في حين أن الإبداع تركيب طبيعي. العرض تركيب ثابت في حين أن الإبداع تركيب عضوي متحرك. للعرض حدود جعلته ينتقل إلى مرحلة أخرى هو الإبداع. في العرض لا توجد مشكلة ولا قضية، ولا يوجد استدلال ولا برهان، ولا يوجد تقلص ولا تأمل، ولا يوجد فكر أو حكمة، مجرد عرض معلومات من الآخرين مع حسن العرض. لا يعيش العرض فكراً ولا يتأزم في موقف، ولا يقدم جديداً إلا الأسلوب والبناء وتقديم الوافد بطريق غير مباشر مع استعمال الموروث أحيانا كأداة للتوضيح ووسيلة للشرح. لذلك لا يقرأ "الهيئة" إلا مرة واحدة كمنسفة وبعد ذلك يدخل في تاريخ العلم. وفي هذه الحالة لا يكون ابن سينا حكيماً بل مفكراً موسوعياً نظم الحكمة الوافدة كلها وربطها بالموروث كأداة للشرح في بيئة ثقافية مغايرة. ويكون "إخوان الصفا" أكثر توفيقاً لأن فكرهم به إشكال وقضية، ويعتد أكثر على الموروث وأقل صورية وتجريداً، وأكثر إنسانية وشعبية<sup>(٢)</sup>. ابن سينا وإخوان الصفا بالرغم من أنهما يمثلان معاً العرض النسقي إلا أن ابن سينا يقدم العرض المنطقي وإخوان الصفا العرض الشعبي. كلاهما على طرفي نقيض من حيث عمليات التمثيل، والموقف من الأبناء، اثباتها عند الأخوان ونفيها عند ابن سينا، النقل عند الأخوان والعقل عند ابن سينا. وإذا كان الأخوان قبل ابن سينا تاريخياً فإن ابن سينا يكون رد فعل عليهم، انتقالاً من النقل إلى العقل، ومن الجزء إلى الكل، ومن الرسائل المتفرقة إلى "الشفاء" الجامع. وإذا كان السؤال لدى ابن سينا في "الشفاء" وفي "النجاة" وفي "الإشارات والتنبيهات"؟ يكون الرد: ابن سينا العارض في موسوعاته الثلاث، وابن سينا المؤلف المبدع في رسائله الصغيرة وفي النفس والنبوة والمعاد،

(١) لذلك يمكن مقارنته بوحش الفلسفة هيجل في الفلسفة العربية الحديثة والمعاصرة.

(٢) لم تنتشع أسطورة ابن سينا في نفسى منذ كنت طالباً في الجامعة إلا بعد دراسته وأنا أستاذ ومعرفة دوره في تاريخ الفلسفة الإسلامية.

وفى موضوعات الموروث فى "تسع رسائل فى الحكمة والطبيعات". موسوعات ابن سينا تأليف عارض ورسائله تأليف ابداعى<sup>(١)</sup>.

ويظهر الوافد كثيرا فى الهيئة، بطليموس وأبرخس يأتيان فى المقدمة على الاطلاق ثم طيموفارس ثم أرسطولوس ثم إقليدس، أنطستانس، ماطن، أنطيمن، أرشميدس، طيموريطلوس، أنطونيوس، أبولونيوس<sup>(٢)</sup>. يتحدث ابن سينا عن بطليموس أو ابرخس باعتبارهما آخر متميزا عن الأنا خاصة فيما يتعلق بالعصر والزمان. ويتحدث عن بطليموس بضمير الغائب ويشير اليه باعتباره هو ويصف فعله باعتباره آخر. والتمايز ليس فقط بين أفراد، ابن سينا وبتليموس بل أيضا بين حضارات، نحن وهم. ومع ذلك فالموضوع هو العنصر المشترك بين الأنا والآخر، بين نحن والههم<sup>(٣)</sup>.

لذلك يدرس ابن سينا الموضوع فى مواجهة الشعور عند بطليموس ثم يعيد الموقف نفسه واضعا نفسه مكان بطليموس حتى تتحدد التجريبتان فى تجربة مشتركة. كما يتابع الأسباب التى جعلت بطليموس يقول بهذا القول أو بذلك. فالعلم هو العلم بالأسباب ويدرك ابن سينا تصحيح بطليموس لأبرخس مما يبين معرفة ابن سينا بالموضوع وتاريخه وبما قيل فيه من خطأ وصواب، ورؤية ابن سينا الخاصة<sup>(٤)</sup>.

وابن سينا يقيم الوافد ولا يصف فقط. يدرس الموضوع نفسه ثم يراجع الوافد. على الموضوع المدروس مما يبيح له رؤية المسافة بين الاثنين فيقوم بالنقد والتصحيح بعد المراجعة والتفريق. ثم يكمل القول ويعيد اليه اتزانه. فبطليموس يزيغ أحيانا. ويحكم ابن سينا عليه ويكون رأيه الخاص فيه لأن بطليموس لا يتحدث عن نفسه. يدرس ما يدرسه بطليموس،

(١) كان فى حياته الخاصة يجمع بين النقل والابداع ومثمة الحياة *Dolce Vitae*. وكان يكتب أكثر من مؤلف فى نفس الوقت. يملئ على تلميذه أولا قبل حضور جمع التلاميذ وبعد التأليف مجلس الشراب والغناء والموسيقى. كان يكتب بحدس ابداعى. كتب عشرين جزءا بخطه، رؤوس المسائل وبقي يومين حتى كتبها كلها بلا كتاب ولا أصل بل من حفظه عن ظهر قلب. لقد وعى الفيلسوف كل شىء ونظم كل المعلومات، ونظر علوم الحكمة. كل يوم عشرون ورقة عرضا ثم خمسون ورقة شرحا مما يدل على حضور المادة والقدرة على السيلان فى التعبير. يبدأ بالمنطق وشرح الكل ما عدا الحيوان والنبات، ربما لتصب فى الذهن أو لنقص فى العلم أم يشك فى نسبة الكتابين للمعلم الأول أو لعدم دخولها فى النسق المنطقى بالرغم من إمكانية الحاقهما بالطبيعات. السيرة الذاتية ص ز.

(٢) بطليموس، أبرخس (٥٤)، طيموخارس (٤)، أرسطولوس (٢)، إقليدس، انطستانس، ماطن، أنطيمن، أرشميدس، طيموريطوس، انطونيوس، أبولونيوس (١).

(٣) الشفاء، الهيئة ص ٢١٤/١٥٢/٩٤، ٢٩٢/٣٠٨/٤٦٥/٧٩/٢١٤.

(٤) السابق ص ١٥٥/٢٧٤-٢٧٥/١٩٧.

ويعرف ماذا اختار وماذا ترك مثل الفارابي مع أرسطو. يبدأ ابن سينا بالشمىء ذاته دون قيل وقال. ويذكر حقائق دون وجهات نظر، ويعبر عنها بصيغ احتمالية وهو أسلوب العلم. وأحيانا تكون البداية بالقول ان كان فيه شك واحتمال الصدق والكذب. الموضوع أولا، والقول ثانيا. وأحيانا يكون الربط بينهما خارجيا مفتعلا بحروف العطف مثل "ثم"<sup>(١)</sup>. يدرس ابن سينا الموضوع ثم يراجع ما قاله بطليموس فيه بمصطلحاته. يعرف ابن سينا المسمى وقد تختلف الأسماء بينه وبين بطليموس. ويعطى استدلالات جديدة، ويراجع البراهين القديمة، ويسخف بعض الآراء ويقبل البعض الآخر. ويحدد المكان والزمان، والزمان بالمكان. يقيس المسافة بالوقت، ويقيس الوقت بالمسافة. ويحكم على بطليموس بما يعلم وبما لا يعلم، ويتحقق من علمه يقينا أم ظنا في الهيئة أو الجغرافيا. هناك حدود إذن لكتاب "المجسطى" الذى الفه بطليموس، ولم يحط علما على نحو يقينى ببعض موضوعاته. ثم استدرك بطليموس نفسه وعاد الى الموضوع على نحو يقينى فى "الجغرافيا". وابن سينا يدرك مجموع كتابات بطليموس وحدود كل كتاب<sup>(٢)</sup>.

ومع الكتاب المدون هناك تجارب الرصد. فالكتاب وحده ليس مصدرا للعلم بل الواقع والتجربة. ويراجع ابن سينا المصدرين، المدون على التجربة. التجربة مصدر التحقق. وقد تكون المراجعة لألات الرصد عند بطليموس. وحين المراجعة يسهل على ابن سينا ما عسر على الآخرين. ويشير ابن سينا الى باقى الأرصاد فكانت المراد موجودة فى العالم الاسلامى، ويتحدث عن عدة آلات مثل الشاقول والاسطرلاب مما يدل على أن الفلك علم تجريبي. ويجمع بين القياس الكمي والقياس الكيفي، بين التجربة والنظر. وقد كان الفلك مختلطا بالتنجيم فى البداية حتى تطور العلم وتحول الى علم دقيق. ويسمى التنجيم "علم أحكام النجوم". نقده الكندى والفارابى وابن سينا وابن حزم وابن طفيل<sup>(٣)</sup>.

ومع ذلك يعرض ابن سينا للغرض العام والقصد الكلى للمجسطى أو لأصول إقليدس دون شرح أو تلخيص عبارة عبارة أو فقرة فقرة أو مقالا مقالا كما هو الحال فى الجوامع عند ابن رشد. قد يكون للكتاب أكثر من غرض تتساوى فيما بينها أو غرض بالقصد الأول وغرض آخر بالقصد الثانى وكأننا فى مرحلة الفارابى فى العرض، تحقيق غرض أرسطو فى كتاب ما بعد الطبيعة<sup>(٤)</sup>.

(١) السابق ص ٣٦/١٥٩/٢١/١٥/٢٦/٨٣/٢٧٩/٢٨٢/٣٢٩/٣٤٦/٤٣٧/٣٢٦.

(٢) السابق ص ٢١٣/٤٤٠/١٨/٩٦.

(٣) السابق ص ٦٥٦-٦٥٧/٦٥٩/٦٥٢/٦٥-٦٦٥/٤٦٦-٤٢٨/٤٣٩-٩/١٢-٤٨-٤٩/٢٧٩-٢٨٠.

(٤) السابق ص ٤٦-٤٧.

وبالرغم من أن ابن سينا يبدأ الفقرة أو الفصل دون عبارة تمهيدية لوضع الشيء أو بيان المقصود منه، مجرد فقرة "اسميتية" تؤخذ أو ترفض مما يجعل العرض أقرب إلى المذهب منه إلى المنهج إلا أن هناك عبارات أخرى تكشف عن مسار فكر ابن سينا، بدايةً ووسطاً ونهايةً. فابن سينا يقدم موضوعه بدايةً، ثم يستمر في عرضه ثم يبين استنتاجاته، مستدركا على اللاحق بالسابق. يوضح ابن سينا ويبين أنه يعالج الموضوع ولا ينقل القول أو يكرره. يشعر بالاستطراد وفتح القوسين ثم يعود إلى الموضوع من جديد. ويقوم بالمراجعة والتصحيح وكأنه دارس مستقل وليس عارض بضاعة. ويسأل الأصدقاء العفو من الزلل، ويعتذر عن الخطأ مما يدل على التواضع بالرغم من الطابع النسقي المذهبي الكلي. فلا يستطيع الحكيم أن يكون متخصصاً في وعالم بكل شيء<sup>(١)</sup>.

كما يصف أفعال الشعور عند بطليموس محللاً إياها وشارحاً أسباب تعجبه والحكم عليها بل ويزيد ابن سينا من درجة التعجب مثل ذكر، جعل، اختار، استرذل<sup>(٢)</sup>. كما يصف أفعال الإيضاح مثل أوضح، بين، أظهر، كشف. وإذا ما صحح بطليموس شيئاً فإن ابن سينا يدرك فعل التصحيح لأنه عالم بتاريخ الآراء في الموضوع<sup>(٣)</sup>. كما يصف ابن سينا مسار فكر بطليموس وخطواته، مقدماته ونتائجه، بداياته ونهاياته وكأنه يفكر معه ويراجعه ويستأنف مسيرته. يتخيل العرض ويصحح الخطأ مما يدل على وجود مسافة بين الذات والموضوع<sup>(٤)</sup>. وتدل على أفعال البداية شرح، بدأ، ابتداء، افتتح، وأفعال الوسط مثل فلما فرغ، انتقل، أخذ، بين، وأفعال النهاية مثل انتهى، استنتج<sup>(٥)</sup>.

وما يفعله ابن سينا مع بطليموس في وصف أفعال الشعور يفعله أيضاً مع أبرخس واصفاً أفعال الشعور لديه مثل: وجد، حدس، ذكر، عرف، علم، اختار. والهدف هي الموضوعات المستتة التي يصفها ابن سينا وليس قول أبرخس ويصف أفعال شهر أبرخس كأنماط للاعتقاد من شك وظن ويقين. كما يصف ابن سينا مسار فكر أبرخس كيف ابتدأ وإلى أي شيء انتهى ويفعل نفس الشيء مع ارشميدس<sup>(٦)</sup>.

(١) السابق ص ٣١٥/١٠٥/٢١٤/٢٣٢/٢٥/٢١/٢٦٥.

(٢) السابق ص ٢٥/١٥٥/٣٢٧/٣٦٨/٣٥٥/٣٦٩/٤١٦/٤٢٣/٤٧٦/٤٥٨/٤٩٤-٤٩٥/٥٢٨/٦٥٢/٢٥٧/١٦٤/١٨٤.

(٣) السابق ص ٢٢٣/٥٤٩/٥١٠/٥١٩.

(٤) السابق ص ٣٦/٢١٣/١٨٤/٢٩٣/٣١٠/٣١٦/٣٣٦/٤٢٩/١١٨/٢٠٦/٢٢٥/٢٢٧/٢٦٦/٢٩١/٣٠٥/٣٠٧.

(٥) السابق ص ٣٧٥/٤٤٥/٤٥٦/٤٨٣/٣٩٦/٤٦٤/٤٧٢/٤٩٩/٥٦٢/٥٩٤/٦٢٢/٦٤٠.

(٦) السابق ص ٢٥٤/١٥٧-١٥٨/٢٢٥/٢١١/٣١٦/٣٦٠/٤٣٩/٤٦٥-٤٦٦/٤٦٦/٤٣٨/٤٣٩/٤١٧.

وأحيانا يقوم ابن سينا بوصف الشعور المزدوج لبطليموس وأبرخس ما فعله أبرخس وما أدركه بطليموس. ثم يتحقق ابن سينا مما فعل بطليموس في أبرخس، وينتهي الى حكم مثل القاضي وكما يفعل ابن رشد بين المتخصصين، الفلاسفة والغزالي، المعتزلة والأشاعرة. ابن سينا هو الذى يمتلك الكل، وبطليموس وأبرخس كل منهما يمتلك جزءا. ابن سينا مثل الفارابى فى "الجمع بين رأيى الحكيمين" وهو الحديث المركب: ابن سينا يتحدث عن بطليموس الذى يتحدث عن أبرخس كما هو الحال فى منهج الرواية عند المسلمين متجاوزا الرواية بمعنى النقل الى الرواية بمعنى التحقق من صدق المروى وتدل هذه الرواية على الوعى العلمى الجمعى وعلى انتقال العلم من اليونان الى المسلمين، من أبرخس الى بطليموس الى ابن سينا. لذلك يتحدث ابن سينا فى ضمير المتكلم الجمع تأكيدا على جماعة العلماء دون تمييز بين الحضارتين اليونانية والاسلامية. قد يتفق الاثنان، بطليموس وأبرخس وقد يختلفان. وقد يتفق ابن سينا معهما وقد يختلف. وقد يختلف الاثنان ويتفق ابن سينا مع أحدهما ضد الآخر. ومن ثم تكون الاحتمالات كالاتى<sup>(١)</sup>:

١- فى حالة اتفاق بطليموس مع أبرخس يكون امام ابن سينا

أ- الاتفاق مع كليهما.

ب- الاختلاف مع كليهما.

٢- فى حالة اختلاف بطليموس مع أبرخس يكون أمام ابن سينا

أ- الاتفاق مع هذا الاختلاف.

ب- الاتفاق مع بطليموس ضد أبرخس.

ج- الاتفاق مع أبرخس ضد بطليموس.

د- الاختلاف مع الاختلاف.

وتذكر المؤلفات السابقة. فالتأليف الجديد استئناف للتأليف القديم فيذكر المجسطى لبطليموس، وكتاب الواحق وكتاب الأصول لإقليدس<sup>(٢)</sup>. التأليف وحدة واحدة، داخل الحضارة اليونانية، تراكم علمى واحد، فاذا ما عرض ابن سينا للهيئة فانه يذكر مؤلفاتها التكوينية كعلم مدون<sup>(٣)</sup>.

(١) السابق ص ٢٢٠/٢٦٩/١٥٦/١٨٤/١٨٦/١٩١.

(٢) المجسطى (٧)، الواحق، الأصول لإقليدس (١).

(٣) الشفاء، الهيئة ص ٤٣٨/٢٩.

ويذكر ابن سينا الأوائل والمتقدمين الرياضيين كلا منهما مرة واحدة مما يكشف عن الوعي العلمى التاريخى. فلا جديد دون قديم، ولا علم دون تعلم. وبضيف على رصد المتقدمين رصد أبرخس ورصد المتأخرين ورصده هو. فالتراكم العلمى جزء من العلم. لذلك يتكلم ابن سينا بضمير المتكلم الجمع دلالة على جماعة العلماء<sup>(١)</sup>.

ولم يغير ابن سينا كثيرا من أسماء الأماكن اليونانية كما فعل ابن رشد بعد ذلك سقط الأمثلة اليونانية وواضعا مكانها أمثلة عربية . يدركها ابن سينا كما هى ولا يشرحها مثل بلاد بريطانيا الكبرى. وأحيانا يكرر ابن سينا أسماء الجزر التى يذكرها بطليموس مثل جزيرة رودس دون أن يغيرها الى أسماء عربية لاعادة قياس الرصد ودون أن يراجع إيمانها أو يشرحها للقارئ العربى أو يرسم لها خريطة. ولا يعدل ابن سينا أسماء الأماكن والمناطق والقياسات بحسب المنطقة العربية. ويورخ بالتاريخ اليونانى دون تغييره كما فعل بطليموس<sup>(٢)</sup>.

٤- الوافد فى الالهيات. وفى الالهيات لا يحضر الوافد حضوره فى المنطق أو الرياضى. فالالهيات هى خاصة الحضارة الاسلامية. وفى نفس الوقت لا يحضر الموروث. ولا تذكر الشواهد القرآن أو الحديث. ولا تؤخذ المادة من العلوم الاسلامية. بل تعتمد الالهيات على العقل الخالص إلا فيما ندر.

ففى الجزء الأول من الالهيات لا تظهر أسماء أعلام الوافد إلا نادرا. فلا تذكر إلا الأفلاطونية، وسقراط، وانسكاجوراس، وأقليدس<sup>(٣)</sup>. فالمثل الأفلاطونية لها وجود فى الأذهان وفى الأعيان فى حين أن التصورات، الأجناس والأنواع أى الكليات الخمس لها وجود فى الأذهان فقط دون الأعيان. ويذكر سقراط كموضوع فى قضية "سقراط فيلسوف" لتعريف موضوع حادث كاسم مجرد وليس كمسمى. وذكر أوقليدس بالنسبة الى كتابه "كتاب أوقليدس" وليس الى شخصه كنموذج للبراهين الهندسية. وكل الحوادث لها مبدأ عام بين نفسه مثل كثير من الأمور الهندسية المبرهن عليها فى كتاب أوقليدس. فأمر العلم قد تجد براهينها فى علم آخر. ويذكر انسكاجوراس ونظريته فى الخليط لتفسير التقديم أسوة بباقي النظريات التى تجعله الظلمة أو الهاوية أو اللامتاهى الذى لم يزل ساكنا ثم حرك. ولا يتكرر اسم علم مرتين، بل مرة واحدة، مجرد إشارة، مجرد ارتباط بالتاريخ حتى لا تبدو الالهيات بلا تاريخ معلقة فى الهواء<sup>(٤)</sup>.

(١) السابق ص ٣٢٧/٤٦٣/٥٦٩-١٨٨-٢/١٨٩.

(٢) السابق ص ١٠٢-١٠٣/٨٥/٤٤١.

(٣) الأفلاطونية، سقراط، انسكاجوراس، اوقليدس(١).

(٤) الالهيات ج١-٤/٢٠٤/٢٤٦/٨/١٨٣.

وفى الجزء الثانى من الالهيات يأتى أفلاطون أولا ثم سقراط<sup>(١)</sup>. يذكر أفلاطون وسقراط فى نظرية المثل ورفضها فى المقالة السابعة فى الفصل الثانى. وصلة أفلاطون بسقراط صلة الشيخ بالمريد صلة إسلامية. كلاهما يقول بالمثل. فالإنسانية معنى واحد يشترك فيه الأشخاص ولا يزول بزوالها، وليس هو المعنى المحسوس المتكثر الفاسد بل المعنى المعقول المفارق. هذه المعقولات إن كانت أجزاء ذات تكثرت كأعراض وان كانت لواحق ذات فلا تكون واجب الوجود. وإن كانت أمورا مفارقة أصبحت صوراً أفلاطونية. فلم يبق إلا أنها فى العقل وليست فى الخارج، وكأننا مع حجج الفقهاء ضد التصورات فى عالم الأعيان<sup>(٢)</sup>.

وفى الجزء الثانى من الالهيات، فى المقالات الخمس الأخيرة يظهر الوافد اليونانى بطريقة أوضح مع الموروث. فيذكر المعلم الأول، والتعليم الأول، ثم الفيثاغورية والفيثاغوريون ثم أفلاطون والصور الأفلاطونية وبطليموس وفاضل المتقدمين والمجسطى<sup>(٣)</sup>. فبينما لم يظهر المعلم الأول أو التعليم الأول فى الجزء الأول من الالهيات على الإطلاق فإن المعلم الأول يظهر فى الجزء الثانى مع التعلم الأول دون أرسطو ومثل أفلاطون وسقراط وبطليموس وأقليدس. فأرسطو هو الوحيد الذى تحول من الشخص إلى الرمز، ومن الفرد إلى المعيار، ومن العالم إلى العلم. ويدافع ابن سينا عن الشكوك التى تقال على المعلم الأول ضد تشويهات المشائين وشكوكهم يونان ومسلمين وكما سيفعل ابن رشد فيما بعد. فمن الشكوك إن المعلم الأول لم يستوف القسمة فى كون الشيء من شيء آخر وترك من الأقسام ما كان استكمالاً مع أن كلام المعلم الأول ليس فى الذى يكون لا محالة يتحرك بالفعل بل فى الذى لو لم يكن عائق لطبيعته. فابن سينا يصحح مكان معنى كلام المعلم الأول، ويضبط قصده كما هو الحال فى تحقيق المناط عند الأصوليين. كما يرد على الاعتراضات الموجهة إلى المعلم الأول وهو ألا يكون هناك معنى غير البعدية، وأنه يتكلم فى مبادئ الجوهر مطلقاً، وأعرض عن العنصر الذى هو فى قوام الجوهر. ويرفع ابن سينا التناقض بين حركة الفلك بالطبع أو بالنفس أو بالعشق. فجوهر الخير المعشوق واحد حتى ولو كان لكل كرة معشوقها ومحرك قريب يخصصها على ما يرى المعلم الأول والمشاورون من بعده. فإن محرك الكل واحد. وإن حسن فهم عبارات المعلم الأول وتلخيصها حتى دون الغوص فيها ينتهى إلى ما انتهى إليه ابن سينا. وهو ما انتهى إليه أيضاً بعض الشراح مثل فاضل المتقدمين الاسكندر

(١) أفلاطون(٢) الأفلاطونية، سقراط(١).

(٢) الالهيات جـ ٣٦٥/٣١١/٢.

(٣) المعلم الأول(٩)، التعليم الأول(١)، الفيثاغورين(٢)، الفيثاغورية(١)، أفلاطون، بطليموس(٢)، سقراط،

الصور الأفلاطونية، فاضل المتقدمين، المجسطى(١).

هذه المرة (وليس جالينوس) من أن محرك السماء واحد وليس كثيرا. كما عبر عن ذلك في رسالته التي في مبادئ الكل. وهو أقرب تلاميذ المعلم من سواء السبيل بالرغم من أن على مذهب المعلم الأول يوجد قريبا من خمسين من المفارقات آخرها العقل الفعال. بل إن فاضل المتقدمين افترض مبدأ العناية بالأمر الفاسدة تحت فلك القمر بالاضافة الى أن حركات السماوات لا تكون إلا لذواتها لا لمعلولاتها ثم الجمع بينهما عن طريق التشبه بالخير المحض والحركة بالعشق. ثم يتحول ابن سينا من المعلم الأول الى التعليم الأول تحولا من الشخص الى الموضوع، ومن العالم الى العلم. فالعلم لا صاحب له ومحिला الى باقى أعماله من أجل توضيح الشكوك التي أثارها الشراح حوله<sup>(١)</sup>.

ويذكر الفيثاغوريون والفيثاغورية كفرقة وليس كشخص أى كتيار ومذهب وليس كفرد نظرا لقيام العرض ببناء الموضوع المستقل عن الشخص، وما الشخص إلا رمزا لأحد جوانبه. وكما يرفض ابن سينا نظرية المثل فإنه يرفض أيضا النظرية الفيثاغورية وهى شبيهة بها ولكن على نحو رياضى. فالعدد يتألف من وحدة وجوهر. والوحدة لا تقوم وحدها والمحل جوهر. فيلزم التركيب والكثرة. وقد جعل الفيثاغوريون الوحدات غير المتجزئة مبادئ للمقادير وأن المقادير تتجزأ الى مالا نهاية. وهو نوع من القول بنظرية المثل الرياضية. ولكن أكثرهم يرون أن العدد التعليمى هو المبدأ ولكنه غير مفارق ومن ثم ينزل درجة عن نظرية المثل. ومنهم من يجوز تركيب الصور الهندسية من الأحاد فيمتنع تصنيف المقادير اى أن المثل انما هى تجريد للمحسوسات على نحو استقرائى، تجريد الكليات من الجزئيات. ومنهم من لا يرى غضاضة فى جعل التعليميات مركبة من أعداد تنقسم الى مالا نهاية. ومنهم من يميز بين الصور العددية والصور الهندسية. وكلهم ضالون غاطون. ويعدد ابن سينا أسباب الخطأ والضلال فى خمسة أسباب. وقد أقاض ابن سينا فى نقد نظرية المثل ليس نعية للمعلم الأول بل لخطورتها على التوحيد. كما رفضها الفقهاء خاصة ابن تيمية لافتراضها وجود صور مقارنة متعددة ليس فقط فى الأذهان بل أيضا فى الأعيان. وقد وقع بطليموس أيضا فى نظرية المثل على نحو فلكى فى علم الهيئة. فقد كان العلم قبله يتصور أول المفارقات كرة الثوابت، وعند بطليموس كرة خارجة عنها محيطية بها غير مكوكية. والاشارة الى "المجسطى" أيضا فى نفس الموضوع ولكن على نحو طبيعى. ففى "المجسطى" توجد حركات وكرات سماوية كثيرة ومختلفة فى الجهة والسرعة والبطؤ. والاشارة الى الكتاب وليس الى الكاتب، الى التأليف وليس الى المؤلف تحولا من الشخص الى الموضوع<sup>(٢)</sup>. ومازالت المصطلحات عند ابن سينا لم تستقر بعد كما هو الحال عند الكندى. إذ

(١) الايهات جـ ٢/٣٢٢-٣٢٣/٣٢٦/٣٢٩/٣٩٢-٣٩٣/٤٠١، النجاة ص ٢٦٦-٢٦٧/٢٧٣.

(٢) الايهات جـ ٢/٣١٢-٣١٤/٣١٤/٣١٦/٣٩٢-٣٩٣، النجاة ص ٢٦٦-٢٦٧.

يستعمل الأيس والليس بمعنى الوجود واللاوجود أو الوجود والعدم اسما الأيس، وفعلا أيس، ومصدرا تأيسا. وما زال لفظ الأسطقسات معربا ولم يتم نقله الى لفظ عربى<sup>(١)</sup>.

وواضح أن كل الفلاسفة اليونان المذكورين موضوعون موضع النقد مثل أفلاطون وسقراط لقولهم بنظرية المثل، والفيثاغوريين لقولهم بنظرية الأعداد المفارقة وبطليموس لقوله بالكرات الثابت خارج العالم فأين التبعية؟ بل إن ابن سينا يتميز عنهم ويسمى فلسفتهم الحكمة المشائية وهم علماء المشائين أو الشراح. يتضح الجانب النقدي عند ابن سينا فى الداخل والخارج مثل نقده أحداث المتفلسفة الإسلاميين الذين شوشوا الفلسفة بعدم فهمهم غرض الأقدمين، ووقعوا فى تشبيه الأجسام بعضها ببعض، الأقل كمالا مع الأكثر كمالا. ويرفض الثنائية اليونانية التى نشأت عبر التاريخ من أجل رد الاعتبار الى عالم الحس والواقع كما فعل الفقهاء خاصة ابن تيمية<sup>(٢)</sup>. وللتخفيف من طابع التجريد يخاطب ابن سينا القارئ المفكر ويلجأ الى عاطفة التوحيد لديه لنصرته ضد نظرية المثل الفلسفية عند سقراط وأفلاطون أو الرياضية عند الفيثاغوريين.

وفى الجزء الثانى من الالهيات يذكر الحكماء الأقدمون واليونانيون والأقدمون والقدماء وعلماء المشائية وقوم من أحداث المتفلسفة الإسلامية لنقدمهم ومراجعتهم وليس لتبعيتهم<sup>(٣)</sup>. فمذهب الحكماء الأقدمين فى المثل ومبادئ التعليمات. والسبب الداعى الى ذلك مرفوض. ويوضح ابن سينا الأسباب التى أدت إلى هذا الجهل. ويحلل نظرية المثل تاريخيا. فإن كل صناعة تنشأ نشأة فجأة ثم تتضح شيئا فشيئا حتى تكتمل. لذلك كانت الفلسفة فى البداية خطيبة ثم أصبحت جدلية ثم اكتملت فى البرهانية وهى أنواع الأقاويل الثلاثة عند ابن رشد. وهى ليست أنواعا فى الخطاب فحسب بل هى مراحل تاريخية من البداية الى التوسط الى النهاية، من الطفولة الى الصبا الى الرجولة كما هو الحال عند الفارابى فى تطور العلوم الفلسفية الى البرهان ذروة المنطق، ما قبله مههد له، وما بعده انهيار منه<sup>(٤)</sup>. كما نشأت الطبيعيات عند الجمهور قبل التعليمات والالهيات انتقالا من المحسوس إلى المعقول. وظن الناس أن القسمة توجب شيئين: حسى وعقلى، مادى ومفارق، زائل وأزلى. وجعلوا لكل موجود حسى وزائل صورة مفارقة عقلية أبدية. وجعلوا العلوم والبراهين تنتج نحو المعقولات الأزلية. هنا يشرح ابن سينا على نحو تاريخى نفسى نشأة نظرية المثل عن طريق التوهم والعادة. وقد يقع

(١) الالهيات ١/٢٦٦-٢٦٧/٤١٠-٤١٤/٤٠٩-٤١٤، النجاة ص ٢٢٣.

(٢) وهو ما فعله هينجر فى الفلسفة الغربية المعاصرة.

(٣) علماء المشائية (٢)، الحكماء الأقدمون، اليونانيون، الأقدمون، القدماء، قوم من أحداث المتفلسفة الإسلامية (١).

(٤) لسنج: تربية الجنس البشرى، دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٧٦.

البعض فى التيار العكسى. فيشوق الأجسام المادية وليس المعقولات المفارقة نظرا لتشبه الأجسام الأقل كمالا بالأجسام الأكثر كمالا كما فعل أحداث المتفلسفة الاسلاميين فى تشويش الفلاسفة عندما لم يفهموا غرض الأقدمين. فمن هم هؤلاء؟ هل الفارابى ام الصوفية، وكلاهما مكونان للفلسفة الاشرافية عند ابن سينا؟<sup>(١)</sup>.

ويتعامل ابن سينا مع مذاهب عامة وكأنها بنيات عقلية وليست تيارات تاريخية. ويشير اليها بأصحاب الحقيقة، المذهب، المذهب الحق، الفرقة، القدماء، الفيلسوف المتقدم، الفلاسفة أو مجرد قوم دون تحقيق المناط لمعرفة من هم هؤلاء الأقوام والفرق وأصحاب المذاهب والقدماء والفلاسفة على وجه التحديد. فأصحاب الحقيقة لا يشتغلون بأمثال هذه الأشياء أى الالهيات البرهانية. ربما هم الصوفية الذين يدركونها عن طريق الذوق. أما مذهب الجزء الذى لا يتجزأ فهو مذهب المتكلمين. أما القوم والقوم الآخرون، الفرقة الأولى والفرقة الثانية فيمثلون آراء واتجاهات فى المعرفة. فالإضافة عند قوم تحدث فى النفس إذا عقلت الأشياء. وعند قوم آخرين تحدث الإضافة فى الأعيان. ولكل فريق حجج وحجج مضادة ضد الفريق الآخر. أما الفلاسفة فقد يعنى بهم مجموع الحكماء دون أحدهم على التصليل كنوع أدبى أوتيار فلسفى. والمذهب الحق هو مذهب ابن سينا الذى يرث الواقد كله والموروث أيضا والذى على أساسه يثبت الدائرة. ويستعمل ابن سينا أيضا ألقاب الحكماء الأقدمين، القدماء، عامة القدماء، الفيلسوف المتقدم. يظهر تعبير "الحكماء الأقدمين" مرة واحدة فى عنوان المقالة السابقة من الفصل الثانى. وتعبير القدماء مرة واحدة أيضا. ويعرفهم ابن سينا بأفكارهم، التقابل بين العدم والملكية، وهو التضاد الأول، ووضع الصورة تحت الملكية. أما عامة القدماء فهم جمهور القدماء الذين يقولون بتقدم القوة على الفعل لا فى الزمان وحده. البعض جعل وجود الهيولى قبل الصورة ثم بسببها الفاعل الصورة بعد ذلك اما ابتداء من نفسه أو لداع ظنه بعض الشارحين وهو لا يعنيه ولا يقوى على الخوض فيه. ويتحدث ابن سينا عن "الشارعون". هل هم المتكلمون أصحاب الشريعة والفقهاء وباعثهم الدينى الذى يخرج عن إطار الالهيات العقلية أم هم المشرعون اليونان؟ أما الفيلسوف المتقدم فيبدو أنه رياضى يجعل السنة مكونة من ثلاثة وثلاثة أو ستة مرة واحدة<sup>(٢)</sup>.

٥- الموروث. أ- التمايز بين الأنا والآخر: ويظهر الموروث فى الموسوعات الثلاث بداية بالتمايز بين الأنا والآخر وهو أساسا تمايز فى الزمان والعصر كما أنه تمايز فى الحضارة والثقافة. هذا الاحساس بالتمايز بين الأنا والآخر هو نفسه احساس بالتحول من النقل

(١) الالهيات ج ٢ / ٣١٠-٣١١/٣٩٩/٤٠١، النجاة ص ٢٧١.

(٢) الالهيات ج ١ / ١٢٣/١٤٦/١٤٨/١٥٦/١٧١/٣١٠-٣١٣/١٢٨/١٨٢-١٨٣/١٢٢.

إلى الإبداع سواء اتفق ابن سينا مع المعلم الأول أو اختلف معه أو حاذاه. فليست المطابقة هي القضية. القضية هي إعادة التفكير في مسار فكري مستقل. ولا يحدد ابن سينا أحيانا من هو الآخر على وجه العموم أم على وجه الخصوص. يكتب بالاشارة الى ظن بعضهم أو قوم أو بعض الموهبين ويعلن خلافه معهم. ولا يتحدث ابن سينا عن أرسطو أو حتى عن المعلم الأول بل عن التعليم الأول انتقالا ثانيا من اللقب الى الموضوع بعد أن تم الانتقال سلفا من الشخص الى اللقب<sup>(١)</sup>. البداية بذكر التعليم الأول تجميعا دون تعقب الترتيب. والجمع أى النسق عمل إيداعى دون تكلف ترتيب جديد. فالانشغال بالمضمون أهم من الصورة، ويعتبر ابن سينا نفسه أقرب الى التعليم الأول من غيره وأقرب الى غرضه فى فهم المطلق. ويحذر من سوء الفهم. ومن ثم يكون اتهام ابن رشد لابن سينا بسوء تأويله لأرسطو هو نفسه اتهام ابن سينا لغيره من الشراح. وأحيانا يذكر قول المعلم الأول بدل التعليم الأول. وغالبا ما يدرس ابن سينا بنفسه الموضوع فىأتى متفقا مع التعليم الأول. ويولد القول أمثلة فى ذهن ابن سينا متفقا معه. ولا بأس فى ترتيب إيداعى جديد فى بعض الموضوعات التى يبدو ترتيبها غريبا ان لم يكن كلها<sup>(٢)</sup>. ولكن القطن تغنيه جودة الفهم عن الترتيب. والبليد لا ينقصه الترتيب الحسن الجديد<sup>(٣)</sup>. ويتضح ذلك خاصة فى "الجدل" وفى "الشعر" وفى "منطق المشركين". وفى "الجدل" يشعر ابن سينا بالزمان والعصر واختلاف الأواخر عن الأوائل، والخلف عن السلف مع نقد الخلف المتجادلين والمشاعيين من أهل الزمان وكل زمان بصرف النظر عن المناطق، هل هم المتقدمون وهم اليونان الذين كانوا أحرص على الحق منهم على المرءة، وكانوا أمهر فى فن الصناعة أم هم المتأخرون المجادلون من أهل هذا الزمان، زمان ابن سينا، المتكلمون الذين لا بهمهم إلا الغلبة؟ التعيين والتخصيص يجعل القانون خاصا، فى حين أن التعميم والشمول يجعله قانونا للبشر جميعا. يرتبط الأوائل بالحق كما يرتبط الأواخر بالسلطان. يقبل الأوائل المقدمات والنتائج فى حين يقبل الأواخر المقدمات دون

(١) وذلك مثل التحول التدرجى من الشخص الى اللقب الى الهوية السيد المسيح فى العقائد المسيحية الأولى.

أنظر دراستنا "ظاهريات التفسير" (بالفرنسية) ص ٤٢٨-٥٠٨.

(٢) أنا سنبتدىء فى هذه المقالة بذكر المواضع سالكين فيه سبيل التعليم الأول. فان ما أثبت فى التعليم الأول اثبت على سبيل جمع من غير أن يتعقب مرة أخرى للترتيب فان جميع ذلك عجيب عظيم. والشغل به ربما صرف عن معاودة التكلف لما هو عائد بحسب الرتبة دون الضرورة. فلو شاء أن يرتب ما هو مواضع الاثبات والنفى المطلقين على حدة ويميزه عن الذى يخص العرض من حيث له الوجود العرضى لم يكن بما يتكلفه من ذلك بأسماء. وكذلك ان كان من المواضع شىء بينه وبين نطقه موضع كأنه غريب بينهما فلمتكلف أن يتكلف تغيير الحال فيه. "الشفاء"، الجدل ص ١٠٣.

(٣) الشفاء، البرهان ص ١٨١/٢٨، الجدل ص ٣٤/٣٤/٣٧/١٨٠/٣٦/١١٢/١٠٣ القياس، ص ٨٩-٩٠/

٢٠١-٢١٠-٢١١، النجاة ص ٢١٣.

النتائج ومن ثم فهم لا يعرفون أصول القياس. ولفظ "الأوائل" له معنيان، أوائل العقل وأوائل التاريخ. وكلاهما أوائل. قد يقترب ذلك من تصور المتكلمين لانتهاء التاريخ وتناقص الفضل، جيلا وراء جيل، وأن السلف خير من الخلف (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات)، وأن خير القرون قرن النبي، وأن الخلافة ثلاثون سنة تتحول بعدها إلى ملك عضود. فهل الأقوال تختلف من زمان إلى زمان، وطرق السؤال والجواب تختلف من عصر إلى عصر؟ فالجدل مرتبط بالتقافات. وأساليبها في الإقناع به قدر كبير من الخصوصية على عكس منطق البرهان<sup>(١)</sup>.

ويعبر كتاب "الشعر" عن نفس المعنى. فقد ذكره المعلم الأول مرتين. الأولى زمان المعلم الأول، احساسا بالعصر والتاريخ والزمان، الأوائل والأواخر، المتقدمون والمتأخرون، إبرازا للأجيال وتراكم الخبرات، والقراءات المستمرة عبر العصور. فالمعلم الأول في الزمان والتاريخ. لقد تغير الشعر في التاريخ بالرغم من أن المعلم جعل الشعر أقل درجة في المعرفة من التاريخ. فهناك أشعار المتقدمين في الهجاء. أما المتأخرون فلم يكن يعملون بالحقيقة طراغوديا. وكان القدماء أقدر من المتأخرين على اللحن والوزن. وكان المتأخرون على اجادة الوزن واللحن أقدر منهم على حسن التخيل بنوعى الخرافة. كان الأولون يقررون الاعتقادات في النفوس بالتخيل الشعري. وكان الأولون القدماء يستهينون في الخرافات حتى يتوصوا إلى الغرض. أما المحدثون فقد مهروا فيه. كان القدماء يذمون ذلك ويشبهون الشاعر المفتقر إليه والقاتل به بأبى ززة (القرء) ويعنى خلط القول بالأغاني والحركات<sup>(٢)</sup>.

ويقر ابن سينا بأن كتاب الشعر تلخيص للقدر الذى وجد في البلاد إحساسا منه بنقص الكتاب. ويعنى التلخيص هنا الاختصار كما ورد في باقى كتب الشفاء. وبعض ما به مازال صالحا. وكل شيء فيه ليس مقبولا. فقد تغير الزمن وقدم العهد، ولم يعد تحليل الشعر القديم مواكبا لمتطلبات العصر. لا يوجد شيء اذن اسمه أثر اليونان في غيرهم من الثقافات والشعوب بل يوجد مسار حضارى واحد لحضارة بشرية واحدة متعددة الثقافات، ومنتالية المراحل. لذلك يجتهد ابن سينا في علم الشعر المطلق، علم الشعر العام، الشعر ذاته لا يونانيا ولا عربيا. فالإبداع في علم الشعر الخاص طبقا للزمان والعادة على نحو تحصيلي وتفصيلي. ويقتصر ابن سينا في كتاب الشعر على درجة الانتفاع به في العلوم أى في مجموعة المنطق. كان ابن سينا إذن يريد الإبداع في بنية الشعر ولكنه كان متقلا بالمعلومات حتى تاريخ الشعر،

(١) الشفاء، الجدل ص ٢٦-٢٧/٩٤.

(٢) الشفاء، الشعر ص ٤٧-٤٨/٣٩/٦٠.

يعلم عن الهدف في النهاية. فالنقل وسيلة والإبداع غاية. ترك ابن سينا المجال مفتوحا لغيره من الأجيال اللاحقة للإبداع في علم الشعراء المطلق<sup>(١)</sup>. فهل تحققت النبوة؟

والحقيقة أن ابن سينا يكمل الموضوع ويطوره. فقد بقي منه شطر صالح والآخر غير ذلك بعد التمثل والاحتواء. وإصدار حكم قيمة يدل على قدرة على النقد والتطوير. ويؤسس علم الشعر المطلق أي العلم العام انتقالا من الخاص اليوناني إلى النظرية العامة التي يمكن تطبيقها على الشعر العربي وغيره من أشعار الشعوب والأمم الأخرى. ويطبقه على الشعر العربي الحالي بسبب عادة الزمان ونقل النص اليوناني من الثقافة اليونانية إلى الثقافة العربية، ومن روح العصر القديم إلى روح العصر الحديث، وإعادة إنتاج كتاب الشعر مع مزيد من التفصيل. والغاية استقصاء الثقافات وإحصائها من أجل الانتفاع بها. وكلها علوم لأن الغاية تأسيس العلم. ويذكر المعلم الأول على الإطلاق دون تشخيص له باسم أرسطو، مجرد للقلب دون الشخص. ويشير إلى البيئة الجديدة التي يتم التلخيص فيها في هذه البلاد وظهور التلخيص في ثقافة وأقليم مختلفين تأسيسا للثقافة الوطنية. فالنقل مقدمة للإبداع، وليس غاية في ذاته، والاجتهاد مفتوح لكل الشعوب أسوة بروح الحضارة الإسلامية في الاجتهاد ورفض التقليد.

انتقل ابن سينا من الآخر إلى الأنا، من المحاكاة إلى التخيل، من أرسطو إلى عبد القاهر الجرجاني. ليس ذلك سوء فهم للمحاكاة بل نقلها من بيئة حضارية إلى بيئة أخرى. لم تعد المحاكاة موضوعا مستمرا بل أصبحت موضوعا منقطعاً واستأنفه التخيل باستفاضة انتقالا من الشرح إلى التأليف، ومن النقل إلى الإبداع. فالشعر ليس منطق برهانيا يعتمد على الدليل بل هو منطق إيحائي يعتمد على التخيل. ويجتمع عند ابن سينا التخيل مع التصديق. الشعر جزء من المنطق. والناس أطوع للتخيل منهم إلى التصديق. منطق التأثير للجماعة كما هو الحال في التصوير الفني والفن القصصي في القرآن، والمنطق الصوري للخاصة. الخطابة للتصديق والشعر للتخيل. وسواء كان التخيل تصديقا نفسيا أم عقليا فكلاهما صحيح. فالنقد مطابقة ليس بالضرورة مع الواقع بل قد تكون مع النفس. قام الشعر اليوناني على المحاكاة لأنه يقوم على الأفاعيل والأحوال في حين يقوم الشعر العربي على التخيل. وليس التخيل كالمحاكاة جزءا من الجمال بل هو كالأستدلال الشعري. والمحاكاة والتخيل عند ابن

---

(١) هذا هو تلخيص القدر الذي وجد في هذه البلاد من كتاب الشعر للمعلم الأول. وقد بقي منه شطر صالح. ولا يبعد أن نجتهد نحن فنبتدع في علم الشعر المطلق. وفي علم الشعر بحسب عادة هذا الزمان كلاما شديدا التحصيل والتفصيل. وأما هاهنا فنلتصم على هذا المبلغ. فان وكذا غرضنا الاستقصاء فيما ينتفع به في العلوم، والله أعلم وأحكم، الشفاء، الشعر ص ٧٥.

سينا مثل التمثيل والاستعارة عند اللغويين. لذلك جمع ابن سينا بين الوافد والموروث، وقرأ الوافد من خلال الموروث<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت فكرة المحاكاة فكرة رئيسية عند أرسطو فإنها فقط كانت المهماز، الدافع والمثير والمنبه للعارض كي يحتويها في مفهوم التخيل. وهو مفهوم رئيسي في الفلسفة لتفسير النبوة، ظل مستمرا عند الحكماء وعلماء البلاغة القدماء حتى المفسرين المحدثين<sup>(٢)</sup>. وشتان ما بين الاثنين. المحاكاة تقليد للطبيعة بينما التخيل تعبير عما في النفس. المحاكاة تقليد، والتخيل إبداع. لذلك لا يمكن أن يكون التخيل محاكاة وإن كان محتويا لها. المحاكاة تفسير للفن والتخيل تفسير للواقع الاجتماعي. هدف المحاكاة الصنعة، وهدف التخيل التأثير في النفس من أجل التغيير الاجتماعي. مقياس الصدق في المحاكاة التطابق مع الطبيعة، وفي التخيل الصدق مع النفس. لم يضع ابن سينا التخيل في مواجهة المحاكاة دليلا على ترده بين الحاجة الى اثبات الطبيعة الخيالية غير المنطقية للشعر وبين الرغبة في الحاقه بالمنطق بل لأنه ينقل النص الأرسطي ويقرؤه ويعيد انتاجه من بيئة ثقافية إلى بيئة ثقافية أخرى<sup>(٣)</sup>.

لم يرد لفظ "التخيل" في ترجمة متى. ويستعمله ابن سينا بدلا من لفظ المحاكاة مبررا ذلك بأن الكلام المخيل موجه الى مخاطبة الغير مثل الجدل عندما يريد اقناع الغير اعتمادا على مقدمات مقبولة عند العلماء والخطابة اعتمادا على مقدمات مقبولة عند الجمهور، والشعر اعتمادا على ايقاع المعاني في نفوس السامعين. فالتخيل الشعري مثل التصديق الجدلي الخطابى. وإذا خاطب الجدل والخطابة الفكر فان الشعر يخاطب الانفصال نظرا لارتباط الشعر بالنفس. ليست المحاكاة عند ابن سينا تقليدا بل تصويرا للمعاني المتخيلة<sup>(٤)</sup>. والتخيل أمر خارج عن التصديق المنطقي، مطابقة الفكر لنفسه أو التصديق العلمى، مطابقة الفكر للواقع حيث أن التخيل احداث انفصال في النفس. الأول تطابق مع العقل أو مع الواقع، والثانى تطابق مع النفس. الأول تعريف الحقيقة الرياضية أو العلمية والثانى تعريفها الفلسفى. الأول تعريفها الموضوعى والثانى تعريفها الذاتى<sup>(٥)</sup>. في التخيل صدق وكذب، صدق إذا حدث تأثير في النفس وكذب إذا لم يحدث. ويمكن حصر تخيلات الخطابة دون الشعر. فالخطيب ملزم بالتصديقات المظنونة والمقبولة عند الجمهور. أما الشاعر فله أن يبتدع ما يشاء ليحدث

(١) كتاب الشعر ص ١٩٨/٢٢-٢٠٠.

(٢) مثل سيد قطب "التصوير الفني في القرآن" محمد أحمد خلف الله "الفن القصصى في القرآن الكريم".

(٣) كتاب الشعر ص ٢٠-٢١.

(٤) السابق ص ٢١٠-٢١٤.

(٥) وبلغة المعاصرين التعريف الأول عند أرسطو، والثانى عند هيجر.

فى النفس الانفصال المطلوب. بل ان الابتداع هو ما يطلب منه ليحدث هذا الانفعال واذا كان الابداع فى الشعر فكيف تكون الفلسفة نقلا؟ ان تقريب ابن سينا بين التصديق والتخييل ليس ابتعادا عن أرسطو لأن أرسطو ليس مقياسا، والنقل ليس معيارا للإبداع بل اقتربا من الموروث<sup>(١)</sup>. وقد اخرج ابن سينا الأمثال والخرافات مثل "كليفة ودمنة" من الشعر. فليس عرضها التخييل بل إفاة الآراء والتحدث عن اشياء ليس لها وجود بعكس الشعر الذى يقوم على التخييل والإبداع والحديث عن اشياء موجودة. والقصص الشعرى "تخييل الأزمنة وماذا يعرض فيها، وما يكون حال السالف منها بالقياس الى الغابر، وكيف تنتقل فيها الدول، تدرس أمور وتحيا أمور"<sup>(٢)</sup>. وهذا هو القصص القرآنى تعبيرا عن الموروث فى أصله الأول. ليس التقابل بين التاريخ والشعر على ما يفعل أرسطو بل بين الخرافة والشعر. ليست الخرافة شعرا نظرا لالتصاق الشعر العربى بالواقع وترفعه عن شطحات الخيال وخلوه خلوا تاما من جانب الاسطورة.

لم تكن فكرة المحاكاة مركزية فى كتاب الشعر، ولا تنتظم الكتاب كله فى حين أن التخييل مركزى فى عرض ابن سينا والبلاغيين العرب. وربما يكون الفارابى أول من استخدمها. ثم استعملها ابن سينا لتفسير المحاكاة التى وردت فى ترجمة متى. هذه هى عملية التشكل الكاذب بالنسبة للأخر وليس بالنسبة للأنأ، ترك لفظ ووضع لفظ جديد أكثر شمولا واتساعا لاحتوائه. وقد تم توسيع المفهوم بحيث تشعب فى فلسفة أرسطو كلها، المنطق وعلم النفس والميتافيزيقا. فى المنطق، المقدمات عند أرسطو يقينية (برهانية) أو ذاتية (جدلية) أو ممكنة (خطابية). ثم زاد الشراح الشعر مكونا من مقدمات مخيلة. ومن ثم تكتمل نظرية العقل بضم الشعر الى المنطق. وبالنسبة لعلم النفس لاحظ الشراح أن الشعر لا يخاطب المخيلة فينبه صور المحسوسات المخزنة فيها. ولما كانت المحسوسات وثيقة الصلة بالانفعالات فان الشعر شديد التحريك لها. وقد لا يحتاج الشراح الى أرسطو لمعرفة مواجهة المخيلة للاحساس. أما بالنسبة الى الفلسفة الأولى فالتمثيل هو العلة الصورية للشعر، والمعانى والأفكار علة المادية. ومن ثم تعاد قراءة فلسفة أرسطو كلها من خلال التخييل، والتخييل نفسه قراءة للمحاكاة<sup>(٣)</sup>.

(١) خطة الباحث الاستراقى فى جعله أرسطو هو المركز وابن سينا المحيط.

(٢) كتاب الشعر ص ٢٠-٢١.

(٣) زاد البلغاء العرب فى تحليل التخييل. وأصبح للتخييل ثلاثة معانى عند عبد القاهر. الأول معنى منطقى كلامى، التخييل فى مقابل الحقيقة والتصديق. والثانى معنى فى شبيه بالمحاكاة. والثالث معنى يأتى تحت أثر ابن سينا وتقسيمه الى تشبيه واستعارة ومركب منهما. ثم توسع حازم القرطاجنى فى التخييل أكثر من أرسطو. إذ لم يبحث أرسطو إلا صورة واحدة للمحاكاة الشعرية وهى المأساة اليونانية. أما حازم فقد طبقها على ألوان =

لم تكن معرفة الشراح للشعر اليونانى توجها إلى الخارج فحسب بل كان أيضا الى الداخل ومعرفة الشعر من البلاغيين العرب. وقد استخدم ابن سينا بعض مصطلحات البلاغيين العرب وبحوثهم فى العبارة. فقد تحدث البلاغيون العرب عن التشبيه والاستعارة والمجاز المطابقة والتجنيس والمقابلة حصرها أبو هلال العسكري (٣٩٥ هـ) فى خمسة وثلاثين نوعا. هذا هو الإبداع المستقل الذى اتصل به ابن سينا والذى استمد منه مادة جديدة لاحتواء المادة الوافدة. فقد استطاع الموروث تمثل الوافد فى العرض. وقد يسمى المجاز النقل، والاستعارة المتغير ليس أنرا من متى بل لاحتواء ألفاظ النقل داخل ألفاظ الإبداع. وإذا استعمل لفظ المطابقة على غير ما استعمله البلاغيون فلأنه يشق طريقه بين الوافد والموروث. وتلك هى عملية التحول من النقل إلى الإبداع.

ولقد أدخل المسلمون منطق الظن مع منطق اليقين فى علم المنطق العام أى قوانين الفكر وقواعد الكلام. ادخل الفلاسفة المسلمون مثل ابن سينا وابن رشد الشعر فى المنطق. ونظرا لأن الشعر يرمى الى تسليم السامع بما يقوله القائل فقد ألحق بالجدل والخطابة. وهنا يحدث التمايز بين الأنا والآخر، الشعر جزء من نظرية أعم فى المنطق عند الأنا وإخراج الشعر من المنطق والمنطق من الشعر عند الآخر. وقد اعتبر البلاغيون الشعر نوعا من الاستدلال ادخالا للجزء فى الكل، والظن فى اليقين، باعتبار كل ذلك نظرية فى العقل. فكل تشبيه أو استعارة أو كناية قياس منطقى حذف منه الحد الأوسط والنتيجة<sup>(١)</sup>. ويرد ابن سينا الحيل الشعرية الى النسب بين الأجزاء مما يدل على غلبة التصور العقلى الرياضى كما هو الحال فى المنطق.

وينقل ابن سينا كتاب الشعر من بينته اليونانية الى بينته العربية. فهو مزدوج الثقافة. الثقافة اليونانية علوم وسائل، والثقافة العربية علوم غايات. لا عجب إذن أن يعرف ابن سينا أوزان الشعر اليونانى وفنونه من قراءاته العامة كمتقف مزدوج الثقافة وأن يتحدث عن أصناف الأشعار اليونانية وأغراضها وأوزانها، لكل غرض وزنه. ولا يحتفظ ابن سينا بالصورة العامة لكتاب أرسطو تقليدا بل لأنه عرضه على العقل فقبله وعلى بنية الموضوع فتطابق. ومع ذلك يحتفظ بالجو اليونانى لكتاب الشعر خاصة المصطلحات دون إسراف فى المقارنات بين النوعين من الشعر، اليونانى والعربى. استخدم ابن سينا الكلمتين المعربتين

- كثيرة من الفن القولى، مثل المحسوسات مما لم يوجد مثاله فى الشعر اليونانى، والحكم الشعرية والتقصص. ولم يحاول تطبيق المحاكاة على الشعر العربى بعد أن تم احتواؤها بالتخييل. ولو وجد أرسطو فى شعر اليونانيين مثل ما فى أشعار العرب لزداد فيما وضعه من القوانين الشعرية. كتاب الشعر ص ٢٦٣/٣٤٧-٢٦٥.  
(١) كتاب الشعر ص ٢/٢٣٧/٢٥٦.

طراغوديا وقوموديا بدلا من المديح والهجاء فى الترجمة عودا الى التعريب بعد استقرار الترجمة حرصا على الأصل. ولا يستشهد بالشعر العربى إلا فى الفصل التمهيدى أى الاعلان عن الخصوصية العربية والبيئة الثقافية الجديدة بعد حذف كل الأمثلة اليونانية التى لا يعرفها القارئ العربى<sup>(١)</sup>.

وعندما ينقل ابن سينا كتاب الشعر من البيئة الثقافية اليونانية الى البيئة الثقافية العربية فإنه يكتشف خصائص كل شعر وخصوصيته ويوازن بينهما. ويشرح معانى التخييل والخرافة والاستدلال والاشتمال ومواقفة اللحن لغرض المتكلم تاركا الخصوصية اليونانية وواضعا الخصوصية العربية محلها. ويذكر تعريف الشعر بوجه عام دون ذكر لليونان وكأن تعريف الشعر اليونانى قد أطلق وأصبح فى الثقافة العامة هو مفهوم الشعر. ويقارنه بمفهوم الشعر عند العرب فى ثقافة خاصة. يتحدث عن الشعر اليونانى ويطلق بينه وبين الشعر العربى. فكان لليونانيين عادات فى كل نوع. كما أن للعرب عادة ذكر الديار والغزل والفيافي. هنا يبدو العرب إطارا مرجعيا لفهم اليونان. وتعكس خصوصية العرب خصوصية اليونان وتحيلها إليها فى مرآة مزدوجة، اليونان فى مرآة العرب، والعرب فى مرآة اليونان. كما يستشهد بالشعر العربى لشرح النظرية الشعرية، ويتم توضيح النظرية اليونانية بالمثل العربى تقديرا لعلوم الآخر، واستعمال علوم الأنا كعلوم وسائل وعلوم الآخر كعلوم غايات استعمالا مؤقتا يتم بعدها استعمال علوم الآخر كوسائل وعلوم الأنا كغايات استعمالا دائما<sup>(٢)</sup>. والتمايز بين خصائص الشعر العربى والشعر اليونانى أحد مظاهر النقل الحضارى، خصوصية الذات تؤدى الى التمايز مع الآخر، وخصوصية الآخر تؤدى الى التمايز مع الذات.

ويبدأ التمايز بوصف شعر الآخر على ما هو عليه، رؤية موضوعية له من خلال مرآة الذات ثم وصف شعر الأنا فى مرآة الآخر. وفى حالة التماثل وتطابق الموضوع يكون التماثل بين الأنا والآخر، بين ابن سينا وأرسطو، بين شعر العرب وشعر اليونان مثل الحديث عن نشأة الشعر ورده الى سببين فى طبائع الناس، الالتئاذ بالمحاكاة، وحب الالحان والانغام. واللجوء الى الطبيعة الانسانية مرآة الأنا وتصورها للقطرة<sup>(٣)</sup>. وفى حالة التمايز يكون موضوع الشعر اليونانى محاكاة للأفعال والأحوال فى حين أن موضوع الشعر العربى محاكاة للذوات أى

(١) السابق ص ٢٠٨-٢٠٩/١٩٨-١٩٩.

(٢) السابق ص ١٩٧-١٩٩.

(٣) كان يمكن إضافة طبيعة المعارك والنضال والايقاع الشعرى واللحنى فى المبارزة والترويح عن النفس. فالشعر مرتبط بالثورة وتعبير عن ثورة الحياة كما هو الحال عند اقبال. ولكن ابن سينا استقرأ على عقلى، ليس لديه وعى كان بالتاريخ وبالوجود فى العالم وبالانتماء الاجتماعى والسياسى.

الجواهر. الشعر اليونانى ذاتى، والشعر العربى موضوعى. غاية الشعر اليونانى الحدث أو الردع بالقول على فعل مرة شعرا ومرة خطابة فى حين أن غاية الشعر العربى التأثير فى النفس والعجب بالتشبيه<sup>(١)</sup>. ومن مظاهر التمايز الحكم الأخلاقى بالتحسين أو التقييح، بالمدح أو الذم. فكل فعل إما تقييح أو جميل. ولما كان الشعر اليونانى يقوم على محاكاة الأفعال والأحوال انتقل بعض الشعراء الى محاكاتها للتشبيه الصرف لا لتحسين أو تقييح بل للمطابقة فقط. فى حين يقوم الشعر العربى على التحسين والتقييح. وهما مقولتان أصوليتان عند المعتزلة. وربط الشعر بالأخلاق موقف قرأنى. وبينما اتجه الشعر اليونانى الى الأسطورة والقصة والدراما لم يعرف الشعر العربى الملحمة والدراما واقتصر على التعبير المباشر عن العواطف والأخيلة. كما أن توجه الشعر اليونانى نحو الأغراض المدنية والسياسية وغيرها جعلته يتوجه نحو الأفعال، الحدث على فعل أو الردع عن فعل. أما الشعر العربى فأكثر محاكاته للذوات، التشبه بالشئ ليوقع فى النفس العجب بصورة الشئ المحاكى.

والسؤال الآن: هل هذه المقابلة صحيحة بين محاكاة الأفعال والأحوال فى الشعر اليونانى ومحاكاة الذوات فى الشعر العربى؟ وماذا عن الجانب الجوهري فى الفكر اليونانى والجانب الفعلى العملى فى الفكر الاسلامى؟ وأيها أفضل للشعر محاكاة الذوات والجواهر الثابتة أم محاكاة الأفعال والأحوال المتغيرة؟ هل العلاقة بين الفكر اليونانى والفكر الاسلامى علاقة الذات بالموضوع، والنسبى بالمطلق، والجزئى بالكلى؟ وهل حاكى القرآن كنموذج للشعر العربى ومعبر عن جمالياته الذوات والجواهر دون الأفعال والأحوال؟ وهل فعل ذلك الشعراء العرب؟ هل يمكن إطلاق هذا الحكم على كل الشعر العربى بكل اتجاهاته ومذاهبه؟ وماذا عن حكم ابن رشد بأن أهم سمات الشعر العربى الوصف الواقعى الجزئى الدقيق، روح الواقع التجريبي الذى ظهر فى التعليل فى علم أصول الفقه؟ أى الحكمين أصدق؟

(١) "والشعر اليونانى انما كان يقصد فيه أكثر الأمر محاكاة الأفعال والأحوال لاغير. أما الذوات فلم يكونوا يشتغلون بها أصلا كاشتغال العرب. فان العرب كانت تقول الشعر لوجهين: كانت تشبه كل شئ لتعجب بحسب التشبيه. وأما اليونانيون فكانوا يقصدون أن يحثوا بالقول على فعل أو يردعوا بالقول عن فعل. وتارة كانوا يفعلون ذلك على سبيل الخطابة وتارة على سبيل الشعر. فذلك كانت المحاكاة الشعرية عندهم مقصورة على الأفاعيل والأحوال وعلى الذوات من حيث لها تلك الأفاعيل والأحوال. وكل فعل إما تقييح وأما جميل. ولما اعتادوا محاكاة الأفعال انتقل بعضهم إلى محاكاتها للتشبيه الصرف لتحسين وتقييح. فكل تشبيه ومحاكاة كان معدا عندهم نحو التقييح أو التحسين وبالجملة المدح أو الذم.... وقد كان من الشعراء اليونانيين من يقصد التشبيه للفعل وأن لم يخيل منه قبيحا وحسنا بل للمطابقة فقط. فظاهر أن فصول التشبيه هذه الثلاثة التحسين والتقييح والمطابقة، الشعر ص ٣٤-٣٥.

وفي "منطق المشركين" يظهر التمايز بين الأنا والآخر في صورة التمايز بين الشرق والغرب، بين المشركين و"المغربيين". لم يخترع ابن سينا لفظا للمقابلة غير اليونانيين<sup>(١)</sup>. وقد لفظ "المشرق" عند ابن سينا وابن طفيل لوصف الحكمة في "الحكمة والمشرقية"، والمنطق في "منطق المشركين". وقد ظهر لفظ مشابه مشتق من الشرق في "حكمة الاشراق" للسهروردي والفلسفة الاشراقية لابن سينا ذاته. كان لدى ابن سينا إحساس بالعصر والزمان والعلم باعتباره من عوائد الزمان وأعراف الناس. وتختلف الأسماء والمسميات واحدة مثل المنطق الذي قد تكون له أسماء أخرى. ولكن ابن سينا أثر الاسم الشائع. فمنطق المشركين ليس في المنطق بل في حكمة المشركين. أثر استعمال اللفظ الشائع للحكمة وهو المنطق طبقا لمنطق التشكل الكاذب، التعبير عن مضمون الموروث بلغة الوافد<sup>(٢)</sup>.

ومقدمة منطق المشركين أهم ما في الكتاب لأنها تعطى السياق الحضارى وتكشف عن الدافع على التمايز بين الأنا والآخر، المشركين واليونانيين. كتب "منطق الشرقيين" للخاصة وكذلك "الواحق" في مقابل "الشفاء" للعامية. الأول إبداع والثاني نقل. الأول مختصر والثاني موسع. فسمية الإبداع التركيز، وسمية المعلومات الاسهاب، مثل تقابل الخاصة والعامية. كما تكشف أن التأليف أزمة نفسية، هما وجوديا وليس مجرد تجميع علم منقول<sup>(٣)</sup>. وهو هم اختلاف الناس بين اليونانيين أصحاب الأصول وتابعي المشائين المتعصبين الذين امتلكوا الحقيقة كلها. يحاول ابن سينا حله بعقل وموضوعية بعيدا عن الهوى والعصبية، والعقل دون العادة والألف، بصرف النظر عن الاختلاف والاتفاق مع اليونانيين ومن تعلم كتبهم عن غفلة وقلة فهم، تبعية ونقلا. كتب من قبل "الشفاء" للعامية المتفلسفة المشغوفين بالمشائية الظانين أن الله لم يهد إلا سواهم. فالموسوعة مكتوبة لاحتواء الوافد وتجاوزه ومنع تقليد المشائين. وهذا لا يعنى إنكار قيمة الأوائل، وقيمة أفضل السلف فيما تنبه عنه وتجاوز به أساتنته وفي تمييزه أقسام العلوم وترتيبها وفي إدراكه الحق في كثير من الأشياء، وفي تظنه لأصول العلوم الصحيحة السرية وكأن المعلم الأول شيعيا إسماعيليا يبطن غير ما يظهر، ويعلن غير ما يخفى، صاحب لغتين، لغة للخاصة ولغة للعامية. كما أنه بين لأهل بلاده علوم السلف. كان ابن سينا يشير إلى دور أرسطو مؤرخا يخاطب أهل بلاده في تصور قومي للعلم. وهو أقصى ما يستطيع إنسان أن يفعله، تمييز المخلوط، وتهذيب الفاسد. لذلك كان من واجبات خلفائه بناء مذهب وتفرع مبادئه وهو مالا يمكن الفراغ منه في حدود قصر العمر سواء في عرض ما أحسن فيه والتعصب له أو إكمال ما قصر منه وإكماله. ولقد قام ابن سينا بذلك في أول حياته.

(١) اليونانيون (٣)، المشاؤون (٢)، المشركيون، الحنابلة (١).

(٢) منطق المشركين ص ٥.

(٣) ذلك مثل تأليف أرسطو والغزالي وكيركجارد وتيتشه.

ليس اليونان وحدهم مصدر العلم بل قد يأتي العلم من غيرهم. فإذا أمكن رد علوم اليونان التي اشتغل بها ابن سينا في حديثه الى المنطق. فلا يستبعد أن يكون عند المشرقيين اسم غيره لنفس المضمون. وهو ما حاول ابن سينا إخراجه في "منطق المشرقيين". النية صادقة نية التمايز بين الأنا والآخر. والتحقق صعب. فمضمون المنطق هو نفسه وإن اختلف الاسم والمصدر، هذا لليونانيين وذلك للمشرقيين دليلا على وحدة العقل البشري بالرغم من تعدد الحضارات، فاتفق ما اتفق، واختلف ما اختلف، حق ما حق، وزاف ما زاف. فالإتفاق حق والاختلاف زيف<sup>(١)</sup>.

أراد ابن سينا الاعلان عن الحق دون تعصب، يبحث كخبير للمساعدة، يراجع نفسه، ويعود على ما بدأ، يصحح نفسه بنفسه حتى يصل الى صواب الرأي ووضوح الرؤية ويقين العقائد. فالوفاة والموروث يتفاعلان في نفسه. هناك اذن مرحلتان في حياة ابن سينا، مرحلة الاعجاب بالمشائين، ثقافة العامة والتي كتب لها الموسوعات الثلاث لاكمال الوفاة وضبطه. والثانية مرحلة "منطق المشرقيين" و"اللواحق" للتمايز مع الآخر، واستدراكا على الموقف الأول. الأولى النقل والثانية الإبداع. وحياة ابن سينا انتقال من الأولى الى الثانية. "منطق المشرقيين" خلاصة علم ابن سينا في الأغراض الكبرى والغايات القصوى، المعلم الحق الذي استتبطه بعد طول نظر وتفكير وروية. به جودة الحدس، والحوار مع الخصوم، والتعصب للحق، والاتفاق مع الجماعة دون الطائفة.

ويثور ابن سينا على المشائين الذين حولوا أرسطو الى صنم يعبدوه، ومؤسسة وكنيسة وتراث يقلدوه. ومن ثم تكون حركة ابن سينا حركة أصولية، العودة الى الأصول الارسطية ضد الفروع المشائية مثل حركة ابن رشد. ومع ذلك ، ونظرا لاعتزاز المشائين بعلوم اليونان انحاز ابن سينا اليهم. فهم أولى بالتعصب من غيرهم. وأكمل ما بدأوه وقصروا فيه. حقق مقاصدهم، وأخفى ما تخبطوا فيه وجعل لهم مخرجا منه. ولا يجاهر بمخالفة إلا ما لا صبر له عليه. وقد كره أن يقف الجهال على مخالفة المشهور عندهم بحيث لا يشكون فيه. وبعض العلم دقيق تعمى الأبصار عن رؤيته مثل حنابلة الحديث في عصره الذين يرون كل تعمق في النظر بدعة وضلالة، وكل ضلالة في النار. شرح لهم ابن سينا المقصود، ونفعهم به بعد أن كانوا نافرين. ويستعمل ابن سينا صورا قرآنية مثل الخشب المسندة ومصطلحات فقهية مثل "البدعة" و"الضلالة" حتى يحسن مخاطبة الجمهور بثقافة الجمهور.

(١) منطق المشرقيين ص ٣-٤.

ب- اللغة والبيئة العربية ويظهر الموروث أيضا في اللغة العربية وخصائصها ومقارنتها باللغات اليونانية والفارسية وفي البيئة الثقافية العربية، الأمثال العربية والشعر العربي، وفي التاريخ المحلى والجغرافيا المحلية وفي ثقافات الشرق عامة والهند خاصة.

وبالرغم من أن ابن سينا أعجمى الأصل إلا أنه عربى اللسان<sup>(١)</sup>. تظهر اللغة العربية عنده أكثر من ظهورها عند الكندى والفارابى وابن رشد. تظهر فى "الشفاء" و"الاشارات والتببيهاات" أكثر من ظهورها فى "النجاه". وتظهر فى كتب المنطق أكثر من ظهورها فى الطبيعيات والالهيات. وتظهر فى "العبارة" أكثر من ظهورها فى "القياس" و"البرهان". ولا تظهر اللغة فى "المقولات" وهى الأقرب إليها نظرا لأن "المقولات" إبداع خالص لا يشير الى وافد أو موروث.

وقد يذكر ابن سينا اللغة العربية وحدها دون مقارنة مع اللغات اليونانية أو الفارسية أو الهندية مما يدل على أن التحليل للغة العربية أساسا وللمقارنة فرعا. ويتحدث عن لغة العرب" وليس عن "اللغة العربية" إشارة الى القوم وليس الى الموضوع. ولا يقول "لغتنا" بضمير المتكلم الجمع كما يفعل الفارابى تمايزا بين النحن والعرب. فقد كان ابن سينا فارسى الأصل<sup>(٢)</sup>. يتحدث ابن سينا عن اللغة العربية باعتبارها مغايرة للغة اليونانية دون أن يعمق دلالتها كما يفعل الفارابى. اللغة العربية عند ابن سينا أقرب الى التركيب وعند الفارابى أقرب الى الدلالة، يتشابه المنطق واللغة عند الفارابى فى حين ينفصل المنطق عن اللغة عند ابن سينا ويحتكم الى علم اللغة العام<sup>(٣)</sup>.

ويتحدث ابن سينا عن لغة العرب إما غيابا عند العرب وحضورا عند اليونان أو حضورا عند العرب وغيابا عند اليونان أو حضورا عند العرب واليونان أى اليونان والعرب. والأقرب هو جدل الحضور والغياب المتبادل بين العرب واليونان أى الاحتمالان الأولان. فيعيد بناء مبحث العبارة بحسب لغة العرب وتركيب الجملة بحسب لغة العرب. ولغة العرب لا تستعمل كلمات تدل على معنى يقال على الجواهر بدلالة أولى. فللكل لغة مساحتها من الضيق والامتداد. واللغة العربية ضيقة فى هذا المعنى. خصوصيتها فى القضايا بحسب الإيجاب والسلب والعموم والخصوص. وألفاظ السلب فى اللغة العربية لا

(١) لما اتهم انه فارسى الأصل لا يعرف العربية قضى ثلاث سنوات فى تعلمها وألف فيها على ثلاث طرق:

طريقة ابن العميد، وطريقة الصابى، وطريقة الصاحب. كما صنف فى لسان العرب وكأنه قاموس محيط.

(٢) كما يتحدث بعض المفكرين العرب المعاصرين عن العقل العربى تشبها له وتمايزا بين الأنا البربرى والعقل العربى.

(٣) الشفاء، العبارة ص ٢٦/٢٦/٤٦/٧٩/١١٦، البرهان ص ١٠٤.

تتشابه. إذ يدل لفظ "ليس" على السلب في حين يدل لفظ "غير" على العدول. أما السلب الكلي فيتم التعبير عنه بأداة النفي "لا". وللغة العربية طرقها في التعبير عن الإيجاب بالسلب.

وأحيانا يظهر موضوع لغوى رئيسى مثل ألف ولام التعريف هل يدلان على الحصر الكلى؟ وهو غلط لأنهما لا يدلان على الحصر فى اللغة العربية. والكلام لا يكون بحسب لغة دون لغة. ومن ثم ينتقل ابن سينا من علم اللغة الخاص أى النحو الى علم اللغة العام أى اللسانيات. ويتكرر نفس الموضوع فى "الإشارات والتبهيئات". فلا مهمل فى لغة العرب. فالألف واللام يوجبان التعميم والشركة. وغياهما وإدخال التنوين يوجب التخصص. ويطلب غير ذلك فى اللغات الأخرى. وقد تستعمل الألف واللام لتعيين الطبيعة ولا يكون موقعها موقع الكل. اللغة العربية إذن خصوصيتها على ما يبدو فى علم النحو. ولكل لغة عاداتها. اللغة للاستعمال. اللغة العربية ملكة عند العرب ولو كانت لها قوانين مع الملكة لما وقع لها ما وقع. وكل لغة ملكة وقوانين، فطرة واكتساب، استعداد وتعلم، طبيعة وتطبع<sup>(١)</sup>. وليس كل فعل فى اللغة العربية بالضرورة كلمة. هناك أفعال ليست كلمات إذا ما كان فعل أمر يبدأ بالهمزة أو فعل ماضى ينتهى ببناء المتكلم. وتستعمل اللغة العربية ألفاظا زمانية لإيجاب حمل غير زمانى مثل الآية القرآنية ﴿وكان الله غفورا رحيمًا﴾ أو غير مختص بزمان بعينه بل ذائع فى أى زمان مثل كل ثلاثة فانها تكون فردا. وفى اللغة العربية الشرطية هى المفصلة، والشرط يتبعه خبر مرادف. وفى الفصاحة العربية يتم تبديل العبارات بأن يعبر عن قضية واحدة بعبارات مختلفة<sup>(٢)</sup>. ويضرب المثل يزيد وعمر كموضوع فى قضية لها محمول أو عبد الله فى قضية استثنائية أو استعمال النحوى "زيدا" فاعلا دون ما حاجة الى أن يقول "وزيد" مرفوع بالضم. وأحيانا يحل امرؤ القيس كمثل بدلا من زيد وعمر كموضوع فى قضية وكمثل فى المغالطات أو كمثل على أن المسميات واحدة فى حين قد تكون المسميات متماثلة أو متغايرة<sup>(٣)</sup>.

ويظهر الشعر العربى تعريفا وأمثلة. فالشعر العربى هو الكلام المخيل المؤلف من أقوال موزونه متساوية تسميها العرب متناهية. ويستشهد ابن سينا على النظم المسمى المرصع بنماذج من الشعر العربى. كما يشير الى ألوان الشعر العربى وموضوعاته من الديار والغزال وذكر الفياضى وغيرها. ويشير الى علم العروض والنقبة وهى علوم عربية خالصة. وأحيانا يجد فى الشعر العربى ما لا يجده فى غيره، ويجد فى الشعر غير العربى

(١) الشفاء، العبارة ص ٦٥/٥٢/٥، البرهان ص ١٨، الإشارات ج١/٦٦-٦٧.

(٢) الشفاء، العبارة ص ١٨، الجدل ٣٠٤، منطق المشركين ص ٦١.

(٣) الشفاء، القياس ص ١٣، النجاة ص ٢٢٧/٢٢٨-١٣، الإشارات ج١/٧٣/٧٩/٢٩٠، عيون الحكمة ص ٤، منطق المشركين ص ٧٠/٦٢.

ملا يجده في الشعر العربي مثل الزينة وهي اللفظة التي لا تدل بتركيب حروفها وحده بل بما يقترن به من هيئة ونغمة ونبرة، وليست للعرب. ومن ثم يقبس ابن سينا الشعر اليوناني على الشعر العربي<sup>(١)</sup>. وبالرغم من أن الأمثال العربية قليلة فمعظم أشكال القياس صور رياضية إلا أنه تؤخذ بعض الأمثلة المحلية من الأمثال الشعبية العربية كنماذج للقضايا في المنطق في نهايات الفصول تخفيفاً من حدة الصورية، وفي الفصل الأخير في "القياس" عن التمثل مثل "فلان قمر لأنه حسن" أو للقياس الشعري مثل :

فلان وسيم

وكل وسيم قمر

ففلان قمر<sup>(٢)</sup>.

ويشار إلى اللغة اليونانية بأنها لغة اليونانيين أى القوم والشعب في مقابل لغة العرب. فالمغايرة القومية أساس المغايرة اللغوية، وإلى لغة الفرس وليس اللغة الفارسية . فاللغة يستعملها القوم. وفي كل لغة تتعلق الألفاظ بمعانيها. ففي اللغة اليونانية بين الأسود والأبيض الذى يقال على الصوت هناك المتخلخل، ومثله بين اللونين هو الأدكن. كما أن النقلة فى اللغة اليونانية تطلق على ما يكون قسراً من غير إرادة ومن ثم لا تقال على الحركة ولا تكون جنساً لها. وفى اللغة اليونانية للمذكر والمؤنث حروفهما. ويوجد وسط بين المذكر والمؤنث (الجماد)<sup>(٣)</sup>. وتتم المقارنة بين اللغتين العربية واليونانية. فتعريف الأسماء لا يوجد فى العربية وتوجد الحركات والتنوين بدلا منه. كما أن الكلمة فى لغة العرب فعل دون تغيير شكلها للتعبير عن الحاضر أو المستقبل. فى حين أنها تدل فى اللغة اليونانية على الزمان الحاضر. وتقرن به زيادة للدلالة على المستقبل أو الماضى مع حفظ الأصل. وتفتقر اللغة اليونانية إلى استعمال الكلمات الوجودية فى القول الجازم حليماً كان أو شرطياً، وهى الكلمات التى تدل على نسبة وزمان من غير أن يتحصل فيها المعنى المنسوب إلى الموضوع غير المعين إلا إذا كان الأصل بعينه كلمة. على حين أن ذلك مستمر فى اللغة العربية فى الشرطيات، المتصلات منها والمنفصلات حيث تظهر الكلمات الوجودية. وربما تختفى الرابطة فى اللغة العربية اعتماداً على الشعور الذهنى بمعناها كما لاحظ الفارابى من قبل<sup>(٤)</sup>.

(١) هو البيت: فلا حسمت من بعد فقدته الظنى .: ولا كلمت من بعد هجرانه السحر  
المجموع ص ٦٧/٢٤/٣١/٢٩.

(٢) الشفاء، القياس ص ٥٧.

(٣) الشفاء، الجدل ص ١٧٥/٨٦، الشعر ص ٦٧، المجموع، الحكمة العروضية ص ٢.

(٤) الشفاء، العبارة ص ٣٩/٣٧/١٧/١٤/٢٨، وأيضاً عثمان أمين: الجوانية ص ١٤٩ - ١٨٤.

وبعد اللغة اليونانية يأتي دور الشعر اليوناني. فكل شعر له خاصيته اللغوية والفنية والموضوعية. إذ يرتبط الشعر بالأغراض الحديثة عند اليونان كما هو الحال في الشعر السياسي. وبعد التقابل بين اللغة العربية واللغة اليونانية يأتي التقابل بين الشعر العربي والشعر اليوناني. فالشعر يعبر عن خصائص الشعوب. يحاكي الشعر اليوناني الأفعال والأحوال في حين يحاكي الشعر العربي الموضوعات. ولم يحاكي اليونان الحيوانات كما حاكها العرب. وكانت العرب تقول الشعر لوجهين: إما للتأثير في النفس بأمر من الأمور مثل فعل أو انفعال أو للتعجب فقط بحسب التشبيه. أما اليونانيون فكانوا يحثون بالقول على فعل أو يرددوا بالقول عن فعل، خطابة أم شعرا. لذلك اقتصرتم المحاكاة لديهم على الأفعال والأحوال وعلى الذات صاحبات الأفعال والأحوال<sup>(١)</sup>. فإلى أي حد هذا التقابل صحيح؟ وماذا عن القرآن وهو كتاب العرب الأدبي الأول وهو يحث على الخير ويردع عن الشر؟ وأين حث الشعر العربي على الحماس والفضيلة؟ أين الجانب العاطفي الذاتي الوجداني في الشعر العربي؟ وهل يربط اليونان وحدهم بين الشعر والأخلاق، والشعر العربي والقرآن الكريم يفعلان ذلك أيضا؟ وكان بعض شعراء اليونان يحاكون الأفعال بغية المطابقة دون أن يخيل منها حسنا أو قبحا كما فعل هوميروس في محاكاة الفضائل وكما فعل غيره في محاكاة الفضائل والردائل.

وأحيانا تظهر اللغة الفارسية وحدها باعتبارها إحدى اللغات التي يعرفها ابن سينا ويضرب بها الأمثلة في المنطق. فتظهر بعض الأسماء الفارسية في "البرهان" مثل "الروزكار" وتعني الدنيا أو المعيشة و"الرسام" ويعني ورم الرأس، مكون من "سر" ويعني الرأس و"سام" ورم. ويطلق اللفظ في اليونانية على الحار. اللفظ فارسي وأصله يوناني. و"سيرسيموس" يعني ورم الدماغ الحار ثم صرفه الفرس. هناك إذن صلة مباشرة بين الفارسية واليونانية وليس بالضرورة عبر العربية. وأحيانا يكون المصاد في الفارسية واحد مثل "روشن" ويعني صوت صاف، ولون صاف، و"تيرة" ويعني صوت كدر ولوكدر. ويمكن تعريب الألفاظ الفارسية وهو كثير في اللغة العربية، وتصبح جزءا من اللغة بعد أن تصبح مشهورة ومتداولة. أما اللغة الأصلية فهو اللسان<sup>(٢)</sup>.

وأحيانا تظهر اللغة العربية مقارنة باللغة الفارسية وليست باليونانية وحدها مما يدل على تفاعل الحكماء مع الثقافتين المتجاورتين، اليونان في الغرب وفارس في الشرق. فاللغات عادات في الاستعمال. وهناك عادة اللغة العربية في النفي للحصر السالب الكلي بحرف "لا"

(١) المجموع ص ٢٣/٢٩/٣٤-٣٦.

(٢) الشفاء، البرهان ص ٣٢/٧، الجدل ص ٨٥، المجموع ص ٦٦.

وبالفارسية بحرف "ينست". وقد يكون اللفظ بالعربية مفردا وبالفارسية مركبا مثل "جاهل" بالعربية. فى العربية مفرد، وفى الفارسية مركب للدلالة على المستقبل "تادان"، لفظان أحدهما يدل على القدم والأخر على العالم أو المعالم. وفى العربية لا يدل الماضى على جزء موضوع مثل صح ومشى وكذلك المستقبل فى الفارسية مثل "بكند". وفى العربية تغيب الرابطة فى حين توجد فى الفارسية. وأحيانا تكون الحركة مثل الفاتحة دليلا على الرابطة. وأهمية ذلك كله حين الترجمة، حسنها ووقيتها. ومهمة المنطق عدم الالتفات الى اللغة المعنية والذهاب الى ما وراء تعدد اللغات الى وحدة المنطق<sup>(١)</sup>. وفى اللغة الفارسية يحتاج أن يقرن لفظ "هيج" بالسلب حتى يدل على العموم وهو ما يقابل العربية بالفاظ كل وبعض ولا واحد ولا كل ولا بعض أو خيرا وأجمعين فى الكلى الموجب، والسلب فى الفارسية له طرقة الخاصة مثل "تانيينا" وتعنى الأعمى عادم البصر ومن شأنه أن يبصر. فلم يقع على كل مسلوب البصر. وقد تتحول اللغة الى التاريخ فيضرب المثل بتاريخ الفرس أقدم من تاريخ العرب لشرح معنى التقدم فى الزمان فى "متى"<sup>(٢)</sup>. ويظهر أصحاب ماني فى تصوير حال الغضب والرحمة بصورة قبيحة وتصور الرحمة بصورة حسنة. فعلاة الشرق الربط بين الشعر والأخلاق. وفى "الشفاء" هناك تركيز على علم اللغة العام مثل الفارابى وان كان بدرجة أقل نظرا لمعرفة الحكماء بالسريانية واليونانية والهندية والفارسية مما يجعل القدرة على تأصيل علم اللغة العام كبيره<sup>(٣)</sup>.

وليس الموروث هو اللغوى والشعر فحسب بل العلمى والتاريخى والجغرافى والثقافى والحضارى العام. والحقيقة أنه لا يوجد عند ابن سينا تراكم فلسفى كاف. فلا توجد احالات الى السابقين عليه مثل الكندى والرازى والفارابى إلا فيما ندر ولا حتى من أئمة الشيعة الثوار مثل السجستاني الذين ملؤوا الفراغ الفلسفى بين الفارابى وابن سينا نظرا لاختفاء مصادره. ومع ذلك يبرز الموروث العلمى مثل الفراسة الذى وضع فيه الرازى مؤلفه. يتحدث ابن سينا فى آخر فصل فى "القياس" عن "الدليل والعلامة والفراسة". ففى نهاية القياس، وبعد الطابع الصورى الرياضى لاشكاله يظهر الطابع العلمى المحلى عند ابن سينا كما هو الحال فى آخر الالهيات. ومن ثم يتحول المنطق من المستوى الصورى الى المستوى الشعورى، من العقل المجرد الى النفس والأخلاق. الفراسة قياس ضمن القياسات التمثيلية التى تعتمد على العلامات، وهى الانفعالات والمزاجات التى تعبر عن أخلاق النفس مثل الأعراض التى تدل

(١) الشفاء، العبارة ص ٢٠، الاشارات ج١-١٠٩.

(٢) الشفاء، العبارة ص ٣٩-٤٦/٤٠، الجدل ص ٢٥٠، الاشارات ج١-٧٦/٧٣، منطق المشرقيين ص ٦٧.

(٣) الشفاء، الشعر ص ٣٥، الالهيات ج١-٣١.



كتاب "الحساب" الى الجمع والتفريق الهندي على أنه من فروع الحساب وليس من أصوله. ويعادل الجبر والمقابلة عند المسلمين. وأصله في الحساب الاستعمال والاستخراج. ويشار الى الحساب الهندي وطريقته في عمل حساب المكعبات<sup>(١)</sup>.

كما يذكر الشرق القديم في كتاب "الهيئة"، البابليون الأقدمون والكلدانيون، وبختصر. فقد استعان أبرخس بارصاد البابليين الأقدمين، الكلدانيين. فلم تكن بلاد اليونان منغلقة على نفسها بل كانت مفتوحة على الحضارات الشرقية القديمة خاصة في بابل عبر فلسطين وآسيا الصغرى وقد سبق قدماء المصريين والبابليين والهنود والفرس واليونان في الفلك. فاليونان آخر القادمين. وكان ابن سينا على وعى بفرق التوقيت بين بابل والاسكندرية في مصر، الفرق في المسافة وفي الزمن. ولا تذكر جغرافيا بابل فقط بل تاريخها مثل تاريخ بختصر. وأحيانا يكون التقابل بين الشرقيين والغربيين، بين جناحي العالم الاسلامي، ومصر وسطه، من أجل معرفة فروق التوقيت ساعة الرصد. فالليل في الشرق أطول منه في الغرب<sup>(٢)</sup>.

جـ- الموروث الديني تكونت العلوم النقلية أولاً، القرآن والحديث والتفسير والسيرة والفقهاء. كما تأسست العلوم العقلية النقلية الكلام والأصول والتصوف قبل ترجمة الوافد والتعليق عليه وشرحه وتلخيصه وجمعه وعرضه ثم التأليف والإبداع فيه. ولم تتأخر إلا الفلسفة وما ارتبط بها من حكمة رياضية وطبيعية. ثم أصبح هذا الموروث وعاء لتمثل الوافد في علوم الحكمة في كل مراحل تكوينها وأنواعها الأدبية.

بل إن العلوم الرياضية أو الطبيعية لم تخل من باعث ديني، فالعقل والطبيعة أساسان يقوم عليهما الوحي في نسق وحدة الوحي والعقل والطبيعة. فكتاب الهندسة مادة صورية خالصة، مجرد عرض حقائق رياضية دون إشكالات، وضع حدود ومصادر بفعل العقل الخالص، العقل البديهي الطبيعي، العقل مع ذاته، صورة بلا مادة، علم العلم، عويص الفهم، بعيد الدلالة. ومع ذلك فقد يكون الباعث على ذلك باعثاً دينياً. فالعقل أساس النقل، والعقل الخالص أداة البرهان مما يجعل ابن سينا أكثر دلالة في رسائله مثل الكندي والفارابي أكثر منه في موسوعاته. وقد يكون أدخل في تاريخ الرياضيات العقلية الصرف، استعراض علمي، إغراء البديهيات والأوليات جعلت الحكماء يشرحونها ويدخلونها ضمن الحكمة. وبالرغم من أنه ليس له مقدمة أو خاتمة تضعه وتبين مقصده فان مجرد الاتساق العقلي عن طريق البرهان هو في حد ذاته أساس من أسس الوحي حتى ولو لم تكن هناك إشارة صريحة له

(١) الشفاء، البرهان ص ٢٦، الشعر ص ٥٤، الحساب ص ٦٠/٧، المجموع ص ٥٤.

(٢) الشفاء، الهيئة ص ٢١٨/٢٥٠/٢٦٦/٢٠.

على الإطلاق. قد تكون له دلالة على الموروث، تحويل الدين الى عقل أو على الأقل سلباً، عدم تحريم الدين الاشتغال بالعلوم الرياضية. ليس المطلوب إذن معرفة اضافة ابن سينا على أصول الهندسة بل ان إعادة كتابة النص هو في حد ذاته أعمال للعقل الخالص، والعقل أساس النقل. ويمكن أن يقال نفس الشيء على باقى أجزاء رياضيات الشفاء. تبدو أقرب الى تاريخ العلم، تعبيراً عن العقل الخالص وليس العقل الاسلامى المتجه بالعقل الخالص الى الفعل، الفرد والجماعة والتاريخ. ومع ذلك فقد يوجد الباعث الدينى على نحو غير مباشر وراء العقل الخالص مثل تفرقة المسلمين بين الهندسة العملية والهندسة النظرية وربط الأولى بالمساحة التى كان لها شأن فى توظيف الخراج وفصل الملكيات وبناء علم المناظر على الثانية<sup>(١)</sup>. وقسمة العدد الى نفسه والى غيره قسمة معروفة فى الفكر الدينى سواء فى الله أو فى الوجود أو فى العقل. ويبدو أنها قسمة عقلية صرفة بصرف النظر عن تطبيقاتها. والخواص هى السمات الذاتية للشيء فى العقل وهو أقرب الى الفكر الدينى العقلى المجرد قبل ان يتحول الى تشبيهه وتجسيمه فى العقائد. كما أن تحليل الوافد الرياضى لا ينفصل عن صفة الوافد فى الفكر الدينى كما هو الحال عند الكندى. كما كان الباعث على قيام علم الحساب تطبيقه فى الدراسات الفقهية فى علم المعاملات والفرائض والمواريث، ولم يكن مستقلاً عن العلوم الدينية. لذلك انقسم الحساب كالهندسة الى قسمين: نظرى، الأعداد لذاتها فى الذهن، وعملى أى المعدودات كالدنانير ومعاملات السوق. ولا يوجد فى "الهيئة" أى ذكر لآية أو حديث أو إشارة الى موروث عكس إخوان الصفا وباقى الحكماء حرصاً على التجريد الخالص والاعتماد على العقل وحده. فالفلك فى النهاية علم رياضى. وابن سينا يستأنف مجهودات الكندى فى الفلك دون الإشارة اليه، فتمثل الوافد وعرضه كنظرية فى العقل له الأولوية على إدخاله فى وعاء الموروث.

وتأتى آيات القرآن الكريم فى مقدمة الموروث للاستشهاد بها على قضايا المنطق مثل الاستشهاد بآية ﴿ وكان الله غفورا رحيمًا ﴾ على استعمال ألفاظ زمنية لإيجاب حمل غير زمانى. كما تستعمل آية ﴿ إن الانسان لفى خسر ﴾ كنموذج للقضية العامة أو المهملة الموجبة ثم عكسها "الانسان ليس فى خسر" للمهملة السالبة<sup>(٢)</sup>. ونقل الشواهد القرآنية للغاية فى "الشفاء" فى العبارة، وفى "عيون الحكمة"، وفى "منطق المشركيين"، وتزداد فى "الاشارات والتنبهات"، وتغيب كلية فى "النجاة"<sup>(٣)</sup>. وتذكر ثلاث آيات فى "الاشارات والتنبهات". الأولى ﴿ سنريهم

(١) الشفاء، الهندسة ص ١٠١.

(٢) الشفاء، العبارة ص ٣٩، منطق المشركيين ص ٦١، العبارة ص ٦٩/٤٣، عيون الحكمة ص ٤.

(٣) الاشارات والتنبهات (٣)، الشفاء، العبارة (٢)، عيون الحكمة، منطق المشركيين (١).

آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ تدعو الى التأمل فى العالم الخارجى وفى النفس لإثبات الحق. والثانية ﴿أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ لإثبات حكم الصديقين الذين يستشهدون بالله لا عليه فى مقابل الحكماء الذين يثبتون الله بالدليل كما هو الحال فى الآية الأولى التى تدل على نزعة فلسفية، الاستدلال بالوجود على الله، بينما تدل الثانية على نزعة صوفية، الاستدلال بالله على الوجود. والثالثة ﴿لا أحب الأفلين﴾ رفضا للقول بأن المحسوس موجود لذاته واجب بنفسه فى حين أن واجب الوجود واجب بذاته. فالآية تؤيد الفكرة وليست دليلا عليها<sup>(١)</sup>.

ويذكر الله فى كتاب "القياس" (ثلاث مرات) كموضوع فى قضية. الأولى "إن الله حى" أى دائما لم يزل ولا يزال نموذج للقضية الكلية الموجبة أى المطلقة الضرورية فى كل الاحوال. وتكرر فى "النجاة" كنموذج للحمل الدائم. وهو أحد أوجه ستة للحمل الضرورى فى فصل الواجب والمنتفع وبالجملة الضرورى. والثانية "إن الله تعالى حى بالضرورة". وهى نفس القضية فى صياغة أخرى "الله موجود" كمثل على القضية الضرورية وليست القضية المشروطة فى "الإشارات والتنبيهات". والثالثة ﴿وكان الله غفورا رحيمًا﴾ استشهدا على استعمال ألفاظ زمانية لإيجاب حمل غير زمانى. الوقت موجود والله لا يحتاج فى وجوده الى زمان<sup>(٢)</sup>. كما تستعمل قضية الله واحد كنموذج للقضايا المطلقة التى يسلم بها الجمهور. وهنا يبدو ابن سينا محللا للثقافة الشعبية. كما يؤخذ "الله" كمثل لمن لا ضد له كما هو الحال فى الطبيعيات مثل الحار والبارد. ويؤخذ أيضا كمثل لتصور المحال المفرد الذى لا يتصور إلا قياسا على موجود ينسب اليه مثل الخلاء الذى لا يتصور إلا كالتقابل للأجسام ومثل ضد الله. والله هنا حد لإصابة المجهول من المعلوم، ومقياس يقاس عليه، وتصور بالنسبة والاضافة مثل قياس الغائب على الشاهد<sup>(٣)</sup>.

والأمور الإلهية ليست بغائبة عن المنطق فى الحديث عن الإيجاب والسلب أيهما أشرف، والقول بأن السلب أشرف فى الأمور الإلهية كما هو الحال فى اللاهوت السلبى غير مفهوم عند ابن سينا. والقول بأن الإيجاب أشرف هو موقف المتدينين الذين يعبرون عن التصور الدينى للعالم. والقول بأن السلب أشرف هو موقف الجدليين والوجوديين. كما يرفض ابن سينا أن يكون شرف البرهان مستمدا من شرف موضوعه. فالبرهان علم لا شأن له بالمعلوم. البرهان منهج وليس موضوعا. والحديث البرهائى عن الله شريف لشرف البرهان

(١) الإشارات والتنبيهات ص ٧٩-٨٠/١٢٢-١٢٣.

(٢) الشفاء، القياس ص ٨٣/٣٢، النجاة ص ٢٠، الإشارات ج١/٩٢.

(٣) الشفاء، الجدل ص ١٤، البرهان ص ٢٥-٢٦.

وليس لشرف موضوع البرهان. الالهيات إنسانيات أو طبيعيات، والمقدسات عقليات، والمجردات حسيات. المنطق حكم العقل ولا شأن له بحكم القيمة<sup>(١)</sup>. كما يضرب المثل فى تحليل الموضوعات، المقدار الهندسة، والعدد للحساب، والجسم الطبيعى بالموجود الواحد فى الالهيات<sup>(٢)</sup>. ويذكر "اللهم" كأسلوب فى التعبير يكشف عن الأساس الشعورى اللغوى للتصور الدينى للعالم<sup>(٣)</sup>. وفى "النجاة" تظهر بعض المصطلحات القرآنية غير المباشرة مثل الدهر بالاضافة الى مصطلح الزمان المقابل لمصطلح الواقد<sup>(٤)</sup>.

ويضرب ابن سينا المثل بالخالق الأول والملائكة كمنط من الموجودات فى العلوم النظرية، مبيانة للمادة والحركة ولا يصلح خلطها بالمادة. والله مصدر للعلم بما ينبغى أن يكون ويستطيع العقل ان يدركه. ويضرب المثل بالملائكة على الكائنات المعقولة التى لا تموت فى موضوع تعادل القسمة من جنس واحد الى معقول ومحسوس، وغير مانت وماتت، وملاك وحيوان. فالمثل الدينى يدل على حضور الموروث كمصدر للأفعال فى المنطق. وفى معرض سوء تأويلات مقولات الاضافة ونقد ابن سينا لها يتعرض لموضوع الوحي والملائكة وخلق العالم فى حين أن مستوى حديث ارسطو غير ذلك. فابن سينا هنا يضع الموروث وعاء للوفاقد ولا يتعامل مع الواقد وحده. وتظهر بعض المفاهيم الدينية الفلسفية مثل الملك والعقل حيث يقال أن كلا منهم يتشابه فى النسبة. فالتناسب يكون بتشابه فى النسبة أو بجهة الاستعمال أو باشتراك فى العمل أو باشتراك فى الاسم. ويدخل العقل الأول كأحد مصادر التسليم مع اتفاق الجمهور والخصم. كما يظهر تعبير "القول المرسل" مستمدا من علم الحديث. ويضرب ابن سينا مثالا للمسائل الطبيعية بقدم العالم وحدثه وفناء النفس وبقائها وهى الموضوعات التى يظهر فيها الصدام بين الواقد والموروث<sup>(٥)</sup>.

ويظهر قصص الأنبياء كمادة تستقى منها أمثلة لعلم المنطق مثل موسى فى نسبة الاعتقاد الى ضدين، موسى خير وفرعون شر، موسى خير وفرعون ليس بخير، وهما ليس ضدين يوجبان تعاند الاعتقادين. كما يظهر فى العبارة بعض الأسماء الاسلامية كأمثلة للفظ

(١) الشفاء، البرهان ص ٢٥-٢٦/٧٨-٧٩.

(٢) الشفاء، الجدل ص ١٤.

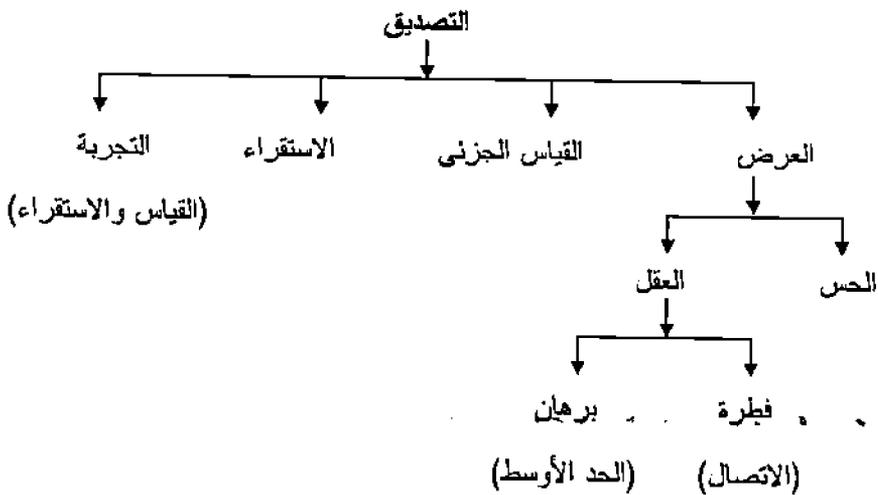
(٣) الشفاء، القياس ٢٣٦، البرهان ص ٨١، الجدل ص ١٠٨/١٣٠، الالهيات ج١-١٩٩/٢٠٠-٢٢٦/٢٦١.

(٤) النجاة ص ٢٢٣.

(٥) منطق المشركين ص ٦-٨، الشفاء، الجدل ص ٨٢/٢٢٧، الشعرض ٥١/٢٨، الاشارات ج١-٢٠٠، البرهان ص ٨٤.

المركب مثل عبد الله، فان اسم عبد الله يدل على ذلك لا على صفة مثل اسم عيسى. كما يظهر اسلوب التأليف في التراث والرد مسبقا على الاعتراض مثل "فان قال قائل" (١).

ويظهر الاشراق في المنطق، نظرية الفيض في المعرفة حتى يكتمل المنطق، منطق العقل ومنطق الذوق داخل النظرية العامة للفكر وان لم يكن على نحو صريح كما هو الحال في "حكمة الاشراق" عند السهروردي. ويقوم ابن سينا بذلك عن طريق القسمة. إذ يكتسب التصديق بالمعقولات بالحس بأربعة وجوه: الأول بالعرض، والثاني بالقياس الجزئي، والثالث بالاستقراء، والرابع بالتجربة. والوجه الأول وهو العرض يكتسب من الحس، المعاني المفردة المعقولة مجردة من اختلال الحس والخيال. ثم يقوم العقل بتفصيل وتركيب بعضها البعض. ويحكم على بعضها بالفطرة وعلى البعض الآخر بالبرهان. ويتم عمل الفطرة باتصال العقل بنور من الصانع فيفيض على النفس والطبيعة ويسمى العقل الفعال. وهو المخرج للعقل من القوة الى الفعل. أما البرهان فبمعرفة الحد الأوسط حتى يصبح في قوة الأوليات.



فالاشراق معرفة حسية بنور فطري في العقل عن طريق فيض العقل الفعال وهو الصانع. ينال العقل المعقولات بأشرف الفيض الالهي وليس من الحس وان كان الحس مناسبة وبداية ومقدمة (٢).

ويظهر مفهوم النبي في مقابل الفيلسوف كمجرد مثال لحل مشكلة تنوع الاجسام من الداخل أو من الخارج. فالجسم هوية الأشياء من الداخل وليس من الخارج. الجسم جسم لا

(١) الشفاء، العبارة ص ٣٠/١٢٥، القياس ص ٦٣، الاشارات ج١-٢٨/١٦٤، منطق المشرقيين ص ٧٥.

(٢) الشفاء، البرهان ص ١٦١.

فرق في ذلك بين جسم نبي وجسم فيلسوف. بل لا فرق بين في الجسمية بين النبي والفيلسوف من ناحية وبين اللجام والقدر من ناحية أخرى. ومجرد اختيار الأمثال كاشف عن البيئة الثقافية والموروث الديني الفلسفي الذي يعرض لهذه المقابلة بين النبي والفيلسوف في علوم الحكمة أو اللجام والقدر في حياة البدو، حياة الحصان والخيمة. منطبق الجدال اذن يتخلل الطبيعيات، والنبوات المدخل الى الطبيعيات. كما يضرب ابن سينا المثل بالنبي في العلوم العملية. فالنبي هو مدير المدينة. والتدبير صناعة من عند الله لأنها مرتبطة بالنبوة. كما يضرب المثل بالنبي الذي صلى الى بيت المقدس في وقت ما وبالنبي الذي لم يصل الى بيت المقدس في وقت آخر على التناقض في القول<sup>(١)</sup>. وتظهر قسمة علوم الحكمة الناس الى عوام وخواص. فالناس هم العوام والأنبياء هم الخواص. لذلك كان الحكماء ورثة الانبياء. ومن فاز بالخواص النبوية يكاد يصير ربا انسانيا تحل عبادته بعد الله، وكاد أن تفوض اليه أمور العباد. وهو سلطان العالم الأرضي وخليفة الله فيه. وهنا يصل ابن سينا الى حد تأليه الامام أويكاد طبقا لعقائد الشيعة<sup>(٢)</sup>.

وفي "عيون الحكمة" يورد ابن سينا حكمة يونانية "بوليموس" وتعنى الانسان الذي يختل مزاج فم معدته فلا يحس بالجوع البتة طبقا لشرح الرازي. وهذا هو حال الانسان الذي تشغله شواغل البدن عن الالتذات بالملذات العقلية والذات الالهية. فابن سينا الطبيب يضرب المثل لعدم تذوق النفس للذات الالهية بالذات البدنية<sup>(٣)</sup>.

وتظهر بعض الموضوعات الكلامية في نظرية العلم مثل الحديث عن المقدمات البرهانية مثل الأولية المحسوسة، والجدلية مثل المشهور والمحمود، وهي المقدمات التي تحولت إلى منطق في علوم الحكمة. كما تحولت نظرية الوجود في علم أصول الدين إلى الطبيعيات في علوم الحكمة، والالهييات إلى الهيئات. أما السمعيات، النبوة والمعاد والايمان والعمل والامامة فقد تحولت أيضا إلى علوم الحكمة فأصبح المعاد مرتبطا بخلود النفس وهو جزء من الالهييات في نظرية الاتصال، والايمان والعمل إلى علم الأخلاق، والنبوة والامامة إلى المدينة الفاضلة أي الجانب السياسي في علوم الحكمة، الناموسيات والشرعيات بتعبير إخوان الصفا. كما يضرب المثل باشتراك عدة موضوعات في مبدأ واحد يعلم الكلام فان موضوعاته كلها تنتسب إلى مبدأ واحد وهو التوحيد أو طاعة الشريعة أو كونها الهية مما يجعل علم الأصول علما واحدا، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه. ويتعرض النمط الخامس

(١) انشاء، الجدل ص ١٩٨، منطق المشرقيين ص ٧٥/٧.

(٢) انشاء، الالهييات ج١/٣٢-٣٣.

(٣) عيون الحكمة ص ٥٩-٦٠.

فى "الإشارات والتنبيهات" إلى الصنع والابداع وهى مقولات إسلامية من القرآن فى موضوع الخلق. ويرفض ابن سينا القول بأنه لو جاز العدم على الله لما ضر عدمه وجود العالم لأن العالم يحتاج إلى الله فى ايجاده ولا يحتاج اليه فى إعدام وجوده أو استمراره. ولو احتاج كل موجود إلى موجود لاحتاج البارى أيضا. يرفض ابن سينا عدم احتياج العالم إلى الله بعد خلقه له دفاعا عن العناية. فانه صنع وأبدع أى خلق واعتنى. يضع ابن سينا بناء عقليا ثم ينتهى منه إلى إثبات العناية كما هو الحال فى الموروث ضد اللاشعور الوافد بأن الله لا يعتنى بالعالم بل يتحرك العالم نحو الله بالعشق<sup>(١)</sup>.

ولغة الكلام لغة جدلية لأن علم الكلام علم جدلى، والجدل نافع بين المتكلمين الذين يسميهم ابن سينا الخطباء والمشاعبين وخلافهم حول رؤية الله وخلق القرآن. الكلام جدل، والفلسفة برهان. الكلام تعدد وجهات نظر طبقا للأهواء، والفلسفة رؤية واحدة طبقا للعقل. لقد وقع المتكلمون ضحية اللفظ المشترك مثل يرى، خلق. فهل يعنى الخلق المسموع أو المعنى الأبدى؟ وهل تعنى الرؤية بالبصر أم بالفؤاد؟ وهكذا تنشأ المشاعبة بين المتكلمين لعدم تحديد الألفاظ. نقد الكلام اذن مستمر فى علوم الحكمة. وبلغ النزوة فى "الكشف عن مناهج الأئمة" لابن رشد كموضوع مستقل وليس من ثانيا العرض أو التأليف كما هو الحال عند الكندى وابن سينا<sup>(٢)</sup>.

ومع ذلك تظهر أهمية الجدل فى الأمور الاعتقادية التى يأتى منها نفع مثل إثبات الصانع وإثبات النبوة وإثبات المعاد. ويضرب ابن سينا المثل بالعقوبة الدينية جزاء إنكار عبادة الله أو بر الوالدين أو الرحمة للمقابلة بالفعل لا بالقول كأحد وسائل الجدل. ويمكن الدفاع عن العدل الإلهى بالجدل مثل القول بأن الله يظلم والرد على ذلك بشرح أسماء الله تعالى وحد الظلم. فانه هو الموجود المبرىء من الانفعال. والظلم هو الاضرار ومن ثم لا يجوز على الله. وبالتالي تبطل دعوى أن الله يظلم. ومن قولها تنقصه المبالاة والتقوى. فهو قول كلامى مرده إلى أخلاق القائل<sup>(٣)</sup>.

وقد يحسن قتل القريب الذى كفر بالله ولكنه لا يحسن على الاطلاق. وهنا ينتقل ابن سينا من الأشعرية إلى الاعتزال، من الحسن والقبح الشرعيين إلى الحسن والقبح العقليين. والأفضل والأنقص يشاركان فى جنس الفضيلة زيادة فى الأول ونقصا فى الثانى. أما الفضيلة نفسها كنوع فهى الهيئة لأنها باقية مثل الحكمة أو لأنها نافعة فى الأمر المطلوب لذاته وليس

(١) الشفاء، القياس ص ٥١، البرهان ص ١٠٠، الإشارات ج١/٨٦-٨٧/١٥٩/٢٠٧.

(٢) الشفاء، الجدل ص ٩٤.

(٣) السابق ص ٧٩/١٤.

الأفضل حتى لا يحدث دور وذلك مثل النافع في الآخرة والمعاد، وهما مطلوبان لذاتهما. هنا يربط ابن سينا بين الدين والاخلاق من خلال الجدل. فالجدل الكلامي ليس مجرد مباحثات لفظية بل بواعث أخلاقية على السلوك الأفضل. واختيار الأفضل هو اختيار العقل والشريعة والفضيلة. وهنا يزيد ابن سينا على المعتزلة ليس فقط اتفاق العقل والنقل ولكن أيضا اتفاق العقل والنقل والفضل أى اتفاق الحكمة والشريعة والفضيلة ، الفلسفة والدين والاخلاق. والمشهور أن وجود الأفضل أولى من وجود غيره، ووجود الإلهي أولى من وجود الانساني. فيضيف ابن سينا على العقل والنقل والفضل الموجود بمنطق الأولى كما هو الحال عند الأصوليين . فإذا اتحد العقل والنقل والفضل فانه يكون أولى بالوجود من غيره وكأن ابن سينا يقيم دليلا على وجود الله من خلال منطق الجدل . ثم يبلغ الجدل ذروته بتوهم أن الله يجعل الشيء الميت غير ميت ويمنع الموت عنه. أصبح هذا التوهم موجودا ومقبولا بل لا تمنعه فطرة العقل. إنما تمنعه فقط حجة جدلية أنه إذا لم يموت المائت فان حياته تصبح أبدية وهذا خلق لأن الله هو الواحد الباقي، الحى الذى لا يموت<sup>(١)</sup>.

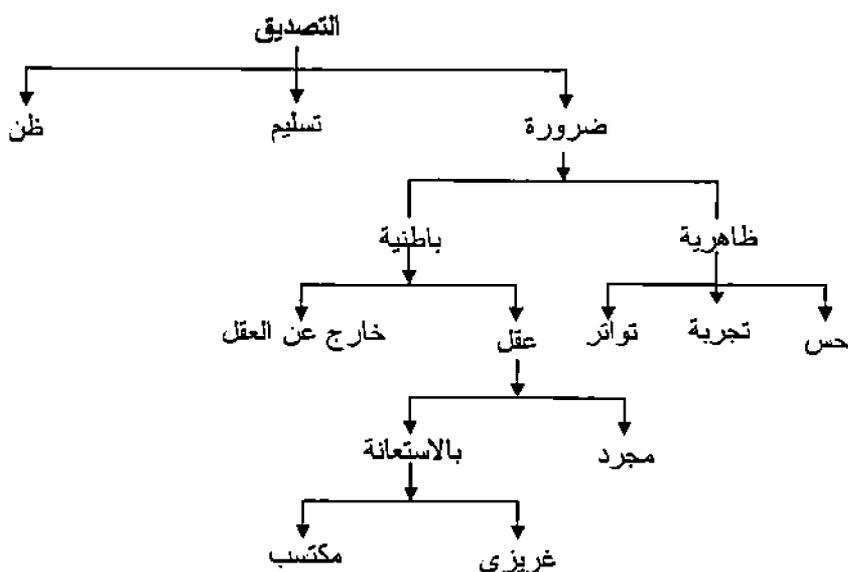
وقد أخذ التواتر حيزا رئيسيا فى منطق "الشفاء" كمادة للبرهان ضرورية ظاهرية مثل الحس والتجربة فى مقابل المادة الظنية وفى مقابل الضرورة الباطنية وهى ضرورة العقل أوقوة أخرى خارج العقل. فمن شروط التواتر الاتفاق مع الحس والعقل ومجرى العادات وليس فقط تعدد الرواة واستقلالتهم وعددهم الكافى وتجانس انتشارها فى الزمان بدرجة واحدة. الشرط الأول يتعلق بالمتن فى حين أن الشروط الثلاثة التالية تخص السند. والتواتر أحد مصطلحات علم الحديث. دخل علم أصول الفقه فى باب الأخبار وليس من أرسطو. ليست الفلسفة اذن تطورا لعلم الكلام فحسب بل أيضا تستمد مادتها الداخلية من العلوم الثقيلة مثل القرآن والحديث والفقه. ويدخل التواتر ضمن نظرية عامة فى التصديق لتوسيع نظرية أرسطو بضم مادة جديدة لها من الموروث بحيث تكتمل نظرية التصديق بعد ضم الموروث إلى الوافد فيصبح التواتر جزءا من البرهان الضرورى الظاهرى المعتمد على الحس والتجربة مثل نظرية العلم فى أصول الدين<sup>(٢)</sup>.

كما تدخل المتواترات كمادة للأقيسة فى منطق "النجاة" مع المخيلات، والمحسوسات، والمجريات والأوليات، والمقدمات الفطرية، والقياسات، والوهميات، والمشهورات المطلقة، والمشهورات المحدودة، والمسلمات، والمشبهات، والمقبولات، والمشهورات فى بادئ الرأى غير المتعقب، والمظنونات. ويعتمد البرهان على الأوليات والتجريبيات والمتواترات

(١) السابق ص ١١٠/١٤٦/١٥٢/١٢٦/١٩٠.

(٢) الشفاء، البرهان ص ١٧.

والمحسوسات أى بداهات الحس والعقل والتواتر. أما الذائعات والمقبولات والمظنونيات فلا تعطى إلا الظن. لا يتعلق اليقين والظن اذن بصورة الفكر وحدها بل بمادة الفكر أيضا. المتواترات موضوعات حسية غير مشاهدة دون أن تكون غيبية مما يتفق مع أحد شروط التواتر الأربعة عند الأصوليين وهو الاتفاق مع الحس. وهى مادة مشابهة لنظرية العلم فى أصول الدين. وتعنى المتواترات المعرفة التاريخية العامة التى يستحيل معها التواطؤ على الكذب مثل وجود البلدان والامصار خارج نطاق المشاهدة وليس بالضرورة الوحى. بل إن الأمور الشرعية قد تدخل فى المقبولات، وهى آراء وقع التصديق بها للثقة بصدق الراوى أو لأمر سماوى أو لرأى وفكر قوى مثل قبول ما نقل عن أئمة الشرائع. فالتصديق إما للثقة بالراوى أو بالنبى أو بالفيلسوف، صدق الراوى ووحي النبى وحكمة الفيلسوف (١).

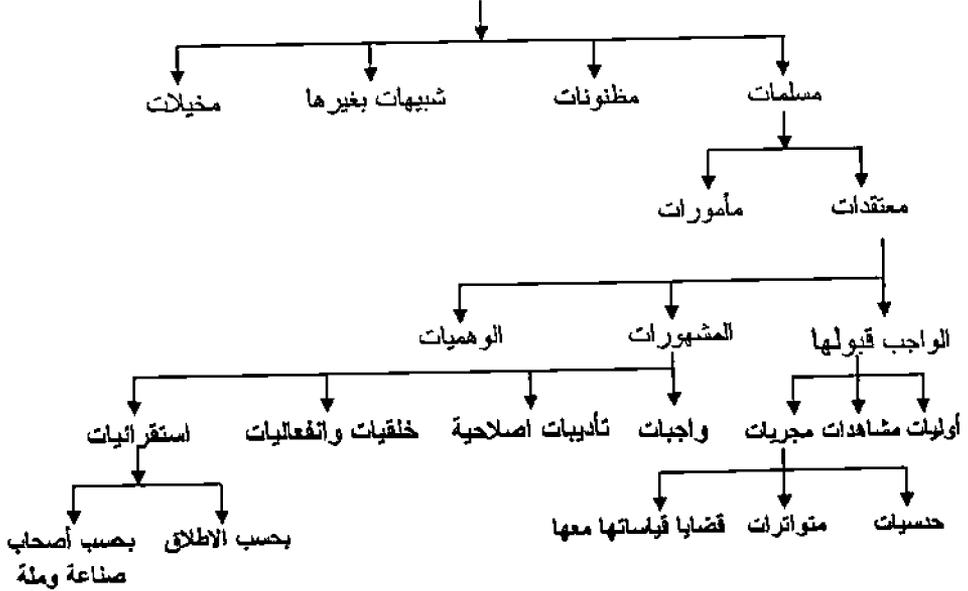


وتدخل المتواترات فى "الاشارات والتبهيئات" فى نظرية عامة لمادة القياس. فمواد القضايا أربعة: المسلمات والمظنونيات، والمشبهات، والمخيلات. والمسلمات معتقدات، ومأمورات. والمعتقدات واجب قبولها، ومشهورات ووهميات. والواجب قبولها أوليات ومشاهدات، ومجريات. والمجريات حدسيات، ومتواترات، وقضايا قياساتها معها. فالمتواترات جزء من المجريات. والمجريات جزء من الواجب قبولها التى هى بدورها جزء من المعتقدات والمعتقدات جزء من المسلمات. المتواترات اذن مجريات وليست غيبيات. وهو ما يتفق مع أحد شروط التواتر عند الأصوليين، وهو الاتفاق مع الحس ومجرى العادات. وهى مصدر

(١) النجاة ص ٦١-٦٢/٦٦.

المعرفة التاريخية وليست الدينية فقط. أسأها شعور باليقين الذي لا يأتي من عدد الرواة بل من سكون النفس الذي يحدد العدد. ولما انقسمت المشهورات إلى واجبات وتأدييات وخلفيات واستقرائيات دخلت الشرائع الالهية مع التأدييات الاصلاحية لتوسيع نظرية العلم ومادته، ويجوز للوهميات أيضا أن تكون مشهورة لولا مخالفتها للسنن الشرعية (١).

### قضايا القياس



كما ظهرت المشهورات أيضا كمادة للبرهان. والمشهور مثل المتواتر مصطلح من مصطلحات علم الحديث، والمقدمة المغالطية تشبه المشهورة وهي ليست كذلك. فكثير من المشهورات كاذب، وكثير من الشنيع حق. ونسبة المشهور والشنيع إلى الجدل كنسبة الحق والباطل إلى البرهان. الغلط في البرهان ما ليس بحق، وفي الجدل ما ليس بمشهور. فلا يطلب اليقين بالمشهورات. والقضية المشهورة ليست بصادقة. وبالتالي لا يقاس عليها. فتارة يقاس على أن النفس لا تموت وتارة يقاس على أن النفس تموت. وأحيانا يسميها ابن سينا الذاتعات. وهي مقدمات وآراء مشهورة ومحمودة وجب التصديق بها بشهادة الكل أو الاكثر أو العلماء أو الأفاضل فيما لا يخالف فيه الجمهور، مقاييس الصدق إن مراتب الاجماع على ما يقول الاصوليون، الكافة أو الغالبية من الناس أو العلماء أو الفضلاء بشرط عدم مخالفة الجمهور أي حكمة الشعوب والبداهة الشعبية. صدقها ليس بالفطرة أو بالعقل بل بالعادة منذ الصبا أي الثقافة المدونة والاتفاق عليها مثل المبادئ الخلفية والسنن القديمة الباقية دون تغيير

(١) الاشارات جـ ١/١٦٩-١٨٥-١٨٦/١٨٨-١٨٩/٩١.

استقراء من التاريخ. ويضرب ابن سينا المثل على ذلك بمثل عربي قديم تحول إلى حديث نبوي بعد قراءة جديدة له تكمل الطبيعة وتعمقها "أنصر أخاك ظالما أو مظلوما". الذائعات مرتبطة إذن بدرجة انتشار الخبر وبمقاييس صدقه<sup>(١)</sup>.

والفطرة الانسانية بين المنطق والوحي موضوع سينوى أصيل لا شأن له بالمنطق الواقد. الفطرة لفظ موروث. ولما كانت الفطرة غير كافية والا لما اختلف العقلاء احتاجت إلى عون آخر من المنطق كما هو الحال في الموروث. فالمنطق في الواقد يقوم بدور الوحي في الموروث، والوحي في الموروث يقوم بدور المنطق في الواقد. بل ان المنطق يقوم بدور الوحي في الواقد، والوحي يقوم بدور المنطق في الموروث. قد تستغنى عن المنطق إلا إذا كانت مؤيدة بوحي من الله تعالى. والفطرة تشهد بالوهميات كما تشهد بالعقليات. وتعنى توهم اعتقاد أو حدوث شيء وهو بالغ عاقل دون أن يسمع رأيا أو يعتقد مذهبا أو يعاشر أمة أو يعرف سياسة. اعتمد على المحسوسات ثم حولها إلى خيالات ثم عرضها على الذهن فان شك فلا تشهد الفطرة بها وان لم يشك أوجبته الفطرة. وليس كل ما توجيه الفطرة صادقا بل البعض كاذب. إنما صدق الفطرة من العقل. ويكون الكذب في الأمور غير المحسوسة بالذات مثل مبادئ المحسوسات الهيولى والصورة بل العقل والبارى وهى أعم من المحسوسات كالوحدة والكثرة والتناهى واللاتناهى والعللة والمعلولة. يقين الفطرة من العقل، وكذبها نظرا لتجاوز الكاذب منها المحسوسات مثل المبادئ العامة ومنها البارى تعالى. ولو كان الله مدركا حسيا لما وقع فيه الكذب<sup>(٢)</sup>.

ويظهر القياس الفقهي في الفصل الحادى والعشرين من كتاب القياس من المقالة التاسعة وهى أطول المقالات. وهو من وضع ابن سينا. اللهم لا إذا كان أرسطو يعنى القياس القانون. وهذا هو موطن الابداع أو اقتران التأليف العارض بمواطن الابداع مثل أوتاد الخيمة. ولا يوضع القياس الفقهي مع البرهان والقياس بل مع التمثيل والاستقراء لأنه ظن. فهو جزء من منطق الخطابة والقضايا الحسية والتعليلية والوساطية والنقلية. هو منطق العمل والفعل الذى يجتمع فيه الجزء مع الجزء، والجزء مع الكل، والحس مع الحس، والحس مع العقل، والنقل مع العقل. اما الوساطية فهى المبادئ العامة التى تخص كل الشعوب. الضمانر فيه هى الدلالات والعلامات لأنه يتعلق بأفعال الافراد والجماعات، الخاص والعام. يتشابه ويختلف مع القياس المنطقى. فالأصل فى القياس الشرعى هو المقدمة الكبرى فى القياس المنطقى. والفرع فى القياس الشرعى هو المقدمة الصغرى فى القياس المنطقى. والعللة فى

(١) الشفاء، البرهان ص ٦٤/٩٥/١٣٣، النجاة ص ٦٣-٦٤.

(٢) النجاة ص ٦/٣.

القياس الشرعى هو الحد الأوسط فى القياس المنطقى. والحكم فى القياس الشرعى هو النتيجة فى القياس المنطقى. وهو قياس مثالى. وتعنى المثالية الحكم بالشبيه على الشبيه من المثال والنموذج أى النص والأصل. والأصل مأخوذ من الوحي وهو ما يسميه ابن سينا صاحب الشريعة. ونظرا لأنه من الشيعة الاثنى عشرية فانه يضم إلى الرسول خلفاء الله المهديين والائمة من الشيعة. والجزء والكل فى المنطق الصورى هما الخاص والعام فى القياس الشرعى. فالخاص يراد به العام فى المنطق الشرعى كما أن الجزئى يراد به الكلى فى المنطق الصورى. والعام يراد به الخاص فى المنطق الشرعى كما أن الكلى يراد به الجزئى فى المنطق الصورى. والخاص يراد به الخاص فى المنطق الشرعى كما أن الجزئى يراد به الجزئى فى المنطق الصورى. والغالب على القياس الشرعى هو القياس الحسى لأنه يتعلق بافعال الناس على عكس القياس المنطقى العقلى الصورى لأنه يتعلق بصور القضايا وأشكال الفكر. لذلك ارتبط القياس الشرعى بالفقه والسياسة. ويعنى الفقه والسياسة هنا العمل والسلوك، العبادات والمعاملات. وتعتمد القياسات الحسية على المقدمات الفقهية والسياسية المخلوطة. مقدماتها الكبرى من الفقه ومقدماتها الصغرى من السياسة، عوامها من أصول الفقه، وخواصها من الممارسات اليومية. أما القياسات الواسطية فمقدماتها مأخوذة ومختلطة من الفقهية. وهى الآراء المحمودة التى لا تخص ملة بعينها وهى سنن غير مكتوبة. عمومياتها فقهية، وخصوصياتها حكمة الشعوب. والمبادئ العامة المحمودة عند كل الناس. العام من الفقه، والخاص من الجمهور. العام من الوحي، والخاص من ثقافات الناس<sup>(١)</sup>.

ويضرب المثل بالفقيه كمحمول لزيد كموضوع . كما تستعمل بعض الأمثلة الفقهية كنموذج للعبارات والقضايا المتقابلة خداعا مثل "ان السكر محرم" وليس فيها تقابل. ويأخذ ابن سينا أمثلة من السنة على المقدمات المحذوفة مثل "ان كل ما هو غير شر ويضاد الشر فهو خير". وتتخذ أمثلة من موضوعات الفقه على علاقة الأسماء بالمسميات. فالخمر والسلافة يفيدان نفس المعنى باسمين مختلفين. وللسلافة زيادة معنى (الصفاء، الذوق). كما يستعمل مثل الخمر المسكر لبيان حال الجزء والكل، والقوة والفعل. فهل السكر القليل أم الكثير، بالامكان أو بالفعل؟ ويظهر النسخ فى الشريعة كمثال لاختيار حد أفضل من حد آخر إذ لا حدين لشيء واحد. وبالتالي يصبح الحد الأفضل هو الناسخ والحد الأخس هو المنسوخ كما هو الحال فى الشريعة. هنا يستعمل ابن سينا معنى النسخ اشتقاقيا بمعنى الإزالة والاثبات، إزالة المنسوخ وإثبات الناسخ وليس بالمعنى الاصلاحى بيان زمن الحكم. ومع ذلك يدل استعمال ابن سينا

(١) الشفاء، القياس ص ٥٥٥-٥٥٧.

لمصطلح النسخ على وجود الشريعة في المخزون البيئي الثقافي لديه حتى وهو يؤلف في المنطق تأليفاً في الواقد بمصطلحات الموروث. والسنة القديمة بقيت ولم تنسخ بشهادة الاستقراء الكثير أي حكمة الشعوب<sup>(١)</sup>.

وفي "منطق المشركين" يضرب المثل بالمقابلة، في كتب الحديث لمن يرون أن التعمق في النظر بدعة، وأن مخالفة المشهور ضلالة، من تمسح عيونهم عن دقة البحث، عراة الفهم كأنهم خشب مسندة<sup>(٢)</sup>.

وتظهر البيئة الدينية في فواتح الكتب وخواتمها، في اللزيمات التي تكشف عن التصور الديني للعالم عند المؤلف والقارئ، والناسخ، زيادات في بعض النسخ وكثرتها كلما تقادم المخطوط. تبدأ بالبسملة والحمدلة وبعبارة فلسفية أحياناً تميزاً عن عادة الجمهور مثل واهب العقل ومبدع الكل بلا نهاية. وتدعو فواتح أخرى بعد البسملة بطلب الزيادة في العلم والحمدلة والصلاة والسلام على النبي وآله وبيان غرض الكتاب وهو التأليف في علوم الأقدمين بناء على النظر المرتب المتحقق، وهذا هو معنى التأليف، التأليف في الواقد بناء على نظر العقل. وتبدأ مخطوطات أخرى بمقدمات مشابهة تختلف قصراً وطولاً مع الترحم على الشيخ الرئيس والحمد على حسن التوفيق، والدعوة إلى الهداية في الطريق والهام الحق في التحقيق، والدعوة إلى السداد واليسر، والنفع بالعلم، والحمد لله والصلاة والسلام على الرسول وآله. ويستثنى من ذلك كتاب الشعر الذي لا يبدأ بالبسملة ربما خطأ من الناسخ. كما تكشف بعض الزيادات بعد البسملة والحمدلة والثناء على الله والرسول والأنبياء والخاصة والأئمة ورتة الرسول عن التوجه الشيعي لابن سينا، ومستعينا بالله متوكلاً عليه وحامداً إياه حسن التوفيق وسؤاله الهداية والالهام إلى الحق بالتحقيق والصلاة على المصطفين من عباده لرسائله وهم الأئمة المهديين. وأحياناً تبدأ بالبسملة والحمدلة في أول كل مقال وليس فقط في أول الكتاب<sup>(٣)</sup>.

وأحياناً تكشف الخواتم الدينية أيضاً عن توجه شيعي عن الظاهر والباطن. كما تظهر روح الأشعرية في طلب العون والتوفيق من الله مع ذكر تاريخ انتهاء الكتاب أحياناً. وأحياناً تكون الخواتم أقرب إلى الأخلاق منها إلى الدين وثناء على الفضائل مثل الفقه والحكمة

(١) الشفاء، القياس ص ٢٥٩، العبارة ص ٤٣، القياس ص ٦٠، النجاة ص ٧٠، الإشارات ج١/٨٢، الجدل ص ٢٨٩-٢٩٠، النجاة ص ٦٣-٦٤.

(٢) منطق المشركين ص ٣-٤.

(٣) الشفاء، العبارة ص ١٣١/١، القياس ص ٤٨/٢٥٨، الدرهم ص ٤٩/٥٤/١٣١/١٩٣/٤٨١، الهندسة ص ٦، الإشارات ص ٢١/٢٩٢، النجاة ص ٢، عيون الحكمة ص ٢، منطق المشركين ص ٨٢/٢، الجدل ص ٢٠٧/٧، الشعر ص ١٥، الآلهيات ج١/٢٨/٦٠.

والشجاعة ومجموعها العدالة كفضائل عملية بالاضافة إلى الفضائل النظرية. ومن تميز بالخصائص النبوية صار إنسانياً، سلطان العالم وخلقة الله في الأرض على ما هو معروف في التصوف الشيعي وكما هو الحال في نهاية مخطوط البرهان. وتنتهي بعض الخواتيم بأن الله أعلم، إعلاناً عن التواضع، وحدود المعرفة الانسانية. وفوق كل ذي علم عليم. وقد يذكر اسم الناسخ وطلبه العفو والمغفرة، والإعلان عن مذهبه الفقهي المالكي، ونسبة البغدادي، وطلبه المزيد من العلم. وتتفاوت عبارات الحمد والثناء طولاً وقصراً حسب انفعالات المؤلف أو الناسخ وقدرته على تكرار الشائع أو تجاوزه<sup>(١)</sup>.

٦- آليات العرض النسقي المنطقي. وهي نفس الآليات التي أمكن رصدها في تحليل الخطاب في الشرح والتلخيص والجوامع وتحليل أفعال القول التي تؤدي إلى التوضيح وبيان مسار الفكر والقصد والأسباب ووسائل التحقق من صدق الفكر.

وتتعدد أفعال البيان والإيضاح والشرح وما يتطلبه من تركيز أو اسهاب، حذف أو اضافة. والإيضاح والبيان في مقابل الغموض والابهام. ويتكرر الإيضاح والبيان عدة مرات في الماضي والحاضر والمستقبل<sup>(٢)</sup>.

والعقل أداة الإيضاح، ما يوافق عليه وما يخالفه، ما يقابله وما يستكبره. وهو العقل البدهي الذي لا يحتاج إلى بيان. فمن الواضح أن واجب الوجود لا علة له. لذلك يرد ابن سينا الالهييات إلى المنطق أي إلى طرق البرهان. فلا سفسطة ولا جدل كما هو الحال في علم الكلام. ولا خطابة ولا شعر كما هو الحال في التصوف بل البرهان كما هو الحال في الفلسفة الأولى وفي أصول الفقه. وفي وسط "الالهييات" يوجد فصل كامل عن المنطق، الفصل الثامن، الماقلة الأولى "في بيان الحق والصدق والنذب عن أول الأفاويل في المقدمات الحقة"، وهو آخر الفصول عن منطق اللغة، وتحليل الخطاب<sup>(٣)</sup>. ويؤكد العقل على وجود الكليات في عالم الأذهان لا في عالم الأعيان، وأن افتراض التطابق بينهما هو من عمل الوهم والخيال أو عن طريق التجريد للشخص. والعقل هو النفس كما هو الحال في الرياضيات، وكذلك كل المقولات الفلسفية كالصورة والعلة. لذلك تلجأ الرياضيات إلى الرسم لتوضيح عالم الأذهان في عالم الأعيان. التأخر والتقدم، القدم والحديث، الأول والأخر كلها في الأذهان. ويجوز أن يكون الشيء موجوداً

(١) الشفاء، البرهان ص ١٩٢/٤٨، الجدل ص ٣٣٦/٢١٣/١٦٢، الشعر ص ٧٥، الاشارات ج١-٢٩٣/١ عيون

الحكمة ص ١٤، منطق المشركيين ص ٤، الالهييات ص ٣.

(٢) الالهييات ص ج١-٢٧٨/٢٣٧/٣٩٨/٦٥-٦٤/٤٧/٣٣٢/٣٢٩/٦٥/١.

(٣) السابق ص ج١-٣٨/٣٦/٢٢٠/٢١٧/١٦٥/١.

فى الذهن معدوما فى الاعيان مثل الخبر عن شىء موجود فى الذهن، لذلك كان الصدق فى النفس والحق فى الخارج، وهو الحق مطلقا، الحق بذاته دائما واجب الوجود، وبالتالي يشبه موقف الفلاسفة موقف الفقهاء فى رفض تطابق العالمين، ويكون نقد الفقهاء للفلاسفة بأنهم يقولون بوجود الكليات فى الخارج وبالتالي القول بتعدد الصور غير صحيح<sup>(١)</sup>.

والهدف من الايضاح والبيان إقامة النسق المنطقى على أكبر قدر من الاتساق والبرهان الداخلى بحيث يمتنع فيه المحال والتناقض كما يتضح ذلك فى عبارات مثل: وهذا محال، وهذا خلف، وهذا مستحيل، وهذا كاذب. فالمحال بيان فساده وكذبه. وقد يضع ابن سينا حجة افتراضية للعمل عليها ثم بيان فساده. ويضع البنية العقلية التى يقوم عليها العرض حتى يبدو أكثر اتساقا وأوسع شمولاً<sup>(٢)</sup>. ويستعمل أسلوب المسلمين فى استباق الاعتراض والرد عليه مسبقا كما هو الحال فى علم الأصول فى صيغة "قان قال قائل .. نقول" من أجل إكمال البنية العقلية وتحليل التجربة المشتركة بين المؤلف والقارئ قبل أن تقع. وقد يصبح الاعتراض سخفا وجدلا ولجاجة لا ينفى التساؤل والمعرفة بل الاحراج والعناد<sup>(٣)</sup>.

والفهم اقتضاء يعبر عنه بألفاظ "يجب"، "ينبغي". فالحق ضرورة. والصواب يفرض نفسه فى يقين داخلى ونسق فكرى وكأن اليقين حتمية قبلية من طبيعة الذهن ومسار الفكر قبل أن يكون بآلياته وأشكال القضايا وترتيب المقدمات واستخلاص النتائج. مسار الفكر اقتضاء ذهنى وطبيعى. وتحليل معانى الألفاظ لمعرفة معانيها وحذف مالا يدخل فى الغرض اقتضاء منهجى<sup>(٤)</sup>. لذلك يتم استعمال فعل الأمر للمؤلف والقارئ على السواء بأفعال "إعلم"، "إعرف"، "انظر" وكان المعرفة الزام خلقى فى تجربة مشتركة، عودة على بدء، ومسكا بالخيط من أوله، العود إلى الرأس. وقد يكون الشخص الثالث الغائب فى صيغة الندب وليس الأمر<sup>(٥)</sup>.

(١) السابق ص جـ ١/٢٦٦/٣٢/٤٨/٢٠٥/٢١٢/١١٤/١٢٢/١٥٩-١٦٠.

(٢) وهذا محال، الالهييات جـ ١/٤٠١/٤٥/٧٣/٨٢/١٠٧/١٣٥/٢٢٨/٣٢٠/٣٢٤/١٤٣، النجاة ص ٢٤٦/٣٥٢/٤٠٢/٤٠٤/٢٠٣، وهذا خلف، الالهييات جـ ١/٤٩١/٤٤/٤٦/٧٣-٧٤/٧٧-٨٢/١٠٨/٣١٦/٣٤٧، النجاة ص ٢٣٢/٢٣٤/٢٠٣/٢٠٥/٢٠٧/٢١٧/٢٣٤، وهذا مستحيل، الالهييات جـ ١/٢٢٠/٨٢، وهذا كاذب، الالهييات جـ ١/٧٨، وهذا خلف، الالهييات جـ ١/٤٤، النجاة ص ٢٣٢/١٣٤، عيون الحكمة ص ٥٧-٥٨.

(٣) الشفاء، البرهان ص ١١٤/١١٦/٢٠٩/٢٢٨/٢٣٥/٥٨-٥٩، الالهييات جـ ١/٢٢١/١٩.

(٤) الشفاء، البرهان ص ١٦/٣٦/٢٨، الجدل ص ٩٠، الالهييات جـ ١/٩٥/٢٤٨/١٠/٢٤٣/٢٥٢، النجاة ص ٢٠٠، الامتارات جـ ١/٨٨.

(٥) الشفاء، البرهان ص ٧٥/٣٦/٧٣/١٠٥/٢٢٩/٢٥٧، الالهييات جـ ١/١٠٢/٢٠٨/١٣٨/١٦٩/٣٣٤، الجدل

ولا يعنى هذا الاقتضاء الاعتماد على المعيار الداخلى وحده بل هو اقتضاء خارجى أيضا يقوم على التعليل والبحث عن الأسباب. فان كان الفكر منطقيا يقوم على استدلال صورى إلا أنه أيضا يقوم على تحليل الأسباب جامعا بين المنطقين الصورى والمادى، الرياضى والعلمى، العقلى والتجريبي. والاسباب هى التى تفسر أقوال الآخر وأقوال الأنا. فلا قول بلا علة كما هو الحال فى علم أصول الفقه، لا حكم إلا بعلة بالرغم مما قد يودى تحليل العلل إلى التظويل. والعلة الغائية أقوى أنواع العلل وأولاهها. فالغاية هى التى تحدد مسار الفكر وتكشف قصده. هى النتيجة النهائية، المطلوب اثباته. ومن ثم كان أفضل فهم للقول يتم عن طريق معرفة العلة الغائية<sup>(١)</sup>.

ويصف ابن سينا مسار فكره، ما تم فى الماضى وما يتم فى الحاضر وما سيتم فى المستقبل فى مسار واحد متصل، له بداياته ونهاياته، مقدماته ونتائجه فى استدلال واحد مستمر يخلو من التناقض والقفزات. يعود على بدأ، ويذكر بما فات، ويعلن عما هو آت وبيان ما يحدث الآن. ويتم الربط أحيانا بين الفقرات عن طريق استعمال هذه الازمنة الثلاثة. وغالبا ما يكون المسار فى فعل من أفعال الايضاح والاظهار والكشف. وأحيانا يتم الأحياء بشيء دون تفسير ثم يعاد إلى تفسيره وتفصيله. وذلك أظهر فى "الشفاء" منه فى "النجاة" أو "الاشارات والتبهيئات" نظرا للطابع المغلق للشفاء الذى يحتاج باستمرار إلى تذكير وتبويه وبيان لمسار الفكر. ونقل هذه الألفاظ الرابطة فى الموضوعات المحلية، فى تنظير الموروث، وتريد فى الوافد، تنبئها للقارئ على منطق الغريب. فتعيب مثلا فى المقالة العاشرة فى "الاشارات والتبهيئات"، ونقل فى "النجاة"، وتكثر فى "الشفاء". نقل فى الاختصار، وتكثر فى التظويل<sup>(٢)</sup>. والغالب هو الفعل الماضى للتذكير بما سلف<sup>(٣)</sup>. والمضارع يبين الخطوة الحالية للقارئ<sup>(٤)</sup>. والغاية هو الحصر والاستقصاء الذى يسميه ابن سينا على سبيل الاقتصاد<sup>(٥)</sup>.

(١) الشفاء، البرهان ص ٢٨/٢٣٣/٧٩/١٨١/٣٣٧، الالهيات جـ ١/١١٩/٣٠٣.

(٢) أفعال الماضى فى الشفاء، البرهان ص ٧٣/١٤٧/١٧٠/١٧٠/١٨٦/١٨٨/٢١٧/٢٣٧/٢٤٩، الجدل ص ٥/١١/١٣/٨٢/١٤٤/١٤٩-١٥٠/١٧٧/١٩٥/١٨١/٢٣١/٢٦٤/٣١٠/٣٢٥/الالهيات جـ ١/٨٢/١٠٣/١١١/١١٥/١٣٨/١٣٨/٢٣٧. أفعال المضارع، الشفاء، البرهان ص ١٥٦/١٨٣، الجدل ص ١٤٥/١٦٥، الالهيات جـ ١/٦٥-١٠٢/١٠٧/٢٦٩/٢٩٤ أفعال المستقبل، الشفاء، البرهان ص ١٨/٩٨/١١٢/١٧٣، الالهيات جـ ١/٢١/٢٦٦/١٤٣/٢٠٨/٢٦٠/٣٧٠/٤١٧/٢٢٥/٥٨/٤١٣.

(٣) الالهيات جـ ١/٣٦-٣٥/٤٠/٥٩/٧٤/٢٦٠/٢٨٣/٣١٤/٣٢٧/٣١٢/٣٧٣/٤٠٢/٤٠٥/٤١٤/٤٢٨/٤٢٨/٤٣٨

٢٧٠/٢٧٥، النجاة ص ٢٧٦/٢٤٢/٢٠١، الاشارات جـ ١/٤١/٨٧.

(٤) الالهيات جـ ١/٥/٦٠/٢٢٥/٢٩٨/٣٠٣/٤٤١، الاشارات جـ ١/١٨٦/١٩٦.

(٥) الالهيات جـ ١/٨١/١٢٨/١٦٣/٢٥٧/٢٩٨/٣٢٧/٤٢٦، الاشارات ص ١٩٢/١٨٨/٢١٦.

ويستعمل لفظ الهداية لارشاد القارئ وتبنيه على مسار الفكر. وأحيانا يكون الاعلان عن الشيء نفسه باسم الاشارة من أجل رؤيته بعد توضيحه<sup>(١)</sup>.

والعود على ما بدأ يمنع من الاستطراد وفتح القوسين توضيحا للمسار الكلى وتحقيقا للفرض، حرصا على الإيجاز ومنعا من التطويل. العودة إلى الرأس أي العودة إلى الأصل والموضوع بالرغم من طول النطق والاسهاب خاصة في أشكال القياس. ولا ينكر ابن سينا كل الأمثلة في القياس بل يختار بعضها. وإيراد الجزئيات يطيل الكلام. ومن لا يصدق الكل لا يصدق الأجزاء خاصة لو كان الموضوع عن رؤية ومشاهدة ورواية عن الصادق، لا فرق في ذلك بين أرسطو والنبى والامام. وفي نفس الوقت قد يحتاج ابن سينا إلى الشرح والزيادة للتوضيح. فالغاية النهائية قد القول على المعنى أو بتعبير البلغاء العرب، التعبير عن مقتضى الحال<sup>(٢)</sup>.

وعندما تظهر لحظات الفكر الثلاث يتضح مسار الفكر، مقدماته ونتائجه وطرق استدلاله. فهو ليس شرحا للقول أو تلخيصا له. وليس ترجمة له وتعليقا عليه. بل هو تفكير في معانى القول وإعادة النظر فيها وصبها من جديد في مسار فكري مستقل متسق الخطوات، كل خطوة لاحقة قائمة على الخطوة السابقة، قيام الفرع على الاصل، وهو انتقال طبيعي وذهنى ومنطقي<sup>(٣)</sup>. مثلا فان إثبات المبدأ الأول لا يتم إلا عن طريق الاستدلال من المحسوسات كما هو الحال في علم الكلام بل ومن الكليات كما هو الحال في الفلسفة، الأول طريق بعدى، والثانى طريق قبلى<sup>(٤)</sup>.

ويحيل الفكر إلى نفسه بالرغم من تقسيماته وتفصيلاته وخطواته. كل فن يحيل إلى الفن السابق أو اللاحق، وكل بداية تعقبها نهاية ثم تحيل إلى بداية أخرى. فالمسار الواحد يتعدد إلى عدة مسارات على نحو لولبى تصاعدى حتى يتحقق المسار الكلى وتظهر بنية النسق مما يخفف من الطابع الصورى التركيبى للشقاء خاصة، هرم بلا قاعدة، وبناء بلا أساس. عالم مغلق بلا أبواب أو نوافذ لا يكاد يخرج منه أو يدخل اليه أحد. يقدم ابن سينا ويؤخر الموضوعات طبقا للنسق والعادة. فبيان الحق وتبديد الشكوك والظنون والأوهام موزع في عدة فنون. والأقوال المشهورة والأقوال العلمية كل في مكانها. القياس له مكانه، والبرهان

(١) الإلهيات ج١-١٣/١١/٦١/٣١٨، الاشارات ص ١٥٩.

(٢) الشفاء، البرهان ص ٧٣/٨٧/١٢٠/٢٠٢/٢٣٤-٢٣٧، القياس ص ٩٨/٥٠٥/٩٢/٩٣، الجدل ص ١٨٧/

١٨٩، الإلهيات ج١-٢٦٨-٢٦٩/٢٧٥/٣٤٤/٣١/٢٧٧/٣٧/٢٢٤/٣٤٩/٣٥٤/٣٦٠/٣٧٥/٣٣٧، الاشارات

ص ١٨٥/١٨٢/١٨٠، النجاة ص ٢١٥/٢٣٥.

(٣) الشفاء، البرهان ص ١٢٤/٢٥٧/١٥٦، الجدل ص ٨١/٩٩/٤٨، الإلهيات ج١-٣٤٢/٣/٤٠٧/٣٤٢/١.

(٤) وهى القسمة المعروفة عند كانط في الفلسفة الغربية الحديثة.



المضمون مثل القول بالغائية في مقابل البخت والاتفاق. ويتم الجدل مع الخصوم كما هو الحال في علم الكلام مثل إثبات الغائية والرد على منكريها كما تفعل المعتزلة ضد الأشاعرة، ورفض المصادفة والاتفاق والعبث. فالغائية لا تنفي الحرية. هناك فرق بين الغائية والضرورة. لذلك كان للغة الغائية الأولوية على باقي العلل. يبدأ ابن سينا من التيارات الموجودة في عصره عند الحكماء أو المتكلمين أكثر مما يبدأ من اليونان بعد أن تحول الوافد إلى موروث فرعى بالإضافة إلى الموروث الأصلي. ويستعمل ابن سينا كل وسائل الجدل، التسليم افتراضا بحجج الخصوم من أجل تنفيذها بعد ذلك. ويحل موقف السوفسطائي الذي يقوم على الإنكار باللسان وهو العناد أو تعرض له شبهة أو تختلط فتسد عليه طرفي النقيض. ومن ثم يتعامل مع الفيلسوف بأسلوب الجدل والحوار، قياسا على قياس. ويضطر السوفسطائي أحيانا إما إلى الأعراض والسكوت أو إلى التسليم. أما المتحيز فيتم التعامل معه بحل شبهته. ومن ثم يكون الفيلسوف هو صاحب البرهان<sup>(١)</sup>.

ويكشف المسار الفكري عن القدرة على المراجعة والتحقق من صدق ما يقال. فهو فكر يراجع ويتحقق في إطار نظرية عامة من الصدق. ولا يعرض ابن سينا أي قول دون مراجعة وتحقيق وتصديق. وفي إطار عملية التحقق يتم التخلص من الشبهات واكتشاف الغلط والفساد. ويطلق ابن سينا على هؤلاء المغفلين المتعصبين الذين لا يعجبه أقوالهم المنيئة بالظنون والشفاعات والأخطاء والتخليط وتأويلات غير مناسبة وضعيفة. والحق والانصاف ما ينتهي إليه ابن سينا. وهو لا يراجع إلا ما يستحق المراجعة. أما الذي لا يستحق ذلك فإنه يتركه. وهي في الغالب أقوال المتكلمين التي هذوا بها دون أن يخصص لها، كما فعل الكندي وابن رشد، في البداية والنهاية، أعمالا خاصة لنقدها وتجاوزها<sup>(٢)</sup>. ويعرض حجج كل فريق ثم يقارن بين الموقعين مؤيدا أحدهما على الآخر أو يتجاوز إياهما لموقف ثالث متكامل ضامًا الطرفين في مركب جدلي جديد. ويبين مسار الفكر خطين يميل ابن سينا إلى أحدهما. ينصر رأيا على رأي، ويرجح موقفا على آخر دون تحديد لهويتهم وأسمائهم حرصا على الطابع النظري اللامشخص. فابن سينا يتعامل مع أفكار لا مع اشخاص، ومع آراء لا مع أفراد، ومع تأليف لا مع مؤلفين<sup>(٣)</sup>. ولا تعنى المراجعة والتحقق بالضرورة النقد بل قد تعنى أيضا الموافقة والا كان تعصبا ورفضًا مبدئيًا مذهبيًا خاصة وأن ابن سينا صاحب نسق.

(١) الإلهيات جـ ١/٤٩-٥٤/٥٠.

(٢) الشفاء، القياس ص ٦٦/٢٩٦/٧٨/٢٦٤/٢٦٧/٢٧٥/٤٩٥، الجدل ص ٤٥٥/٩٩-١٠٠/٤٨٠/٥٢٤/٢٧٢/

٢٨٢/٩٦/٩٦/٤١٦/٢٢٤، الإلهيات جـ ١/٣٣٢/٣٣٠-١٢٥/١٢٦/١٤٩/١٣٤.

(٣) الشفاء، البرهان ص ٦٤/٦٦، القياس ص ٤٢٥/١٦٨/٢٢٠/٤٠٩، الجدل ص ٥٠/٤٨/١٢١/٢٧٤.

ويحلل ابن سينا نشأة الخطأ عن التعصب والغفلة. وأحيانا يرجع الأقوال الخاطئة إلى الإهمال، ويحذر من الألفاظ المغلطة المشتركة ويبين أهمية الاصطلاح، ويحلل الألفاظ كما هو الحال عند الأصوليين. وقد يرجع الخطأ إلى سوء التأويل. وأحيانا يكتفى بأنه لا يعجبه ما يقال مستعملا الاستحسان المباشر كما هو الحال عند الأصوليين. ويصرح أحيانا بأنه لا يفهم ما يقال حق الفهم، ولعل غيره أقدر منه على الفهم تواضعا أو تهكما<sup>(١)</sup>. ويراجع الالهيات ويكتشف بطلان نظر الخصوم في موضوع هذا العلم. وتتم مراجعة الالهيات بالعودة إلى الطبيعيات. فالالهيات طبيعيات مقلوبة تقوم على قياس الغائب على الشاهد. كما يبين خطأ الخصوم وغلطهم وفساد أقوالهم وكذب ادعاءاتهم وفساد دعاويهم واستحالة مواقفهم. بل يبحث عن أصول أسباب الغلط رادا الأغلاط إلى اسبابها الأولى. والغلط مثل الخطأ والكذب والفساد والاستحالة. ويعتمد على السبر والتقسيم لتعدد الاقسام والتحقق من صحة كل قسم، صدقه أو كذبه حتى ينتهي إلى صدق أحدها<sup>(٢)</sup>. كما ينتهي ابن سينا إلى رفض المخالف للحق والمضاد والمناقض له مثل نظرية الصور أى المثل وهو مذهب الحكماء الأقدمين. ويستعمل لفظ "اقتصاص" أى تمحيص ومراجعة وفحص وبيان. كما يبحث عن السبب في القول بالمفارقات وعن أصل الجهل الذى كان سبب الضلال. فالفلسفة مقاومة الخطأ والكشف عن الضلال. وهو تمحيص من ابن سينا بالرغم من قيام ارسطو قبل ذلك فى الفلسفة اليونانية. ومهما حاول البعض التخلص من الأوهام فانه يعجز عن ذلك ويقوم ابن سينا بالمهمة بدلا عنه<sup>(٣)</sup>.

ويستعمل ابن سينا مقولتى الظن والحق فى النقد. فأقوال الشراح المناطقة ظن لا يرتقى إلى مرتبة الحق الذى يبحث عنه. وهما مقولتان قرآنيتان على التقابل. مهمته تبديد الظنون كما بدد الشكوك، والوصول إلى الحق كما وصل من قبل إلى اليقين. وقد يكون الحق من جانب الجمهور، ويكون سبب الخطأ هو تشبه البعض منهم بالفلاسفة عن جهل وعدم دراية بالعلل والاسباب تقليدا منهم. فأحد أسباب الخطأ الجهل بالاسباب، والانتساب إلى العلم من ليسوا أهلا له وضعفاء التمييز ومن يستخفون بالأمر<sup>(٤)</sup>. ويلجأ ابن سينا إلى حسن العدل

(١) الشفاء، القياس ص ٥٩/٩٨-٢١٠/٢١١-٤٨٦/٤٩٤، الالهيات ص ١٠٧/٣١٨-١٦٧/١٩٩-٢٩٠/١٩٠، النجاة ص ٢١٣.

(٢) الشفاء، الالهيات ص ٩/٤٥-١٤٣/٦٥-١٤٤/٣٢٣-٣١٤/٨٥-٢٠٢/٣١٥-٢٠٢/٢٠٣-١٦٨/٦٢-٢٢٧/١٦٩.

(٣) الشفاء، الالهيات ص ١٣٥/١٤٤-٤٠٤/٢٦٦-٣١٠/٣١٢-١٠٦، النجاة ص ٢٣٩، الاشارات ص ١٩٨/١٩٧.

(٤) الشفاء، الالهيات ص ١١٦/٢٠٣-١١٦/٦٦١-٢٦٩/٢٩٣-٣١٤/٣١٦-٤٨٨/٤٣٩-٤١٣/٣٤-١٥٥/١٥٥/٢٩٩-٣١٥-٤٢٥/٤٨/٦٥، القياس ص ٤٢٥/٤٨/٦٥.

والانصاف عند الناس. ويستدعى التجربة المشتركة بينه وبينهم في جبهة واحدة ضد أخطاء الشراح والمفسرين. ويعطى وصايا وتحذيرات مما يدل على أنه يعرف الحق وينبه على الخطأ حتى في العناوين الجزئية للقياس بالرغم من الاشكال والمعادلات النظرية المجردة الغالبة عليه<sup>(١)</sup>.

٧ - المعبر في الحكمة (ابو البركات البغدادي). لم يكن ابن سينا والغزالي وحدهما صاحبا العرض النسقى المنطقي بل شاركهما فيه أبو البركات البغدادي (٥٤٧هـ) في "المعبر في الحكمة" الذي يعادل "الشفاء". ولو أنه عرض لبناء الحكمة لكان أقرب إلى "تمثل الوافد قبل تنظير الموروث"، وهو النوع الأدبي الثاني من التأليف نظرا لأولوية الوافد فيه على الموروث<sup>(٢)</sup>.

لذلك يظهر النقد بين الحين والآخر للحالة الراهنة للمنطق. ويدل على ذلك عبارات مثل "وهذا كلام مدخول"<sup>(٣)</sup>. كما تظهر أفعال القول في ضمير المتكلم الجمع "قلنا" أو المفرد "تقول" أكثر من "قال" لأن أبا البركات هو الذي يتحدث وليس أرسطو<sup>(٤)</sup>.

ويتوجه البغدادي أحيانا إلى المخاطب وضرب الأمثلة له والتراسل معه، وتحليل التجارب المشتركة<sup>(٥)</sup>. مع الدعوة له بالبقاء، ويوجد تعليق بين الحين والآخر، من المؤلف أو الناسخ أو القارئ. والغالب أنه من المؤلف<sup>(٦)</sup>.

وقد يذكر أبو البركات في آخر الفصل بإزالة اللبس الذي وقع في أذهان المناطقة مخالفة لأرسطو<sup>(٧)</sup>. ويدافع عن أرسطو ضد اتهام المتأخرين له بأنه أغفل وضع كتاب في

(١) الشفاء، القياس ص ٤٠٣/٤٦٠/٣٨٥-٤٦٢-٤٦٨.

(٢) أبو البركات البغدادي: المعبر في الحكمة. وهو أبو البركات البغدادي هبة الله بن علي بن ملكا. كان يهوديا وأسلم. والقباه سيد الحكماء وأوحد الزمان. جـ ١/١ جـ ٢٩٧/٢، الطبعة الأولى تحت إدارة جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن حرسها الله طول الزمن وحفظها من الشرور والآفات والفتن.

(٣) المعبر ص ٢٤.

(٤) السابق ص ٢٩.

(٥) السابق جـ ٤٠/٣.

(٦) السابق جـ ٦٥/٣-٦٦/١١٨-٢٢٦.

(٧) "وقد وقع لقوم من ذلك تخطيط في أحكامهم في القضايا المطلقة ومخالفة لأرسطوطاليس في أشياء منها ستذكر في موضعها. فإذا تأملت ما قيل هاهنا نخلصت من مثل ذلك. وسهل عليك ما صعب عليهم ومناقضة ما تجده من الأكوال التي تخالف ما قيل هاهنا في المواد والجهات يقدر عليه ما جاد فهمه وتأمله لما قلناه فيها وما قاله من خالفناه"، المعبر جـ ٨٩/١.

القضايا الشرطية. وربما صنفه ولم ينقل إلى العربية<sup>(١)</sup>. وفي موضوعات العلوم ومطالبها ومسائلها ومبادئها ينقد أبو البركات تقليد المتأخرين للنقل القديمة وجعلها ضرورية في العلم والتعليم فطولوا وتعدوا الواجب وما أوجبه وامتألت تصانيفهم بالتخليط وإدخال مسائل علوم في علوم أخرى فاختلف التعليم بالتقليد، والتقليد بالتعليم فخرجوا من زمرة الفلاسفة الذين يرتبون بياناتهم على الترتيب المنطقي<sup>(٢)</sup>.

ويحذف أبو البركات كل إطالة وإسهاب لا لزوم له في موضوع أن لكل جسم حيزا واحدا طبيعيا وأن فيه مبدأ حركة يسكنه فيه أو يحركه فيه أو إليه<sup>(٣)</sup>. وقد يكون موضوع الفصل شرح أقوال فيه لمراجعتها والتحقق من صحتها مثل "في شرح كلام من قال إن الله تعالى لا يحيط علمه بالموجودات"، "في اعتبار الحجج المنقولة عن أرسطوطاليس"، "في مناقضة الاحتجاج المنقول عن ابن سينا"، "في ذكر رأي أرسطو وشيعته في بداية الخلق"، "في إعادة النظر فيما قد قيل في النفوس والعقول المفارقة"، "في تتبع ما قيل في بداية الخلق من العقول المفارقة ونفوس الأفلاك وإجرامها"، "كلام في الحركة وما يشبهها"<sup>(٤)</sup>.

ومن الواقد يتصدر أرسطو ثم أفلاطون ثم سقراط ثم أفليدس ثم تراسوماخوس ثم مانن وجالينوس وبقراط<sup>(٥)</sup>. ويذكر الحكيم بدلا من أرسطو، ويشفع لقب الامام أمام أفلاطون. وواضح أن أرسطو هو واضع الحكم وبنائها ثم أفلاطون وسقراط. ويعترف أبو البركات بأنه حذا حذو أرسطو في كتبه المنطقية والطبيعية والالهية. وذكر في كل مسألة آراء المعترين من الحكماء. ثم أضاف البراهين والحجج طبقا لرحجان العقول وما يثبت بالدليل والبرهان.

(١) وقال بعض المتأخرين أن أرسطوطاليس صنف فيها كتابا خاصا ولم ينقل إلى العربية. وهو تخمين لا حقيقة له. فانه لو أراد ذكرها لما عدل بها عن موضعها هذا. وليس فيها ما يستحق أن يفرد له كتابا منقطع المبادئ والأواخر، السابق جـ ١/١٥٥.

(٢) وأراد قوم من المتأخرين إيجاب هذا التقسيم وجعله ضروريا في العلم والتعليم فتمحلوا وطولوا وتعدوا الواجب وما أوجبه في تعليمهم وتصانيفهم وتخليطهم في إيرادهم... واختلط التعليم بالتقليد والتقليد بالتعليم فخرجوا بذلك من زمرة الفلاسفة الذين يرتبون بياناتهم على الترتيب المنطقي... السابق جـ ١/٢٢٤-٢٢٥.

(٣) وقد طول الكلام في هذا المعنى بما لا حاجة إلى إيرادها فمن تأمله وعقله عرف لأى سبب تركناه، واكتفينا في هذا البيان بهذا القدر من غير تحمل وتكلف لما لا يثبت عند التأمل والنظر المحقق بل يبطل ونحن قد ثبت لنا بهذا القدر..... السابق جـ ٢/١٠٨.

(٤) السابق جـ ٣/٦٩/٨٨/١٤٨-١٥٨/١٦٨-١٧٤.

(٥) أرسطو (٦٥)، الحكيم (٢)، أفلاطون (١٢)، الامام أفلاطون (١)، سقراط (٧)، أفليدس (٣)، تراسوماخوس (٢)، بقراط (١).

فقد راجع كتب أرسطو على العقل، وقبل ما اتفق معه وزاد عليه مزيدا من التنظير، ونقد ما خالفه وأسقطه<sup>(١)</sup>. ويشترك القارئ معه فى التجربة والمراجعة. ويقابل النسخة مع باقى النسخ للاطمئنان. السماء والعالم والحيوان والنفس وقاطيعورياس السماع الطبيعى أولا ثم الكون والفساد والآثار العلوية والنبات وما بعد الطبيعة. ويذكر طيماوس لأفلاطون.

وتكثر أسماء الفرق مما يشير إلى التعامل مع التيارات والمذاهب. ويتصدر القدماء ثم المتأخرون والمتقدمون ثم الأقدمون ثم الحكماء الأولون، والحكماء الأقدمون، والحكماء المتقدمون والمتأخرون، والقدماء الأقدمون مما يدل على وعى تاريخى حاد من القدماء إلى المحدثين. ثم يذكر الفرق كمذاهب خارج التاريخ مثل الفلاسفة، الشارحون الطبيعيون، الدهرية أو المشرحون أى أطباء التشريح<sup>(٢)</sup>.

وكان هذا التمايز بين القدماء والمحدثين والأوائل والأواخر هو سبب تأليف الكتاب. إذ نقل الأوائل العلوم شفاها. فاضطر المتأخرون لتدوينها. وكان القدماء كثيرى العدد طويلى الأعمار. ولم يكن هناك خوف من اندثار العلم. فلما قل عدد العلماء ونقصت الأعمار اضطر المتأخرون للتدوين حفاظا على العلم. وإذا كان الأوائل قد وضعوا العلوم ثم أصبحت غامضة مستغلقة عبر الأجيال تكون مهمة المتأخرين الشرح والإيضاح "ببسط وتفصيل وتكرار وتطويل" حتى يختلط كلام العلماء بكلام الجهال. فباتى "المعتبر" ليعيد الأمور إلى نصابها، التعبير عن العلم بلغة سهلة، نظرا لصعوبة نقله من لغة إلى لغة. لذلك سمي "المعتبر" أى المدون الذى أتى بعد طول تأمل ونظر<sup>(٣)</sup>.

---

(١) "واحتيت فى ترتيب الأجزاء والمقالات والمسائل والمطلوبات حذو أرسطوطاليس فى كتبه المنطقية والطبيعية والالهية، وذكرت فى كل مسألة آراء المعبرين من الحكماء، والحقت ما أعزز ذكره من أقسام الرأى، وأوردت البيانات والحجج بمقتضى النظر ما ذكر منها وما لم يذكر. ثم تعقبها بالاعتبار. وأحتمت من جعلتها على ما رجحت به فى المعقول كفة الميزان وانتصر وثبت بالدليل والبرهان. ورفضت ما عدها كائنا ما كان ومن كان. كما يظهر لمتأمله بالمطالبة والتصفح والمراجعة. ويرى عذرى فى البيان، وحجتى فى الحجة، وبرهانى فى البرهان"، المعبر ص ٤، "ان صاحب الكتاب الذى هو أرسطو لم يستعمل ذلك فى كلامه فى كتبه أما لصعوبته وإما لخرايبته وإما لأنه لا حاجة إليه بل أقول انه لجميع ذلك فان الذهن السليم ينتقد مواضع التحريف والزيادة والنقصان"، السابق ص ١٧٣.

(٢) القدماء (٣٢)، المتأخرون، المتقدمون(٥)، الأقدمون(٤)، الحكماء الأولون، الحكماء الأقدمون، الحكماء المتقدمون والمتأخرون، القدماء الأقدمون، المتفلسفة من القدماء(١)، الحكماء (٨)، الفلاسفة، الشارحون، الطبيعيون، الدهرية، المشرحون(١).

(٣) المعبر ص ٢-٥.

ويذكر القدميون ثم الحديثون أى أنصار القول بقدّم العالم ويحدوث العالم<sup>(١)</sup>. ويشار إلى بعض الأقوام على العموم دون تحديد لهم إبقاء على استقلال الموضوع عن حوامله التاريخية مثل "قوم"، "بعض أهل النظر"، "بعض أشخاص من الناس"<sup>(٢)</sup>.

وكان أبو البركات على وعى بتمييزه عن القدماء واستنفاقه التراث المنطقي القديم مع حذف الزائد وزيادة الناقص، وإعادة الترتيب ونظرا لتداخل موضوعات المنطق مثل تداخل الحدود أى مباحث المقولات فى البرهان والجدل<sup>(٣)</sup>. ويشير فى الأفاويل الشعرية إلى "زماننا ولغتنا". ويضرب المثل بالشعر العربى<sup>(٤)</sup>.

وهى أول محاولة لحياء الحكمة بعد الغزالي. ومع ذلك يظل المعبر كتابا تقليديا فى علوم الحكمة كما عرضها "الشفاء" بالرغم من نقده الجزئى له وخروجه أحيانا عليه وعودا إلى عرف الناس وعادات الحديث. فالمنطق تجريد لخطاب الناس وطرق تكبيرهم فى الحياة اليومية<sup>(٥)</sup>.

كما يظهر التمايز بين اليونانيين أو اليونان والعرب كقوم ولغة. فيذكر اليونانيون أكثر من العرب كقوم. ولكن تنصدر اللغة العربية اللغة اليونانية. ثم تتساوى اللغة اليونانية مع الفارسية. ويتساوى العرب والعبرانيون والسريانيون والعربى والعجمى<sup>(٦)</sup>.

ويستعمل بعض الألفاظ المعربة قبل المنقولة أو بعدها فى المنطق فى عناوين المقالات مثل الخامة "طوبيقا" وهو علم الجدل، والسادسة فى الأفاويل السوفسطية وهى قياس المغالطين، والسابعة القياسات الخطابية وهى التى تسمى باليونانية ريطوريقا، والثامنة فى القياسات

(١) القدميون(٩)، الحديثون(٤).

(٢) المعبر ص ٢٠-٢٢.

(٣) "وقد بقى فى أمر الحدود أبحاث تأتى فى المناسبات بينها وبين البراهين. وهى أكثر ما أمعن فيه المتقدمون فى الكتب المنطقية فى كلامهم فى الحدود. فلذلك تكلموا فى الحدود بعد كلامهم فى البراهين. وما عدا ذلك مما ذكرناه فلم يتكلموا فيه إلا قليلا. ومن استوفى فيه قولا فإنا أورده فى العلم الكلى. وبقي فيها تنبيهها تورد فى فنون المجادلات وأنواع الانتظار فى المعلومات"، المعبر ج١/٦٩.

(٤) السابق ج١-٢٧٨/٢٧٩-٢٧٩.

(٥) "وليس لما قاله أرسطوطاليس فى الجهة والمادة وجه مفيد سوى هذا. ومن لم يقل لأنه لم يفهم ذلك ولم يعتبره هذا الاعتبار فإن هذا وجه مهم فى نفسه لا لأجل تأويل كلام أرسطوطاليس ولا يمكن أن يكون أرسطوطاليس اخترع هذيانا لم يدع إليه داع وترك مهما من كبار المهمات وهو ما جرى على السنة الناس فى عرفهم فى موضعه"، المعبر ج١/٨٥.

(٦) اليونانيون (٥)، العربية(١٥)، اليونانية، الفارسية(٢) لغة العرب(١)، العبرانيون، السريانيون، العربى، العجمى، العربى (١)، المعبر ج١/٢٧٧.

والأقوال الشرعية وهي التي تسمى باليونانية بنظوريقي<sup>(١)</sup>. كما يظهر لفظ الاسطقاتس العرب، وكيوس<sup>(٢)</sup>. وتوجد بعض الألفاظ الفارسية المعربة مثل السكنجيين والشانج<sup>(٣)</sup>.

ويظهر التقابل بين اللغتين العربية واليونانية في معانى العقل. فالعقل في اللغة العربية هو العقل العملى، واشتقاقا من المنع والعقال للناقة، وكذلك العقل العملى يعقل النفس ويمنعها. وفى اللغة اليونانية العلم النظرى والرأى العملى. ولما كان هذا المعنى فى حاجة إلى لفظ يؤديه اختار له القدماء الملك والرب وهو معنى يحاذى معنى الآله فى اللغة العربية. لذلك سمى كتاب أرسطو الالهيات<sup>(٤)</sup>. وهو ما يكشف عن ظاهرة التشكل الكاذب، جنل المعنى واللفظ بين حضارتين.

ومن الموروث يتصدر بطبيعة الحال ابن سينا ولقبه الشيخ الرئيس فى الالهيات ثم القاضى ابراهيم المكي والمتنبى، إذ يذكر الجهشيارى فى تاريخه واقعة محلية ظهور كوكب كبير على صورة إنسان أيام الموفق بالله والجهشيارى ومن الفرق والشيعه<sup>(٥)</sup>. ومن الأنبياء سليمان وحده، ومن القصص أهل الكهف كليل على أن الزمان شعورى. ويظهر الوعى التاريخى فى الإشارة إلى السلف والخلف، اقتداء الخلف بالسلف فى تصنيف الحكمة إلى منطقية وطبيعية وإلهية، ويستعمل الأسلوب العربى، زيد وعمر كناية عن المجهول، وكذلك "اللهم"<sup>(٦)</sup>.

(١) المعبر جـ ١/٢٣٣/٢٦٤/٢٦٩/٢٧٤ جـ ٢/١٥ الأسطقاتس جـ ١/٥٩ جـ ٢/٢٩٤، كيوس جـ ٢/٢٧٢.

(٢) السابق جـ ١/٥٨/٢٢٨/٢٣٠، الفارسية والعربية جـ ٤٧/١.

(٣) اليونانية والعربية جـ ١/٧٢، الفارسية واليونانية والعربية جـ ١/٩٢/١١٥ جـ ٢/٢٢٢.

(٤) "الذى يشير إليه باسم العقل فى اللغة العربية إنما هو العقل العملى من جملة ما قيل. وجاء فى لغتهم من المنع والعقال. فيقال عقلت الناقة أى منعتها بما شددتها به عن تصرفها فى سعيها. فكذلك العقل العملى يعقل النفس ويمنعها عن التصرف على مقتضى الطباع. والذى أراده اليونانيون من المعنى الجامع للعلم النظرى وللرأى العملى لم يكن له فى العربية اسم فنقله الناقل إلى اسم يدل على بعض معانيه. فكيف وهم يسمون الملك والرب عقلا. والأشبه أنه يحاذى المعنى الذى يسمى فى اللغة العربية الها. ومنه سمي الكتاب الذى لأرسطوطاليس بالالهيات" جـ ٢/٤٠٩ "وهذا العقل هو الذى يقولونه الآن بالعربية منقول من لفظة قبلت فى لغة يونان ليس موقعها فى تلك اللغة موقع هذه فى العربية من جهة الوضع الأول على ما قلناه فى علم النفس. فان فى اللغة العربية يراد بالعقل الشيء الذى يمنع الحق أطرده الشهوات من الناس ويوقفها عن أن تمضى العزائم بحسبها... فهو عقل من جهة العمل لا من جهة العلم وهذا الذى يسميه اليونان هو من جهة العلم لا من جهة العمل فان العمل علوة على العلم" السابق جـ ٣/١٤٩.

(٥) ابن سينا (٢)، الشيخ الرئيس (٢)، المتنبى، القاضى ابراهيم المكي (١)، الشيعه، الجهشيارية (١)، سليمان، أهل الكهف (١)، زيد، عمر (٢)، السلف، الخلف (١).

(٦) المعبر ص ١٠-١٣/٣٨/٤٦/٥٦/٧٢/٨٧/٩٠/١٦٩-٢٢٧/١٧١ جـ ٢/٢٩/٢٢٣/٣٣١/٤١٠ جـ ٣/١٦/٥٣ السابق جـ ٤١٨.

كما أن الأمثلة التوضيحية عربية خالصة، تلقائية مثل تأبط شرا وعبد الله للأسماء المركبة<sup>(١)</sup>. ويظهر الشعر العربي، شعر المتنبى، في موضوع اشتراك الحيوانات واختلافها في الخلق والاخلاق في صفات الحيوان. ويستشهد ببيت على وجود الجن والشياطين عن طريق القسمة<sup>(٢)</sup>. وتستعمل ألفاظ عربية أصلية، مثل "أضغاث" للدلالة على الاحلام غير الصادقة.

ويخلو المعبر من الآيات والأحاديث. كما يخلو من أي إشارة إلى العلوم الإسلامية الأخرى، غارقاً في علوم الحكمة وحدها. إنما يظهر القرآن الحر مرة في ضرب المثل بسؤال القرية والمقصود به أهل القرية في فصل التكبوت والمغالطات من مقالة السوفسطيقا<sup>(٣)</sup>.

ويضرب أبو البركات المثل بصديقه القاضى ابراهيم المكي رحمه الله المعروف بالصدق وكثرة العلم وعزة النفس والزهد. فقد انتهت رياضته ومجاهدته إلى أن تعرف بالهمة وكان نموذج النفس الطاهرة مما يدل على تمايز النفس والبدن<sup>(٤)</sup>.

والمرة الوحيدة التي ذكر فيها ابن سينا لنقده في إنكار علم الله بالموجودات المتغيرة استشهداً بنص له عن عدم جواز أن يعقل واجب الموجود الأشياء من الأشياء حتى لا تتقوم ذاته بها، والله أشرف من مخلوقاته. بل يصبح "في مناقضة الاحتجاج عن ابن سينا" عنواناً للفصل السادس عشر من المقالة الأولى في العلم الإلهي<sup>(٥)</sup>. وينفى الشيعة القياس من صناعة المنطق.

ويتضمن "المعتبر" أقسام الحكمة الثلاثة: المنطق والطبيعات والالهييات بطريقة ابن سينا في موسوعاته الثلاث. الطبيعات أكبرها، والالهييات أصغرها مما يدل على أن الطبيعات هي الأساس النظرى للالهييات قبل الاعترا<sup>(٦)</sup>. الطبيعات والالهييات علوم وجودية لأنها تتعرض لموجودات، الطبيعة والله. والمنطق مقدمة لها، آلة للعلم، قوانين الانظار وعروض الأفكار<sup>(٧)</sup>.

(١) السابق ص ١١.

(٢) قول المتنبى: انم إلى هذا الزمان أهيله  
فاعلمهم ندم وأحزمهم وعد  
واكرمهم كلب وأبصرهم عم  
ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى  
والانس جنس على الأنواع مشتمل  
وأسهرهم فهد وأشجعهم فرد  
عدوا له ما من صداقته بد  
فيه الوسيط وفيه السون والأول

السابق جـ ٢/٢٨٢

(٣) السابق جـ ١/٢٦٠.

(٤) السابق جـ ٢/٤٣٥/٤٤٩.

(٥) السابق جـ ٣/٧٠-٧١/٨٢/٨٤-٨٨.

(٦) الطبيعات (بالصفحات) (٤٥٠)، المنطق (٢٨٢)، الالهييات (٢١٦).

(٧) المعبر ص ٤-٨.

ويضم المنطق ثمان مقالات طبقا لعدد كتب المنطق. أكبرها القياس وأصغرها السفسطة والخطابة<sup>(١)</sup>. فالقياس قلب المنطق، منطق اليقين، والسفسطة والخطابة والشعر أطرافه، منطق الظن. والمقولات والعبارة مقدمات للقياس، والجدل والبرهان تطبيقات له. ولا يتجاوز حجم منطق الظن الخمس من مجموع المنطق.

وتتغير بعض أسماء كتب المنطق تجاوزا للأسماء الأرسطية. فالمقالة الأولى "في المعارف وتصور المعاني بالحدود والرسوم" إشارة إلى المقولات، وتجاوزا للمقولات العشرة من مستوى الألفاظ إلى مستوى التصورات والمفاهيم وعلاقة عالم الأذهان بعالم الاعيان بعالم اللسان، وتأسيس العلوم والتحقق من صدقها<sup>(٢)</sup>.

ويستعان بالخطابة في الدعوة إلى العقائد الإلهية والطبيعية والخلقية بحسب السامعين وفي تمكين الانفعالات النفسانية في الأنفس. فالدين والأخلاق انفعالات<sup>(٣)</sup>.

والمقالة الثانية "في العلوم وما له وما به يكون التصديق والتكذيب" إشارة إلى العبارة ونظرية التحقق من صدق القضايا وكذبها<sup>(٤)</sup>.

ويتعرض الفصل الأول لمنفعة المنطق ورضه وموضوعه ومطالبه كعادة التأليف في العلوم. ويتم نقل المنطق من مستوى الألفاظ إلى مستوى الشعور بتحليل النفس الإنسانية وطباعتها. وكما أضاف أبو البركات في أول مقالة في المنطق عن غرضه وموضوعه ومنفعته كذلك يفعل في أول مقالة "في العلم الطبيعي"، "في تعليم العلوم وتعلمها" أسوة بطرق التأليف في العلوم الإسلامية<sup>(٥)</sup>. وكذلك يبدأ الفصل الأول من المقالة الأولى في العلم الإلهي بتحديد غرض العلم وموضوعه وما يختص به نظره ومنفعته.

وبالرغم من قسمة الحكمة إلى ثلاثة أقسام، وكل منها إلى مقالات إلا أن الموضوع واحد. وتأكيدا على وحدة الموضوع يحيل السابق إلى اللاحق كما يستدرك اللاحق السابق<sup>(٦)</sup>.

(١) طبقا لعدد الصفحات القياس (٩٤)، المقولات (٦٤)، العبارة (٤٠)، الجدل (٣١)، البرهان (٣٠)، الشعر (٨)، السفسطة، الخطابة (٥).

(٢) المعتبر جـ ١/٥-٦٨.

(٣) السابق جـ ١/٢٧٠-٢٧٤.

(٤) السابق جـ ١/٦٩-١٠٨-٢٧٢.

(٥) السابق جـ ٢/٢-٤ جـ ٣/٢-٩-١٢.

(٦) السابق جـ ١/٤٢-١٠٦/١١٥-١٢٤/٢٦٦ جـ ٢/٢٧-٤٨/٦٧-٩٢/٩٥-١٥٣-١٥٤/١٦٠-٢٤٤/٢٩٨

٣٠٢-٣٣٣/٣٠٦-٣٠٧-٣٥٦/٤٢٣-٤٣٩-٤٤٤/٤٤٠ جـ ٣/٤٧-٨٣/١٤٠-٢١٢/١٨٠

ويكتب المنطق في صيغة معادلات وكأنها شعر منشور<sup>(١)</sup>. وقد تتحول الأبيات وتصبح منطق رمزياً بعد تحويل الألفاظ إلى حروف. فالمنطق نسق هندسي مثل الإيقاع الشعري. ومع ذلك يتم اللجوء إلى الفطرة والذوق لاعادة تأسيس المنطق على أساس طبيعي وجداني<sup>(٢)</sup>.

ولا ينفصل علم المنطق عن علم النفس والعلم الإلهي. فالالفاظ والتصورات والمفاهيم هي بداية العلوم بما في ذلك العلم الإلهي. فالعلم بعد نفسي وبناء شعوري<sup>(٣)</sup>. وفي فصل "في اشتراك القضايا وتباينها وتقابلها وتضادها وتناقضها" تظهر الموضوعات الكلامية. فالسابق في قدر الله وقضائه سابق بأسبابه والإرادة والقصد من جملة الأسباب المسببة. فالمريد لارادته سبب موجب لا يكون عن الإرادة والا كان لارادته الثانية سبب إما معلوم مثل الجوع للطعام أو غير معلوم. ومن يعتقد أن الإرادة غير مسببة بأسباب قد يعلمها الإنسان وقد لا يعلمها لم يحسن العلم بالقضاء والقدر. وهو اتجاه أشعري يجعل الله مسبب الأسباب. وذلك كل بمناسبة قول أرسطو لولا الممكن لبطلت الرؤية. إذ يتوقف وجود الممكن على أسباب. وفي فصل "تحليل القياسات الداخلة في الكلام المتصل إلى الاشكال الثلاثة" يضرب المثل بقضايا الله فيها موضوع مثل الله وقت، والله ليس في زمان يحتاج إليه، فليس كل وقت بزمان. فانه وقت يراد به أنه مالك للوقت. وفي ترتيب العلوم الحكمية، ما تشترك فيه وما تتفق تبتدأ الموجودات في العلم الإلهي من مبدأ واحد هو المبدأ الأول. وتتوسط الرياضيات بين الطبيعيات والالهيات.

وفي فصل "استعمال المقاييس والتدبير في تأليفها أو منعها في الجدل وكيف يقع في الشيء الواحد علم وظن متقابلات" تظهر المادة الفقهية الموروثة ولو على نحو مجرد كما هو الحال في تلخيص الخطابة لابن رشد. فالفقهيات منها ضمانر ومقالات مأخوذة من الأقوال المنقولة عن الأصل الذي إليه الاسناد في تلك الشريعة. يتبين فيها الحكم بحسب الأصول. فتكون كلية بالذات وجزئية بالعرض. كما يتم التعرض إلى الفراسة ولكنها أدخل في العلم الطبيعي في صفات الحيوان. وتظهر المتواترات في علم البرهان كعلم ضروري لا يناله الشك، وهي في القضايا المقبولة ممن يثق به المسلم ولا يعرض كلامه للشك والطوائف المختلفة ممن يعتقدون فيه العلم والنبوة ويشتهر عندهم بالمعرفة والأمانة والعلم والديانة<sup>(٤)</sup>.

وتشمل الطبيعيات ستة أجزاء تتأرجح عناوينها بين أسماء الموضوعات وعناوين كتب أرسطو. الجزء الأول "في المطالب التي تكلم فيها أرسطوطاليس في كتابه المعروف بالسمع

(١) السابق ج١-٩٧-٩٨/١٠٠-١٠٧/١١٧-١١٩/١٢٦-١٤٧.

(٢) السابق ج١-١١٣/٢٠٧.

(٣) السابق ج١-٣٩/٤٣/٩٤/١٧٢/٢٢٥/٢٢٩.

(٤) السابق ج١-١٩٩/٢٠٧/٢٠٦-٢٠٧.

الطبيعى وتحقيق القول فيها". والثانى "يشتمل على المعانى والأعراض التى تكلم فيها أرسطوطاليس وتضمنها كتاب السماء والعالم وتحقيق النظر فيها". والثالث "يشتمل على المعانى والأعراض التى تضمنها كتاب أرسطوطاليس فى الكون والفساد وتحقيق النظر فيها". والرابع يشمل "المعانى والأعراض التى تضمنها كتاب أرسطو فى الآثار العلوية والمعادن". والخامس "يشتمل على المعانى والأعراض التى تضمنها كتابا أرسطو فى الحيوان والنبات. والسادس "يشتمل على المعانى والأعراض التى تضمنها كتاب "النفس". وتختفى الطبيعيات الصغرى باستثناء إضافة فصل عن النوم والرؤيا فى الجزء السادس عن النفس<sup>(١)</sup>. وأكبرها الجزء الأول عن السماع الطبيعى، وأصغرها الرابع عن الآثار العلوية والمعادن<sup>(٢)</sup>. وبعض الأجزاء تشير إلى فصولها على العموم مثل الثانى، والبعض الآخر يحدد عددها، أحد عشر فصلا فى الثالث، وثلاثون فى السادس، والبعض الآخر لا يذكر الفصول لا على العموم ولا على الخصوص مثل الأول والرابع والخامس.

والعرض للمعانى والأعراض فى الأجزاء الأخيرة التى تحيل إلى أسماء كتب أرسطو، المعانى أى الموضوعات الرئيسية والأعراض أى الظواهر الفرعية. ليس العرض شرحا أو تلخيصا أو تعليقا على الأقوال بل تناولا للموضوعات ذاتها، الرئيسية منها والفرعية. الجزء الأول عن السماع الطبيعى يتحدث عن "المطالب" أى الموضوعات.

ولا يعنى العرض مجرد وصف أو تقرير بل يعنى أيضا المراجعة والتحقق من صدق المواد المعروضة. لذلك يظهر فى عناوين الأجزاء الأول، "وتحقيق القول فيها"، والثانى والثالث والرابع والخامس "وتحقيق النظر فيها" باستثناء السادس عن النفس لاكمال المادة وإدخال بعد جديد فيها، نظرية الاتصال<sup>(٣)</sup>.

ويبرز البعد الإلهى فى السماع الطبيعى فى النهاية واللائهاية المقولين فى المكان والزمان وغيرهما. فقد عظم بعض القدماء اللائهاية وقال أنه هو الله تعالى والمبدأ الأول. وفى مبحث الزمان يذكر قول البعض أن الدهر هو الله ونسبته إلى متبدلات خلقه هو الزمان، وقول آخرين أن الزمان هو أول ما خلق الله فى الأزلى، وهو صانعه وفاعله ولا يتقدم عليه إلا بالذات لا بالزمان. ولا يعارض أبو البركات القول بأن الله هو الدهر فى التسمية الوضعية

(١) السابق جـ ٢/٢٠٠/١٢٠/١٦٠/٢١٣/٢٣٦/٢٩٧.

(٢) السماع الطبيعى (عدد الصفحات) (١١٨)، الحيوان والنبات (٦١)، النفس (٥٥)، الكون والفساد (٥٢)، السماء والعالم (٤٠)، الآثار العلوية والمعادن (٢٣).

(٣) السابق جـ ٢/١٥٩، ولم ينته لنا فيما قبل ما يخالف هذا فتعتبره جـ ٢/٣٢٩.

الذاتية والنسبية إذ لا معارضة في الأسماء. وتختلف صفات الناس وأفعالهم على درجات. فمنها ما ينحط إلى درجة الحيوان ومنها ما يرتفع إلى درجة الملائكة مثل الأنبياء والأولياء والزهاد والعلماء، ولهم عجائب الصنائع ووثائقها وغرائب التدابير ومحاسنها. وفي النفس، في موضوع وحدة النفوس الانسانية أو كثرتها بالشخص أو بالنوع يظهر موضوع النبوة التي اعتبرها الحكماء خاصة لنفس شريفة. وفي فصل "في خواص النفوس الشريفة من النفوس الانسانية ونوادير أحوالها" يضرب المثل بنفوس الأنبياء أصحاب الهداية والرواية، والرسل بين الله وخلقهم مبشرين ومنذرين، معلمين ومبصرين، مجرين المعجزات بقدرة الله التي يخص بها الأرواح والملائكة. ومعهم كتاب أو صحيفة من صحائف الوجود، وأم الكتاب يضم علم الله المسبق يقرؤها ذوو الأبصار باللسان والقلب والعين، لا غلط فيه. شواهدا صادقة. وحذر سليمان من الكتب المصنوعة من الخواطر وأمالى الأوهام والصناعات الانسانية طويلة العمر قصير كما قال بقراط<sup>(١)</sup>.

ويضيف أبو البركات مادة جديدة في المقالة الخامسة عن الحيوان والنبات فصلا أخيرا، الفصل الثاني عشر "في الجن والأرواح" معترفا بنهاية كتابي أرسطو واطرافه هذا الجزء بناء على سؤال "رفيقي أيده الله" نظرا لأن القائلين بهم أدخلوهم في زمرة الحيوان، ورأوهم نوعا مقابل لنوع الانسان وجوزوا ذلك بالنظر الحكمة بينما نفاه الآخرون وبالتأمل الحكيم الصادق وشواهد التجارب والاعتبارات من الآثار والأخبار فافترق الناس فيه بين الإثبات والنفي والتجويز.

ويجيب أبو البركات الصديق السائل بداية بتحليل مصادر المعرفة. الأول الوحي والنبوة المخبرة بوجودهم على السنة الأنبياء والحكماء والمرويات في الكتب والأخبار. فقد أخبر الأنبياء بوجود أشخاص لا تدرکہم الابصار تتشكل على ألوان يجوبون الفضاء والأرض ظاهرها وباطنها، يفهمون ويتكلمون ويتناجون ويخبرون ويتذكرون يبشرون ويحذرون، يؤمنون ويكفرون. والثاني الحكماء والنظار مثل أفلاطون وشيعته عن طريق القسمة العقلية وكأن القسمة الذهنية تتطلب بالضرورة الوجود الواقعي. فالحيوان إما ناطق غير مانت وهم الملائكة وسكان السموات، وإما ناطق مانت وهو الانسان، وإما مانت غير ناطق وهو الحيوان، السباع والبهائم، وناطق غير مانت وهم الجن. والثالث المشاهدة والرؤية والأخبار الموثوق بها. وتنتهي إلى مثل ما يقول به الأنبياء بالاضافة إلى أنهم يدخلون في أبدان الناس

(١) السابق جـ ٧٧/٨٠ - ٨٨/٨١ - ٨٩/٨٢ - ٣٨٧/٤٣٦ - ٤٣٧.

ويتصرفون فيها تصرف الأرواح التي خلقت لها، ويخبرون أرواحها الخاصة بها، ويخبرونها وينفعونها، ويمرضون الأبدان ويشفونها ويعطلونها. قال ذلك بعض الحكماء الذين يقولون بالعزائم والرقى والتنجيم والرؤيا<sup>(١)</sup>.

ويتحقق أبو البركات من صدق هذه الآراء الثلاثة. ويقبل الرأي الأول الذي يقوم على الوحي والنبوة. وهو رأى بعض الحكماء أيضا دون تأويل حتى ولو أشكل الجواز والتعليل. ويناقش كلام الحكماء، أفلاطون وشيعته، يتأمله ويعارضه ويسأل عن جوازه وامتناعه أوجوبه وعن كَيْفِيَّتِهِ ولِمِيَّتِهِ. وهو لا يختلف عن الرأيين الأول والثالث إلا في طريق الإثبات، القسمة التي توجب تطابق عالم الأذهان مع عالم الاعيان.

وإذا كان عيب العرض غياب الدلالات والاكتفاء بإعادة بناء العلم الوافد من وجهة نظر الموروث اعتمادا على العقل الخالص مع نوع من البرودة والحياد والخالى من التجارب الشخصية فإن هذه الدلالات تكثر في العلم الإلهي مكان التشويق بين الوافد والموروث. ويتكون الجزء الثالث "العلم الإلهي" من مقالتين بلا عناوين وتتضمن كل منهما عدة فصول. ويضم أيضا علم الطب والأخلاق أى البدن والنفس لما كان موضوع النفس هو الحلقة المتوسطة بين العلم الطبيعية والعلم الإلهي. ويسمى أيضا إلهيات، من إله وليس من الله<sup>(٢)</sup>. والعلم الإلهي هو العلم بالموجود بما هو موجود. ويسمى الفلسفة الأولى. وموضوعه الله وملائكته، صفاته وأفعاله واسماؤه وكأننا في علم الكلام. وهو نفس مفهوم العلم الطبيعي، الزمان والمكان، والجوهر والعرض، والصورة والمادة، والعلة والمعلول مما يدل على أن العلمين علم واحد كما لاحظ الفارابي في إحصاء العلوم واضعا العلم الطبيعي والعلم الإلهي في نفس العلم. وأهم موضوع فيه قدم العالم وحدثه، الموضوع الشهير بين المتكلمين والفلاسفة والصراع بين القدميين أنصار القدم والحديثيين أنصار الحدث. القدميون هم الدهرية الذين سموا الحديثيين معطلة لتعطيل الله عن وجوده<sup>(٣)</sup>.

وكالعادة يبدأ "المعتبر" بالبسملة، والله ولي التوفيق. ويضيف الناسخ بعد اسمه "رضى الله عنه"، وبالحمدلة والشكر على الأفضال والآلاء. بل ويبدأ كل مقال بها بالاضافة إلى أن التوفيق من الله وعليه التوكل وبه الاستعانة واليه الانابة<sup>(٤)</sup>. وتظهر العبارات الإيمانية في آخر

(١) السابق جـ ٢٨٩/٢-٢٩٧/٢٩٨.

(٢) السابق جـ ٣/٣-٤/٦.

(٣) السابق جـ ٢٨/٣-٤٨.

(٤) السابق جـ ٢/١-١٢٠/١٦٠.

كل مقالة مثل الحمدلة والصلاة على محمد النبي وآله الاكرمين وسلم تسليما، وهو حسبي وعليه أتوكل. والله أعلم بالصواب مع الشكر للنعماء، بالاضافة إلى الناسخ وخطه وتاريخ النسخ الأول والثاني<sup>(١)</sup>.

ويتم الانتقال بسهولة ويسر من مدح الله إلى مدح السلطان سواء من المؤلف أو من الناسخ<sup>(٢)</sup>.

٨ - مقاصد الفلاسفة (الغزالي). وهو نوع من العرض الكلي من أحد خصوم الفلاسفة وهو الغزالي (٥٠٥ هـ) قبل أن يكتب "تهافت الفلاسفة". فالعرض الموضوعي يسبق النقد. فإلى أى حد يمكن للناقد أن يعرض عرضا موضوعيا أم أن كل عرض قراءة؟ لذلك يخرج الغزالي عن القاعدة. ولا ينتظر نقد الفلاسفة في "تهافت" ويبين في الطبيعيات فساد استنباطهم<sup>(٣)</sup>. وهو من حيث "التحول" يكون في التراكم، تنظير الموروث قبل تمثل الواقع، نظرا لأولوية الاستشهاد بالحديث والقرآن وباللغة العربية والفقهاء والكلام على الاستشهاد بأرسطو<sup>(٤)</sup>. صحيح أنه مازالت تظهر بعض الألفاظ المعربة مثل ايساغوجي، السكنجين، الكروبيون، يونانية وفارسية وعبرية دون ميزة خاصة لليونانية. وهو عرض وجيز وواضح. فمن يبغي النقد عليه أن يكون قادرا على العرض لمقاصد الفلاسفة أكثر من الفلاسفة أنفسهم.

بل أنه يستخدم الجداول لبيان ضرورة الشكل الأول منتجها وعقيمتها. ويكشف العنوان "مقاصد الفلاسفة" عن النوايا والبواعث والأهداف وليس الآراء والمعتقدات والمذاهب. فالفلسفة مقاصد كالشرعية. وكل ما سواها تطويل وحشو وزوائد على سبيل الاقتصاد والحكاية<sup>(٥)</sup>.

ويشمل العرض أقسام الحكمة الثلاثة: المنطق والطبيعيات والالهيات، ولكن الغزالي يقدم الالهيات على الطبيعيات ويبرر ذلك بأهمية الالهيات وكثرة الخلاف فيها ولأنها غاية

(١) السابق ج١-٢٠٣/٢٢٢-٢٢٣ ج٢-١١٩/١٥٩/٢١٢/٢٣٦/٢٩٧/٤٥٠-٤٥١.

(٢) 'وذاك يا حسن المهود وأطيب الأزمان وأعلى الدول الدولة العلية العثمانية تحت ظل دولة السلطان بن السلطان حضرة مظفر الممالك سلطان العلوم (مير عثمان على خان بهادر) لازالت شمس دولته ساطعة باهرة وتحت صدارة الرئيس الأعظم النواب المستطاب سرحيد وفواز جنكت بهادر الصدر الأعظم للرياسة الأصافية وصدر مجلس دائرة المعارف وتيابة المجلس للنواب المستطاب محمد يار جنكت بهادر وتحت اعتماد النواب المعلى الألقاب مهدي يارجنكت بهادر وزير السياسة والمعارف للرياسة والعميد لدائرة المعارف والنواب العالي الخطاب ناظر يارجنكت بهادر ركن العلية للرياسة وشريك العميد للدائرة وتحت الاهتمام باهر الانتظام لمولانا الهمام السيد هاشم الندوي لازالت افاداتهم عاطفة علينا وفيوضهم نازلة الينا... وأنا أحقر عبادة المساكين .. السابق ج١-٢٨١.

(٣) مقاصد الفلاسفة ص ٨/١٢٠/١٨٢.

(٤) السابق ص ١٥٢/٣٢٠.

(٥) الحديث (٦)، القرآن (٥)، أرسطو (٣).

العلوم ومقصدها. وتؤخر لغموضها وعسر الوقوف عليها قبل الوقوف على الطبيعيات (١). ومن حيث الكم تأتي الالهيات أولاً ثم الطبيعيات ثم المنطق (٢). وتغيب الرياضيات والمنطقيات والطبيعيات والالهيات. وليس في الرياضيات، الحساب والهندسة ما يخالف العقل وبالتالي لا يمكن انكارها أو جردها. ولا سبيل إلى الرد عليها. والمنطقيات أكثرها على منهج الصواب والخطأ نادر فيها. إنما يخالف الفلاسفة أهل الحق فقط في المصطلحات والإيرادات دون المعانى والمقاصد. غايتها تهذيب طرق الاستدلالات، وهو ما يشارك فيه النظائر جميعاً. والطبيعيات الحق فيها مشوب بالباطل، والصواب فيها مشتبته بالخطأ. ليس فيها غالب ولا مغلوب. أما الالهيات فأكثر عقائدها على خلاف الحق، والصواب نادر فيها. هناك إذن تدرج من الصواب المطلق في الرياضيات إلى الصواب الغالب في المنطقيات إلى الصواب المشوب بالخطأ في الطبيعيات إلى الصواب الأقل في الالهيات. على نحو نازل ابتداء من الصواب، ومن الخطأ الغالب في الالهيات إلى الخطأ المشوب بالصواب في الطبيعيات إلى الخطأ الأقل في المنطق إلى غياب الخطأ المطلق في الرياضيات ابتداء من الخطأ على نحو صاعد وهو أقرب إلى المنطق التقليدى باستثناء بعض الاشارات إلى اللغة العربية وأساليبها في الحديث والفرق بينها وبين الاعجمية والبيئة الجغرافية العربية وبعض الأمثلة الفقهية والكلامية كمادة شارحة للمنطق (٣).

في المنطق تظهر الأمثلة المحلية للغوية كمادة العرب في الحديث عن زيد وعمر وعبداً (٤). كما يبدو التقابل بين اللغة العربية واللغة الفارسية أو الأعجمية (٥). إذ يفترق السالب والموجب في القضايا بين العربية والفارسية. كما يظهر التقابل أيضاً في الالهيات في معنى الألفاظ مثل الوجود. كما تظهر الجغرافيا المحلية من البيئة العربية، الحجاز والعراق. ويضرب المثل بالمتواترات العلم بوجود مصر ومكة (٦).

ويظهر الموروث الفقهي والكلامى كمادة جديدة للمنطق. ويصح الاعتماد على الاستقراء في الفقهيات في اليقينية. وفي الفقهيات كلما كان الاستقراء أشد استقصاءً وأقرب إلى الاستيفاء كان أقرب إلى اليقين وأبعد عن الظن. ويسمى الفقهاء والمكلمون المثال قياساً،

(١) مقاصد الفلاسفة ص ٧٤.

(٢) الالهيات (١٥٧)، الطبيعيات (٨٧)، المنطق (٦٨). مقاصد ص ٢.

(٣) يقسم المنطق إلى خمسة فون: الأول دلالة الألفاظ، والثاني المعانى الكلية واختلاف نسبها وأقسامها، والثالث تركيب المفردات وأقسام القضايا، والرابع تركيب القضايا، أشكالها وضرورها، والخامس في لواحق القياس البرهن.

(٤) مقاصد الفلاسفة ص ١٠/٩ - ١١/١٦ / ٤٢/١٨ / ١١٣.

(٥) السابق ص ٢٢ - ٢٣/٨٠.

(٦) السابق ص ٤٢/٥٣.

قياس الجزئى على الجزئى. ويستعمل الغزالي بعض مصطلحات علم أصول الفقه مثل السبر والتقسيم وهو من مباحث العلل مما يدل على استحالة عرض المنطق موضوعياً دون إعادة قراءة الوافد من خلال الموروث. ويضرب المثل بالتصديق بالمعجزات على المتواترات، وعلى المشهورات بقدرة الله على كل أمر صادق لأن إنكار ذلك مستقبح وليس بصادق فإنه ليس قادراً على أن يخلق مثل نفسه بل يقال هو قادر على كل أمر ممكن فى نفسه. هو عالم بكل شئ ولا يقال عالماً بوجود مثل له. ويضرب المثل بسؤال هل الله موجود على مطلب هل (١). ويظهر الله ككفكرة محددة فى المنطق. فالسلب يصح على المعدم. مثال ذلك شريك الله ليس بصيراً ولا يقال شريك الله غير بصير (٢).

والالهيات أيضاً أقرب إلى الالهيات التقليدية (٣). فالله هو سبب الوجود كله. موضوعها برئ عن المادة، أعم الأمور العامة وهو الوجود المطلق. ويسمى العلم الالهى وعلم الربوبية. ومبحث الجواهر والأعراض والصورة والمادة والعلة والمعلول، والزمان والمكان، والكم والكيف والحركة والسكون مباحث مشتركة بين الطبيعيات والالهيات، مرة بلغة النسبى ومرة بلغة المطلق. والبارى غير منقسم كالنقطة لا بالقوة ولا بالفعل لأن واحداً غير متكرر يعلم الاجناس والأنواع والممكنات الحادثة. لا يجوز أن يعلم الجزئيات علماً يدخل تحت الماضى والمستقبل والآن. بيده الخير والهداية ﴿الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى﴾ ، ﴿الذى قدر فهدى﴾. وهو منزه عن كل نقص "أنت كما أتيت على نفسك لا أحصى ثناء عليك" (٤). ويتم الاستشهاد بأرسطو من منظور اسلامى. مثل أن الله يدرك جمال ذاته كما ندرك جمال ذواتنا. كما تعرف الملائكة أنفسهم. والناس عاجزون عن إدراكه و"العجز عن درك الإدراك إدراك" (٥).

ويصعب فصل الالهيات عن الطبيعيات. فالطبيعيات تحيل إلى الالهيات فى مراتب الكون، صعوداً من المعادن إلى النبات إلى الحيوان إلى الإنسان إلى الملائكة والجن والشياطين، بالرغم من التفرقة بين العلمين. الملائكة جواهر، وجودها غير ماهيتها، الله وحده وجود بلا ماهية زائدة، وجود محض (١).

(١) السابق ص ٤٣/٤٥/٥٣/٥٦/٦٣.

(٢) السابق ص ٢٣.

(٣) تنقسم إلى خمس مقالات: الأولى فى أسام الوجود وأحكامه وأعراضه الذاتية، والثانية فى ذات واجب الوجود ولوازمه، والثالثة فى صفات الأول، والرابعة فى ذكر أفعاله، والخامسة فى كيفية وجود الاثنياء من المبدأ الأول.

(٤) مقاصد الفلاسفة ص ٧٤-٧٧-٧٨/١٥٩/١٦١/١٦٧/١٨١/٣٢٠.

(٥) السابق ص ١٧٧-١٧٨/١٨١.

(٦) السابق ص ٧٥/٧٨/١٨٠.

وتظهر أمور المعاد فى الالهيات وهو ما يغيب عند أرسطو. وينال الإنسان السعادة الأبدية فى الآخرة ويلحق بالملأ الأعلى ويكون رفيق الملائكة فى القرب من الأول الحق بالصفة لا بالمكان. وتتحرك النفوس بالعشق وتكون كالملائكة السماوية وهى العقول المبرأة عن المادة. وهذا هو سر القدر. وظهر الموضوع من جديد فى الطبيعيات فى القسم الخاص بالنفس. وفى آخر الطبيعيات فى النفس تظهر أيضا بعض السمعيات مثل النبوات والكرامات، وتفاوت درجات الملائكة والانبياء والعلماء فى مراتب القرب من الله (١).

كما ترتبط الالهيات بالعلوم الشرعية والعلوم السياسية المذكورة فى تدبير المدن وترتيب أهلها وعلم تدبير المنزل علم الأخلاق. فكما أن الالهيات طبيعيات مقبولة إلى أعلى فإنها أيضا أساس الانسانيات. وتقوم المدينة على العلم "أشد الناس عذاب يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه". وهو العلم النافع والعلم الهادى والموفق للصواب" من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا". ويضرب المثل على التقدم بالشرف بتقديم أبى بكر على عمر وسائر الصحابة (٢).

أما الطبيعيات فهى أيضا أقرب إلى الطبيعيات التقليدية (٣). وتكرر موضوعات الالهيات نظرا لارتباط العلم. ويذكر أرسطو فى تعريف المكان وفى كيفية الإدراك (٤). وهى أقل أجزاء "المقاصد" دلالة.

العرض إذن كلى لأنه شامل لأقسام الحكمة الثلاثة ولكنه بقلم غير فلسفى، من الخارج وليس من الداخل، عرضا لمقاصد الفلاسفة وليس تعبيراً عنهم بقلم فيلسوف.

ثانياً: العرض النسقى الشعبى (إخوان الصفا)

١- الفكر الجماعى أ- للخصائص والألقاب. ولأول مرة فى تاريخ الفكر الإسلامى يظهر نوع من الفكر الجماعى يعرض عرضاً نسقياً الحكمة الثلاثية، المنطق والطبيعيات والالهيات ويزيد عليها قسماً رابعاً عن الانسانيات فى "العلوم الالهية التاموسية والشرعية" ثم تحويل ذلك كله على مستوى شعبى فى أساليب التعبير بدلاً من العرض النسقى المنطقى المجرى عند ابن سينا الذى هو

(١) السابق ص ٧٥/١٧٩/٢١٧/٢٣٠/٣٠٥/٣١٤.

(٢) السابق ص ٨٦/١١٩/٣٠٧-٣٠٨.

(٣) تضم الطبيعيات خمس مقالات: الأولى فيما يعم الأجسام، والثانية فى الأجسام البسيطة، والثالثة فى المزاج والمركبات، والرابعة فى النفس النباتى والحيوانى والانسانى، والخامسة فيما يفيض على النفوس من العقل الفعال.

(٤) مقاصد الفلاسفة ص ٢٤٦/٢٨٢.

ربما رد فعل عليه. وفي نفس الوقت له غاية سياسية واضحة في معارضة نظم الحكم كجماعة سرية باطنية. وهي سمات أربع تعتبر نقلة نوعية في علوم الحكمة<sup>(١)</sup>.

فلأول مرة يظهر فكر جماعي يعبر عن حال الثقافة الإسلامية في القرن الثالث إعدادا لمشروع ثقافي مشترك استمر فيه على نحو فردي أبو سليمان السجستاني ثم أبو حيان التوحيدي وأبو الريحان البيروني. وكان ابن المقفع قد بدأه من قبل وجرده ابن سينا على نحو منطقي خالص في "الشفاء". لا تهم أشخاصهم بقدر ما تهم أعمالهم<sup>(٢)</sup>. ولا تهم معرفة كيف تم التأليف الجماعي. هل ناقشت الجماعة الكل بعد أن كتبت الكل أم انهم كلّفوا أحدا بالكتابة لهم ثم تمت المراجعة؟ هل كان ثمة تقسيم عمل، كل واحد من الخمسة كتب ما يخصه طبقا للتخصص أم ان كل واحد كتب جزءا أو عدة رسائل ثم تمت المراجعة العامة؟ هل حدث إجماع على الرسائل دون خلاف، وفي حالة وقوع الخلاف كيف تم تجاوزه؟

وبدل الفكر الجماعي على أن الفلسفة تيار وليست أفرادا، حركة فكرية جماعية وليست فقط اجتهادات فردية. هي جماعة رأى، تذكر الموضوعات على رأى إخوان الصفا. المبادئ العقلية على رأى إخوان الصفا وليس مجرد نقل مادة بعد بيان الموجودات العقلية على رأى الفيثاغوريين، فالإبداع بعد النقل. المبادئ عند الاخوان والموجودات عند الفيثاغوريين وكان الاخوان حولوا الأعداد إلى مبادئ فقط وليست موجودات. لهم رأى مخالف لمذهب الفيثاغوريين في المبادئ العقلية والأعداد. الهدف من رسالة "المبادئ العقلية" إثبات أن الوجود متقدم على البقاء، والبقاء متقدم على التمام، والتمام متقدم على الكمال، والاعلان عن ذلك في نهاية الرسالة. فالمادة لها هدف وتوجه، الانتقال من الرياضيات والمبادئ العقلية إلى الوجود. لا يخاطبون إلا أنصارهم وليس خصومهم كما يفعل المتكلمون. لذلك غاب الجدل وحضرت الرياضيات الروحية. هم أصحاب اعتقاد. وفي بعض رسائلهم خصال واضعي النواميس واتباعهم وشرائطهم. ولما كان إخوان الصفا جماعة رأى كانت لهم جماعات مضادة

---

(١) كانت "رسائل إخوان الصفا" مغلقة في ذهننا مثل "راحة العقل" لحמיד الدين الكرماني لا ندرى لها وضعاً في حياتنا الجامعية الأولى مثل "تنزيه القرآن عن المطاعن" للباقلاني وأنا بصدد كتابة "من العقيدة إلى الثورة"، وهو لا يدخل في علم الكلام بل أدخل ربما في علوم القرآن، فالمؤلف يكتب في عدة علوم. ثم أدخلت الرسائل في نسق العلوم بعد قراءة السجستاني ورسائل الاسماعيلية وعرفت مكانها في تاريخ الفكر الإسلامي كرافد شعبي سياسي باطني معارض في مقابل الرافد السني السلطوي المجرد.

(٢) هم أبو سليمان محمد بن معشر البستي المعروف بالمقدمي، أبو الحسن علي بن هارون الزنجاني، أبو أحمد المهرجاني، أبو الحسن الصوفي، زيد بن رفاعة. أبو حيان: المقاييسات ص ٢٠-١٩.

مى جماعات الجهل والفساد<sup>(١)</sup>. هم جماعة أصفياء وأصدقاء وكرماء، كانوا نياما فى كهف آدم فاستيقظوا فى مملكة صاحب الناموس، وشاهدوا المدينة الروحانية التى خرج منها آدم وزوجه بفضل ابليس، لا فرق بين وصف الواقع والخيال، الحاضر والماضى، السياسة والأسطورة. هى جماعة خلاص من الظلمات إلى النور، ومن مدينة الأرض إلى مدينة السماء. هم أصفياء فيما بينهم، صابرون على البلوى فى السراء والضراء، مستسلمون لدينهم، منقادون اليه بنفوس صافية مطمئنة. وهم أحق للناس بالعبادة الشرعية ومراعاة أوقاتها وأداء فروضها، ومعرفة حلالها وحرامها بالإضافة إلى العبادة الفلسفية، وتأسيس ثلاثة أيام أعياد للاجتماع مع الاخوان، وأما قربانهم فانه يجمع بين الخصال كلها فى الشرع والفلسفة والتقرب بكبش ابراهيم<sup>(٢)</sup>.

وتصف كثيرا من الرسائل أحوال الاخوان فيما بينهم، كيفية معاشرتهم وتعاونهم والمودة بينهم فى الدين والدنيا، والثبات على مبادئهم دون تلون أو انقطاع لأنهم نفس واحدة فى أجزاء متفرقة. فاذا تغيرت الأجسام فالنفس باقية. يتعاون الاخوان فيما بينهم لصالح الدين والدنيا معاونة صاحب المال لصاحب العلم وصاحب العلم لصاحب المال. هى جماعة مغلقة<sup>(٣)</sup>. يصفون معاملاتهم ومعاوناتهم فى أمور الدين والدنيا. متعة كل أخ فى تعاونه مع أخيه. يريد له ما يريد لنفسه، ويكره له ما يكرهه لنفسه. ينصحون بعضهم بعضا. ما يجمع بينهم أن كل واحد يعلم ويرى أن صلاح الدنيا والفوز بالآخرة لا يتمان إلا بتعاونه مع صحبه<sup>(٤)</sup>.

ولدى الجماعة إحساس بالذاتية. يشيرون على أنفسهم. ولهم اعتقاد يصفون فيه حال الرجل الحكيم الصادق والطبيب الحاذق. هم الاخوان المؤمنون، الأقران البالغون، أهل المجد، وأبناء الحمد. هذبتهم الحكمة، وأسبغت عليهم النعمة، وكملت صورتهم، وعرفوا الشريعة. دخلوا السلام، واستوطنوا دار المقام، قدوة حسنة، عاشوا فى الدنيا بأبدان عابرة وأرواح

(١) فى العبادىء العقلية على رأى إخوان الصفا جـ٣/١٩٩، فى بيان اعتقاد إخوان الصفا جـ٤/٣ جـ٥/٥١٤/٣٤٥، اعتقاد إخوان الصفا جـ٤/٥٧٦ جـ٤/٣٢٩/١١ جـ٤/٤٠٣ جـ٤/١٦١/٧، فاحترم قائم اعداء أهل العلم ومخالفون لأهل الورع مضادون لآخوان الصفا لأن أحوالهم وأخلاقهم أخلاق الشياطين وقوتهم قوة الدجالين جـ٣/١٧٢/١٧ جـ٤/١٧٤ جـ٣/٣/٢١٢.

(٢) جـ٤/١٨/٣ جـ٤/٢٧١/٢٦٨/٩.

(٣) تشبه إلى حد ما الجماعات الاسلامية المعاصرة.

(٤) الرسالة الرابعة فى كيفية عشرة إخوان الصفا وغلان الوفا وتعاون بعضهم لبعض بصدق المودة وصحبة المحبة ومحض الرأفة والثقة والتحنن والرحمة وسيرتهم فى صلواتهم ومذكراتهم ومجالسهم واجتماعاتهم جـ٤/٣٩/٧٧/٤١/٤٨/٥٥ جـ٤/١٢٦/٦ جـ٤/١٧٠/٧ جـ٤/٢٧٠/٩.

ظاهرة، وشاهدوا الحق بعين اليقين، وعرفوا نازل الايمان، وعرجوا إلى ملكوت السماء مع الملائكة. يؤنسون الوحيد، ويعينون على السعادة. ليس فيهم أتباع اليونان أى أنهم جماعة محلية صرفة تعبر عن الواقع المحلى وبه الموروث أولا والوافد ثانيا. الخلاص عن طريق الجماعة. لهم دعوة وتبليغ مثل سائر فرق الشيعة<sup>(١)</sup>. منهم السعداء والنجباء وأهل البصائر وذوى السرائر. هم أصحاب العلوم المكنونة والسراير المكتومة<sup>(٢)</sup>. جمعوا بين الفلسفة والتصوف، بين العقل والاشراق<sup>(٣)</sup>. يبدون وكأنهم جمعية علاجية الهدف منها إصلاح النفوس المريضة. وقد عرضت قصة قصة الطبيب الرقيق فى إحدى الرسائل. لهم أسلوب فى الحياة وطريقة فى المعاشرة ومعاونة بعضهم لبعض، وكيف يكونوا فى اجتماعاتهم وأعيادهم وجماعاتهم وعبادتهم وصلواتهم ومذكراتهم وحكمهم. مهمتهم جمع الشمل بظهور النفس الزكية والارواح الطاهرة المطمئنة. ويدل اسم الجماعة على تكوينها الداخلى، جماعة باطنية داخلية مترابطة بالقلب وليس بالمصالح. تتجاوز الطبقات الاجتماعية والأحزاب السياسية. ويعبر الفكر الجماعى الشعبى عن الوحدة العضوية بين الدين والفلسفة، الأدب والتصوف. لذلك غلب عليه الاشراق الذى أعطاه الفارابى وابن سينا ثم السهروردى صياغاته العقلية والمنطقية.

وتعبر "الرسائل" عن التراث الشيعى الاسماعيلى تاريخيا وفكريا، مضمونا وشكلا<sup>(٤)</sup>. كتبتها جماعة سرية تتبع الأئمة بعد أن غاب صاحب الشريعة وقتل الفاروق وذو النورين. فاخفتى الاخوان، وانقطعت دولة الخلان حتى يحين وقت الظهور. علومهم سرية، وإشاراتهم خفية لا يطلع عليها أحد إلا هم ومن صفت أذهانهم ونفوسهم وتشبهوا بالاله بحسب الطاقة الانسانية، ونالوا السعادة فى الدنيا والفوز فى الآخرة. وهم خلفاء الرسل فى اسرار الناموس، وخلفاء الأئمة المهديين والخلفاء الراشدين. الرسائل كلها بيان لأخلاقهم وخصالهم وشرائعهم وعلومهم ومعارفهم وطرائقهم. وفى تقسيم أصناف الناس فى خدمة الناموس إلى ثمانية، القسم الثامن كله من الأئمة الذين كتبت لهم هذه الرسائل<sup>(٥)</sup>. بالرسائل سمات أدبيات الشيعة التى تم ترويجها عند أهل السنة مثل أدبيات الكرمانى والعامرى والسجستانى. بها الفاظ الشيعة مثل ورثة الانبياء، خلفاء الرسل فى الأرض، الأئمة المهديون.

(١) هم أشبه بالماسونية أو البهائية المعاصرة.

(٢) ٨٠-٧٩/٢٣٧/١٠٤/١٠٢/٥/٤/٥٠.

(٣) تأسست فى البصرة وأنشأت لها فروع فى بغداد، والبصرة مهد المعتزلة والحسن البصرى، العقل والتصوف فى آن واحد جـ ١٢/١/٢ - ٣٧٨/٩/١ - ٢١/١ - ٣٢٩/١١/٤ - ١٤٦/٧/٤ - ٢٠٣/٥٣٧/٥.

(٤) الرسائل من تعاليم دعاة محمد بن اسماعيل بعد أن خرجوا إلى اليمن والمغرب وكافة أقطار الشرق. نشأت فى المشرق وانتقلت إلى الأندلس، حاتم بن عمران: الأصول والأحكام ص ١٢٠-١٢١.

(٥) الرسائل جـ ٢١٩/٩/٤ - ٤١٧/١١/٤ - ٤١١/١١/٤ - ٢٢٧/٩/١.

وتدل ألقابهم على المعارضة السياسية التي تبدأ بالفكر والعمل فهم "إخوان الصفا وخلان الوفا". يجتمعون على الصفاء والوفاء أى الصدق ضد غواية السلطة والتفاق<sup>(١)</sup>. ولأول مرة تعطى جماعة لنفسها عدة ألقاب كلها مدح وإطراء وشكر فى النفس كما يفعل أهل السنة فى وصف أنفسهم بأهل السنة والحديث، أهل الاستقامة. وتختلف الألقاب فيما بينها قصرا وطولا بين لقب سواحد "إخوان الصفا"، أو لقبين "إخوان الصفا وخلان الوفا"، أو ثلاثة "إخوان الصفا وفلان الوفا ومذاهب الربانيين الالهيين" أو أربعة "إخوان الصفا وخلان الوفا وأهل العدل وأبناء الحمد" أو ستة "إخوان الصفا، وخلان الوفا، وأهل العدل، وأبناء الحمد، وأرباب الحقائق، وأصحاب المعانى"، ومنها خرجت كثير من حركة المعارضة السياسية كالقرامطة والحشاشيين. والبعض انضم إلى الفكر اليونانى الخالص وانعزل سياسيا عن مقاومة الظلم الداخلى وإن قاوم الاحتلال الخارجى مثل الدروز والبعض أصبح مجرد أقلية سلطوية مثل النصيرية.

وقد توحى بعض الألقاب الأخرى بالسلب مثل القداح أى مبدع المكر، قداح الحكمة الخلس أى أخ المختلس، والمتعصب إلا أنها أيضا تعنى الفاعلية ومقاومة الشر بمثله، والظلم بمثله. وبعض ألقابهم إيجابية مثل زبد الهداية. لهم دولة تظهر عندما يصير الحكم والأمر إلى القدس ويبت المشترى ومثله الشمس. فتظهر فى عالم السعادة، ويستقيم أمر الدين، وينتظم العالم كله على حكمة واحدة بعد الشتات. مدة حكمهم ١٥٩ سنة، إلى هذا الحد تصل الدقة فى التنبؤ السياسى. ورئيسهم السابع الآتى فى آخر الزمان منهم، سيد إخوان الصفا المحيط بعلم من تقدمه من الرؤساء الستة. يعبرون عن فكر المعارضة وليس فكر السلطة، فكر الشيعة والحركات السرية. طهارة قوية ضد نفاق الخارج، وإعلاء للنفس ضد ضعف البدن<sup>(٢)</sup>.

ب- الرسائل . هم أصحاب رسائل يعرفون بها، ولغة فيما بينهم خاصة بهم، تميزهم عن باقى الناس مثل الصوفية. الهدف منها بيان معنى اسرار التنزيلات النبوية وكشف أكثر الرموز والاشارات والنواميس. ولا يفهم خطابهم إلا من هو أهله، العلماء الفضلاء الذين تعرفوا على الجماعة ورسخوا فى العلم، ومارسوا الرياضيات الحكيمة المقرونة بأسرار

(١) إخوان الصفا جـ ٥٧/٣/١ جـ ١٥٨/٤/١ جـ ٣٦١/٩/١ جـ ٧٨/١٦/٣ جـ ١٩٩/٢/٣ جـ ٢١٢/٣/٤ جـ ١/٤/٥٣٧/١٨/٣ جـ ٣٧/٣/٤ جـ ٤٠/٣/٤ جـ ٤١/٤/٤ جـ ٥٥/٤/٤ جـ ٧٦/٥/٤ جـ ١١٦/٥/٤ جـ ١٢٦/٤/٤ جـ ١٤٦/٧/٤ جـ ١٦١/٧/٤ جـ ١٧٠/٧/٤ جـ ٢٦٨/٩/٤ جـ ٢٧٠/٩/٤ جـ ٢٧١/٩/٤ جـ ٣٢٩/١١/٤ جـ ٤١٧/١١/٤ جـ ٤١١/١١/٤ جـ ٤٢١- إخوان الصفا وخلان الوفا (٧) جـ ٣٦/٢/١ جـ ٣٦/٣/١ جـ ٣٩/٤/١ جـ ٤٥٢/٤/١ إخوان الصفا ومذهب الربانيين جـ ١٤/٣/٤ جـ ١٤/٣/٤ إخوان الصفا وخلان الوفا ومذاهب الربانيين الالهيين جـ ٣٩/٣/١ إخوان الصفا وخلان الوفا وأهل العدل وأبناء الحمد جـ ٤٣/٢/١ إخوان الصفا وخلان الوفا وأهل العدل وأبناء الحمد وأرباب الحقائق واصحاب المعانى جـ/٤٧.

(٢) جـ ٣٩٩/٥.

الكتب الالهية وإشارات الأنبياء. الغرض منها بيان سيرة الانسان وأعماله وتشبيهه بأفعال الملائكة<sup>(١)</sup>. كل رسالة من الرسائل الاحدى والخمسين تتضمن علما أو فنا أو أدبا. وهى مكتوبة بلغة سهلة يفهما الجمهور. ولما كان بيان اتفاق الحكمة والشريعة بحرا واسعا لزمّت سهولة التعبير عن ذلك للعامّة بالنكت والأمثال حتى يفهم المبتدأ معانيها. ويوضع ذلك على نحو وجيز ومختصر فى نسق عام عقى يقوم على إثبات وجود الله الصانع البارى الحكيم القديم الحى العالم. جعل العالم فى ترتيب واتقان وتديير طبقا لمراتب الموجودات واستعدادات الكائنات، لا فرق بين الطبيعة والانسان، بين العالم الاكبر والعالم الأصغر. ويتم تعليم ذلك كما تتعلم الصنائع حتى تثبت للمتعلم صحته. فان لم تقم على تصورات محددة فانها كلها تمثل تصورا واحدا للعالم<sup>(٢)</sup>.

ويغيب عن الرسائل التحليل العقلى للتصورات. فلا توجد أفكار مبرهن عليها بل مجرد إعلان عن مواقف. والبرهان الوحيد هى الحجج النقلية وكان القرآن وباقى الكتب المنزلة متفقه معهم دائما. خطابها موجه للجمهور العريض وليس إلى الخاصة. يعبر عن الفلسفة الشعبية وليست مناقشات الصالونات. لا تتضمن فلسفة برهانية استدلالية، لا أسلوب ولا مصطلحات ولا موضوع ولا حتى أخلاقا عملية واضحة بالرغم من البحث عن المعانى والدلالات. البراهين أبحاث نفسية. الافحام بالبرهان، والايهام بالخطابة والتوسط بالجدل. الايهام بالشدو والافهام بالتوسط، والافحام بالتناهى. وأحيانا تبدو الرسائل ساذجة على قدر كبير من السطحية والعامية. لا يوجد فيها حث على الغضب والثورة والتمرد على الواقع الفعلى دون تعويض عن القهر بالنصر فى عالم الخيال<sup>(٣)</sup>.

يستعملون الرمز الدينى والرياضى والطبيعى والانسانى مما يستدعى انتباه العامة والخاصة. يعتمدون على الخيال الشعبى والأمثال العامية والفن القصصى على لسان البشر والحيوانات والطيور. الأسلوب شعبى غير اصطلاحى يوافق هوى العامة على عكس الأسلوب المجرد العقلى المنطقى النسقى عند ابن سينا. يخاطب المشاعر، تسكينا للمستضعفين وعزاء للمضطهدين. الأسلوب غير جميل بالضرورة لكنه عاطفى خطابى انشائى. لا يدل على نضج فلسفة الخاصة بل يعبر عن شعبية ثقافة العامة. فاذا وفق فلاسفة الخاصة فى النقل وترجمة المصطلحات فان رسائل الاخوان قد استطاعت تجميع هذا الخضم الهائل من الثقافة

(١) ٢٣٩/٥٣٥/٥ - ٧٨/١٦/٣ - ١١٦/٥/٤ - ١٥٢/٧/٢.

(٢) ٥٣٨/١/٤ - ١٥٢/٧/٢ - ٣٠ - ٢٩/١٤/٣ - ٧٦ - ٧٥/١٦/٣.

(٣) ٣٣٦/٩/١ - ٧٨/٢/١ - ٥/١.

الشعبية التي تكشف عن فلسفة رجل الشارع التي تراوح فيها الوافد مع الموروث لصالح الموروث. هي أقرب إلى الحلقات الشعبية والطرق الصوفية والمنتديات الثقافية الشعبية<sup>(١)</sup>.

ولما كان هدف الجماعة استدراج أعضاء لها للانخراط فيها اتسمت الرسائل بما تتسم به أدبيات الدعوة الشيعية من تدليس وتمويه وتخف تحت ستار الدين والاكثار من النصوص ايهاها للعامّة، والايحاء بالاسرار ذات المعاني الخفية حتى تتوه العامة فيتولى الداعية أمر هدايتها. ويتم التستر تحت الموضوع المحايد مثل الموسيقى أو أي موضوع آخر كمناسبة من أجل الاعلان عن شيء آخر. ويتم الاستشهاد بالأديان كلها ليبيان وحدتها وربما لاجراج الناس من دين السلطة وزعزعته إلى دين آخر مناهض لها. يهدف أسلوب الرسائل إلى نزع مقاومة القارئ، والاستسلام كلية للاخوان، ونقله من علم إلى علم، وإخراجه من ولاءاته القديمة وادخاله في ولاء جديد عن طريق التأويل. قد تكون عناوين الرسائل خادعة، وموضوعاتها نوعا من الغطاء السائر، الموسيقى، الفلك... الخ، والمقصود ضم القارئ إلى الدعوة وتجنيد أعضاء جدد لها. لذلك جاء التأليف مصطنعا وليس طبيعيا، موجها وليس محايدا.

ومن وسائل الإيهام إتعاب القارئ وجعله يلهث وراء الأسرار والمعميات والدخول في موضوع والخروج إلى آخر إما لأن الرسائل لا تقول شيئا أو لأنها تقصد فقدان القارئ أو المستمع القدرة على التفكير المنطقي المنظم. تخلط كل شيء بكل شيء، حتى يمل الانسان فيفقد الاهتمام لأنها لا تهتم بشيء ويستسلم. ومن وسائل الإيهام التطويل الذي لا لزوم له فيقبل المستمع عن جهل كل هذا العلم. وفي نفس الوقت الاعتماد على أشخاص معينين معروفين بالأفكار المعروضة حتى لا تكشف العامة مصادر الفكر أو تراجع عليه ويتحقق منه. وتوغل في التعليل والبحث عن دلالة كل شيء وعن علة لكل ظاهرة للإيهام بالعلم وبفهم حقائق الطبيعة. ويستعمل العلم للإيهام العامة به وهي الجاهلة حتى الأسماك والحيتان<sup>(٢)</sup>. وتتخللها بعض النوادر للتسلية أو حوارات تشد الانتباه على ألسن الطيور والحيوانات أو مناظرات إشكالية مثل المنطق واللغة بين متى والسيرافي. وتظهر فيها أساليب الاقناع الشعبي كما هو الحال في الوعظ الديني والخطب على المنابر في الأعياد والجمع. وتتسم الرسائل ببعض التكرار، مجرد عرض مادة بلا منطق أو استدلال من أجل "تدويخ" القارئ بعد إرهابه بهذا القدر الهائل من المعلومات. والتكرار يعلم تصفية النفس للوصول إلى الله وهو غرض معظم الرسائل وجورها وسلخها من المجتمع الظالم إلى جماعة العدل. ويتكرر

(١) وذلك مثل البرامج الدينية في أجهزة الاعلام في عصرنا والدروس الدينية في المساجد خاصة في الريف وجلسات المصاطب ودروس ما بين المغرب والعشاء وحكايات رمضان وفوازيرها وقصص ألف ليلة وليلة.

(٢) وهو ما يفعله حاليا أصحاب برامج "العلم والايمان" في أجهزة الاعلام المرئية.

ذلك بأشكال أو تفصيلات جديدة عن الطريق بداية ووسطا ونهاية. والمقصود إخراج الانسان من عالم الواقع إلى عالم الوهم، ومن الحقيقة إلى الخيال حتى يمكن إخرجه من تحت سلطان الدولة. ومن ثم ترتبط النفس بعالم الكواكب، ويرتبط الملائ الأندى بالملائ الأعلى تعويضا عن النقص فى الدنيا ورفعاً للروح المعنوية فيها. للظالم الجسد، وللمظلوم الروح كما هو الحال فى التصوف. والحديث عن السحر والملائكة والجن والشياطين يثير الخيال. يبدأ الداعية بالتجربة الحسية والمشاهدات العيانية ثم ينتقل منها إلى الدلالات البعيدة<sup>(١)</sup>.

وقد سهل استبعادهم منذ البداية وقيل الفلسفة من الداخل ومن الخارج. هاجمهم أبو سليمان السجستاني ربما لأنهم لم يبلغوا درجة من التجريد العقلى والاحكام النظرى، واستعملوا القول الخطابى دون البرهانى. وهاجمهم الفقهاء فى معرض هجومهم على الفلاسفة دفاعاً عن الموروث واستبعاداً للوفاة.

وبطبيعة الحال يمكن نقد الفكر الفلسفى الشيعى حتى ولو كان معارضاً مثل نقد الفكر الفلسفى السنى سواء كان فى السلطة أم فى المعارضة مثل التبعية والتقليد والقول بعصمة الأئمة والاشراق الباطنى والنزعة الصوفية والطابع الاحتفالى الشعائرى<sup>(٢)</sup>.

والسؤال الآن: لماذا يستمر هذا اللون من الفكر الفلسفى الجماعى السرى أو العلنى المعارض للسلطة القاهرة؟ ربما تحولت إلى طريقة صوفية نخبوية كما هو الحال فى بعض الجماعات المتناثرة باسمها، تعبيراً عن عجز العصر الراهن عن مقاومة الطغيان وإثارة السلامة<sup>(٣)</sup>.

ويعترف الاخوان بأن علومهم مأخوذة من أربعة مصادر. الأول كتب الحكماء والفلاسفة من الرياضيات والطبيعات دون ذكر للمنطق. والثانى الكتب المنزلة على لسان الأنبياء مثل التوراة والانجيل والفرقان. والثالث الكتب الطبيعية وهو تكرار للطبيعات عند الحكماء. والرابع الكتب الالهية وهو تكرار أيضاً للالهييات فى علوم الحكمة<sup>(٤)</sup>. لا فرق بين الوفاة والموروث. بل هى أقرب إلى الموروث منها إلى الوفاة. يرثون هذا التراث كله من

(١) جـ ٥/١ - جـ ٢٣٤/٥/١ - ٢٣٩.

(٢) قال عنهم أبو حيان: "قد رأيت جملة منهم وهى مبيوثة من كل فن وبلا اشباع ولا كفاية. وهى خرافات وكتابات وتلفيقات وتزييفات. وحملت عدة منها إلى شيخنا أبى سليمان المنطقى السجستاني محمد بن بهرام وعرضتها عليه فنظر فيها أياماً وتجرها طويلاً ثم ردها على وقال: تعبوا وما أغنوا، ونصبوا وما أجروا، وحلموا وما وردوا، وغنوا وما طربوا، وسجوا فلهلوا، وكسبوا فقللوا" جـ ١٩/١ - ٢٠.

(٣) أسس الأب جورج شحاته فنوانى "جمعية الاخاء البينى" للحوار بين الأديان فى الأديرة. لم يسمع بها أحد ولم يساهم فيها إلا بعض الرهبان أو المعجزة أو الأدعياء.

(٤) جـ ٤٢٦/٤ - جـ ٢٨٦/٢٤٥/٥.

أول آدم حتى الشريعة المحمدية والملة الهاشمية. وتشير إليهم الكتب المقدسة بأوصافه، ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾، ﴿ركعاً سجداً﴾، الشهداء الصديقون. جاء الوحي إليهم على لسان جبريل.

لقد استطاع إخوان الصفا تمثل الواقد داخل الموروث الفقهي والكلامي والفلسفي والصوفي. كان ولاؤهم للحكمتين، الواقد والموروث وإن تغلب الموروث على الواقد من حيث الكم. ومن ثم تقع الرسائل كنوع أدبي في باب التأليف، في تنظير الموروث قبل تمثل الواقد. وكلاهما ممتثلان متحدان. فلا الموروث أساس الواقد ولا الواقد أساس الموروث. لا الشريعة أساس الحكمة ولا الحكمة أساس الشريعة بلغة ابن رشد. لا النقل أساس العقل ولا العقل أساس النقل بلغة الكلام، نظراً لاتحاد العقل والنقل في علاقة تماهى مطلق وليس في علاقة أصل بفرع، في علاقة أفقية وليست في علاقة رأسية. هما واجهتان لعملة واحدة، مرآة مزدوجة تظهر فيها صورة الواقد في الموروث وصورة الموروث في الواقد، صورة الآخر في الأنا وصورة الأنا في الآخر.

وتشير الرسائل إلى الموروث الأصلي أكثر مما تشير إلى الواقد، مدعماً بالنصوص. فلا نص إلا في الموروث ولا نصوص من الواقد ترجمة أو تعليقا أو شرحاً أو تلخيصاً أو جمعا أو عرضاً. ويظهر من تحليل الرسائل الاحدى والخمسين تمثل الواقد داخل الموروث، وإعادة بناء الخارج على الداخل سواء من حيث المنظور، التحول من الخارج إلى الداخل ومن الداخل إلى أعلى، من العقل إلى القلب، ومن القلب إلى الله، من الكون إلى النفس ومن النفس إلى الروح أو على مستوى الألفاظ مع ظهور مصطلحات الموروث مثل الروح، السموات، الملائكة، الملائ الأعلى، الروح الأمين ... الخ. كما يتم التحول من الفلسفة إلى الدين، ومن الجغرافيا إلى الأخلاق، ومن الميت إلى الحى، ومن المنطق إلى الحس. فأنواع الحكمة كلها تؤدي إلى الالهيات.

فالمنطق ميزان البصائر، ويقيم الوزن بالقسط كما فعل الغزالي في كتبه المنطقية<sup>(١)</sup>. يهدف إلى الانتقال من الصور المجردة المعرأة عن المواد إلى الجواهر المحضة الروحانية. الرسالة الأولى في مبادئ الموجودات العقلية على رأى الفيثاغوريين قبل تحويلها إلى مبادئ الموجودات عند إخوان الصفا. والرسالة الثانية "في مبادئ الموجودات العقلية" على رأى إخوان الصفا أى الانتقال من النقل إلى الإبداع، انتقالاً من الوجود إلى العقل. والفيثاغوريين هم الوحيدون الذين يظهرون مع الحكماء في عناوين الرسائل، لذلك يمتاز فكر الاخوان بالأممية في مقابل الثقافة الوطنية بلغة العصر، رؤية حضارية شاملة تخلو من صراع الثقافات، ثقافة الأنا وثقافة الآخر.

(١) جـ ١/٤/٢٦ جـ ٢/٢/٢٢.

والغرض من الطبيعيات تحويل الطبيعة الميتة إلى الطبيعة الحية، والمادة إلى الخلق، والشئ إلى الدلالة، والآية الطبيعية إلى الآية القرآنية، والسماء والعالم إلى أطباق السموات وتركيب الأفلاك والعرش والكرسى، وحركات الأفلاك إلى الروح القدس، والكون والفساد وقوى النفوس الفلكية إلى الملائكة الموكلة بها واللوح المحفوظ، وميزان القسط والكتاب وخليفة الله. وتظهر في بعض رسائل الفلك المصطلحات الدينية مثل كسوف الشمس وخسوف القمر. فالقرآن لغة للتحليل العلمي<sup>(١)</sup>. وفي الطبيعيات يتم تحويل علم الفلك إلى كائن حي، ويتحول من العلم إلى الربوبية يتم مناجاتها والتغزل فيها لأن الفلك من صنع البارئ في غاية الاتقان والصنع والحكمة. لذلك كان الفلك كرى الشكل لأنه اكمل الاشكال وبعيد عن الآفات. سريع الحركة، مركزه في وسطه، وأقطاره متساوية ويحيط به سطح واحد، ولا يماس غيره إلا على نقطة. تشخيص الأفلاك منظور موروث. ويتم عرض ربوبية المثلثات والوجوه والحدود والنويعات والائتى عشريات ومواضع السهام، وأن الالكب السبارة كالأرواح والبروج لها كالأجساد، والعالم إنسان كبير ذو نفس وروح، حى عالم طائع لباريه وخالقه. وجد العالم عن البارئ، وحكمته منقطة فيه. فى البعض حكمته ظاهرة، وفى البعض الآخر خفية. وأحياناً يتم الاعتراض على التصورات مثل أثر الكواكب على أحوال الناس دفاعاً عن الحرية وتكافؤ الفرص ورفضاً للتضاء والقدر ووجود كل إنسان فى دور وخلق العالم كلمح البصر<sup>(٢)</sup>.

ويتم التعبير عن الالهيات بألفاظ الموروث مثل: البارئ المبدع الأول، سبب الكائنات والكليات والجزئيات، ذو الجلال والاکرام، كل شئ صادر عنه، علة العلل، مبدأ المبادئ وبألفاظ الوافد مثل العقل والعقل الفعال. والالهيات أيضاً تبدأ بالنفس، والانتقال من المحسوسات إلى المعقولات، ومن الجسمانيات إلى الروحانيات، وتشويق النفوس إلى الصعود إلى عالم الأفلاك ومنازل الروحانيين والملائكة المقربين. وأخر مرتبة الانسانية متصلة بأول مرتبة الملائكة، وهم سكان الهواء والأفلاك، وأن نفوس بعض الحيوانات ساجدة لنفوس الإنسان، خليفة الله فى الأرض. ونفوس بعض الحيوانات شياطين عصاة مغلغلة فى جهنم. إن كان الإنسان خيراً عاقلاً فهو ملك كريم. وإن كان شريراً فهو شيطان رجيم. النفس تقود إلى المعاد. جسد الإنسان مختصر من العالم المدون فى اللوح المحفوظ. وهو الصراط بين الجنة والنار، وهو ميزان القسط، وهو ميزان القسط، وهو الكتاب. والصنعة التى أبدعها الله ونفس الإنسان خليفة الله فى الأرض حاكماً بين الخلق فى العالم السفلى ثم فى العالم العلوى، وأن الإنسان إذا عرف النفس عرف الرب ووصل إليه<sup>(٣)</sup>.

(١) ٢٣/١/١ → ٢٣/٥/١ → ٢٧/٢/٢ → ٢٧/٣/٢ → ٢٨/٥/٢ → ٢٨/٦/٢ → ٢٨/٣/١ → ١٢١/٣/١.

(٢) ١١٩/٣/٢ → ٣٦/٣/٣ → ١٤١-١٤٠/٣/١ → ٣٧/٥/٣.

(٣) ٣٥/١/٣ → ٣٦/٢/٣ → ٣٧/٤/٣ → ٤١/١٠/٤ → ٢٢/٢/١ → ٢٢/٣/١ → ٢٩/٨/٢ → ٢٩/٩/٢ → ٣٠.

ورسائل الأخلاق تبين اختلافها وعللها اعتمادا على أخلاق الأنبياء وسير الحكماء. وتصبح التفرقة بين النفس والأخلاق والسياسة. فالنفس الاشراقية بداية الأخلاق، والأخلاق النفسية منطلق السياسة. ويبدو الانتقال في التحول من استعمال لفظ النفس إلى لفظ الإنسان. الإنسان عالم صغير مماثل للعالم الكبير. والنبوة جامع بين الاثنين. ويصل إلى رتبة الملائكة ومنازل الروحانيين ومعرفة الله والوقوف بين يديه، ويعرف ماهية الموت والحياة وحقيقة المعاد والذات والآلام الجسمانية والروحانية. فالجسماني دلالة على الروحاني. وأهل النعيم مع الملائكة المقربين، وأهل العذاب مع الجن والشياطين. فما انتقل من الخارج إلى الداخل هو فقط المنطق والطبيعيات. أما النفسانيات والشرعيات فأبداع، اثنان نقل واثنان إبداع<sup>(١)</sup>. وتظهر الأخلاق في الديانات الشرعية الناموسية والفلسفية. وقد وضعت كالعقائير والأدوية والأشربة لمرضى النفوس بعد إغراقهم عن طريق النجاة واستيلاء العصبية والحمية على أفئنتهم. لذلك تصف هذه الرسائل الطريق إلى الله، وتبته النفوس على المعاد وأحواله وعرض مذاهب الريانيين وماهية المؤمنين وخصال المحقين. وفي الأخلاق والاجتماع والسياسة تكاد تغيب ألفاظ الوافد وتسود ألفاظ الموروث وحدها بطابعها الأشعري الصوفي في الهداية والضلال والتوفيق والخذلان. وتقتضى الحكمة وضع النيرين (الشمس والقمر) حتى تزول ريبة الألهيين من قلوب الشكاك<sup>(٢)</sup>.

وفي رسائل السياسة يبدو التشكل الكاذب أيضا، إعادة التعبير عن الموروث بلغة الوافد أو إعادة تمثيل الوافد داخل الموروث في البحث عن علل اختلاف اللغات والخطوط والعبارات والمذاهب والديانات والآراء والاعتقادات، وتطورها وانتقالها من قوم على قوم، وتغيرها زيادة ونقصانا. ويصعب فصل النفس والأخلاق والسياسية. فالنفس طريق التصفية على الأخلاق، والأخلاق أساس السياسة. فمذهب الريانيين والألهيين أساس قيام المجتمع الفاضل، تأليف القلوب والتكاتف في الدين والدنيا. والنبوة أخلاق وسياسة، ناموس إلهي ووضع شرعي، تكشف عن المهمة المنتظر والبرقليط الأكبر. دولة الخير من الأخيار والفضلاء المجتمعين على مذهب واحد وسنة رضية وسيرة عادلة. الله دعامة السياسة والسياسة تقوم على الله. وتسود ليس فقط مصطلحات القرآن بل أبيات القرآن الحر حتى يصبح الخطاب موروثا خاصا<sup>(٣)</sup>.

(١) — ٢٤/١/١ — ٣٢/١٢/٢ — ٣٢/١٣/٢ — ٣٣/١٤/٢ — ٣٣/١٤/٢ — ٣٣/١٤/٢ — ٣٤/١٦/٢.

(٢) — ٣٩/٣٨/١/٤ — ٣٩/٢/٤ — ٣٩/٥/٤.

(٣) — ٤٤/١٧/٢ — ٣٩/٤/٤ — ٤٠-٣٩/٦/٤ — ٤٠/٧/٤.

والمجتمع الفاضل لا يوجد قط في الأرض، مجتمع الأخيار في مقابل مجتمع الأشرار بل أيضا في السماء، مجتمع الملائكة المقربين في مقابل المردة والشياطين. لم يكن عند اليونان ملائكة لها أجساد ثم تهذبت وأشرقت وصارت نفوسا بعد أن أخذت طريق التصفية فصارت معتبئة مسرورة عكس الجن والشياطين والعفاريت. فهي أجساد فارقتها النفوس الشريرة لإبراز التقابل بين الخير والشر. لذلك كان من الأفضل ألا تفارق أجسادها أن لها أجساد وتتاسل وأمم تتكاثر. ولكن يظل التصور موروثا، عفاريت الجن. ولكن التشكل الكاذب، كما هو الحال في علم أصول الدين، لم يتناول الملائكة والشياطين وظلا بنفطيهما الموروث بالرغم من وجود العقول المفارقة والصور الخالصة والمعاني الروحانية، ولكن تم التعبير عن نفوس الأفلاك والكواكب لأنها الملائكة، وإيجاد دلالة الكسوف والخسوف من أجل إدخال اليقين في قلوب المرتابين<sup>(١)</sup>.

٢- الوافد ولما كانت رسائل إخوان الصفا بأقسامها الأربعة وحدة واحدة مثل "الشفاء" فإنه يمكن تحليل الوافد والموروث وآليات العرض مرة واحدة وليس رسالة رسالة بالرغم مما يؤدي ذلك إلى إغفال خصوصية كل منها ونوعيتها. فقد يكون إحداها أقرب إلى تمثل الوافد منها إلى تنظير الموروث مثل رسالة العدد. وقد تكون أخرى أقرب إلى تنظير الموروث مثل رسالة العدد. وقد تكون أخرى أقرب إلى تنظير الموروث منها إلى تمثل الوافد مثل رسالة الحيوان.

وقد أفرد للرسالة الجامعة تحليلا خاصة لأنها هي التي تلخص الرسائل وتسقط ما نشاء من الوافد أو الموروث أشبه بجوامع ابن رشد التي تركز على الموضوع ذاته بصر فالنظر عن الشواهد والأمثلة.

ويصعب التمييز بين الوافد والموروث إلا اصطناعا. فغاية الرسائل صبب الوافد في الموروث كالمحتوى والإناء، أكبر قدر ممكن من التمثل في أكبر قدر ممكن من الموروث من أجل المزج بين التوحيد بينهما في عملية التحول من النقل إلى الإبداع، تجميع فتمثل فإبداع. الوافد إشراقي والموروث إشراقي وبالتالي يتحول كل شيء إلى الله، من الطبيعة إلى النفس ومن النفس إلى الله، من الخارج إلى الداخل ومن الداخل إلى أعلى، من الحكمة الجزئية إلى الحكمة الشاملة.

أ- حكماء اليونان. وفي الوافد اليوناني يأتي فيثاغورس والفيثاغوريون في المقدمة مما يدل على أهمية الرياضيات الروحانية عند الاخوان، ثم إقليدس كتابه وشخصه مما يدل

(١) جـ ٤٠/٨، جـ ٤٠/٩، جـ ٤١/١١، جـ ٤٢، جـ ٤٣/٣، جـ ٤٤/١.

على أهمية العلم على العالم، ثم أفلاطون ثم أرسطوطاليس الذى يأتى فى المرتبة الرابعة مع ثلاثة ألقاب: الحكيم، والحكيم الفاضل، وحكيم اليونانيين، ثم سقراط، ثم بطليموس، ثم جالينوس، ثم هرمس بين الواقع والأسطورة، ثم نيوخوماس، ثم الاسكندر اليونانى، ثم فرفوروس وبقراط<sup>(١)</sup>.

يقدم فيثاغورس والفيثاغوريين الوافد اليونانى خاصة فى موضوع العدد، ليس تبعية له ولهم ولكن ربطا للحاضر بالماضى، والبنية بالتاريخ، والقراءة بالمقروء، والنقل بالابداع. الفيثاغوريين هم فلاسفة العدد وبعدهم يأتى أهل الهند ثم المسبغة والحزمية ثم أصحاب الطبائع ثم النصرارى ثم الثنوية<sup>(٢)</sup>. والرسالة الأولى عن العدد عند الفيثاغوريين ليست مجرد نقل وعرض بل قراءة إخوانية للفيثاغوريين. يدرس الاخوان العدد على رأى الفيثاغوريين أولا وليس نقلًا لهم للتحقق من صدقه وإكماله قبل ذكر آرائهم فى العدد، تحولا من النقل إلى الإبداع. وهم الحكماء الفيثاغوريون. ليسوا رياضيين فحسب أى أنهم فلاسفة قبل أن يكونوا علماء، وبالتالي يمكن قراءتهم وتأويلهم. وأحيانا يكون التعبير على معنى قول الحكماء الفيثاغوريين أو "فى معنى قول الفيثاغوريين" مما يدل على أنها قراءة للمعانى وليس شرحا للألفاظ. ويذكر الفيثاغوريين باعتبارهم طائفة لها رأى، تفعل وتعطى وصفا لأفعال الشعور<sup>(٣)</sup>.

ويذكر فيثاغورس انتقالا من معرفة خواص العدد إلى ما يطابقها من معانى الموجودات نقلًا من الرياضة إلى صفاء النفس وإلى الأنغام فى الطبيعة والتأى توحيد الله اعتمادا على وصيى فيثاغورس، الوصية الذهبية المنتحلة التى تساعد على التحول من الوافد إلى الموروث ومن النقل إلى الإبداع فى صورة أقوال مباشرة أو فى صورة حوار مع ديوجانس حكيم اليونان. فالنفس تفارق البدن وتكون خالدة، وتظل فى الهواء غير قابلة للموت، وهى النفس المطمئنة. والنفس فى البدن كالشمس فى الكون تشرق عليه. فالشمس ملك الجواهر، وأعدل الطبائع، لا تفسد الأرض، ولا تحرق الأشياء. وقد يذكر النص أكثر من مرة، ويكون فلا صيغة وصية كنوع أدبى من أدبيات الصوفية. وعلى هذا النحو يتحول

(١) فيثاغورس (١٤)، الفيثاغوريين (١٢)، كتاب إقليدس (١٥)، إقليدس (٧)، أفلاطون (١١)، أرسطوطاليس

(١٠)، الحكيم (٣)، الحكيم الفاضل، حكيم اليونانيين (١)، سقراط (٩)، المجسطى (٢)، بطليموس (٨)،

جالينوس (٧)، هرمس (٦)، نيخوماخوس (٤)، الاسكندر اليونانى (٣)، فرفوروس، بقراط، بنياس الحكيم

(١)، (لم تذكر إلا الاسماء الواردة فى نص الاخوان وليس فى النصوص التى يذكرونها).

(٢) أهل الهند (٩)، المسبغة، الحزمية (٥)، أصحاب الطبائع (٤)، النصرارى (٣)، الثنوية (٢).

(٣) جـ ١٤٠/٣٥/١/١، جـ ١٩٨-١٧٨/١/٣، جـ ٤٨/١/١، جـ ١٩٧/٨/٢، جـ ٢٠/٢٠٠/٢/٣، جـ ٤٨/١/١

٥٥، جـ ١٨١/١/٣، جـ ١٩٩/٢/٣-٢٠٠.

فيثاغورس إلى حكيم إشرافي وكان الموروث لا ينتقى من الوافد إلا على ما يساعد على التحول من الآخر إلى الأنا. كما يستطيع الحكيم بصفاء نفسه سماع نغمات حركات الأفلاك والكواكب ويستخرج بفطرته أصول الموسيقى. وهو أول من تكلم في هذا العلم واخترع العدد وألف الالحان. وفيثاغورس حكيم موحد بالله من أهل حران أسوة بالمترجمين النصاري. ينظر في علم العدد من أجل التعبير عن الأمور الشريفة. فالبنية هي التي تحكم التاريخ، واليونان أصلهم من المشرق<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر كتاب إقليدس (أوقليدس) حتى دون تسميته (العناصر، الأركان، الأصول، الأسطفسات) باعتباره العمدة في علم الهندسة (الجومطريا). فما يهم هو العلم وليس العالم بالرغم من أنه هو مؤسس العلم. ويشار إليه باعتباره تاريخا للعلم وجزءا من أدبياته الماضية. فالتاريخ سابق على البنية. وتتم الاحالة إلى الكتاب مقالة مقالة. الاخوان هم اندارسون وإقليدس تأكيد لما توصلوا إليه في علم الهندسة. الموضوع هو الاساس وأدبياته هو الفرع. قد تستقى منه الأمثلة والأشكال فحسب. وبحث الموضوع نفسه يؤدي إلى فهم إقليدس ولماذا انتهى إلى ما انتهى إليه. يضم الاخوان القديم إلى الجديد احتراما للقدماء، وتواصل مع العلماء، واعترافا بقدرهم، توفيقا للآخر على الأنا وليس تبعية الأنا للآخر، يجمعون نصوص إقليدس ويتمثلونها ثم يعيدون بناءها وصيها في الموروث. وعلم الهندسة أساس علم المناظر، وبالتالي يكون كتاب إقليدس أساسا لفهم كتاب المجسطى. ويبين الاخوان عرض كتاب إقليدس ويضعونه ف التراث الرياضى اليونانى مع من قبله ومن بعده. وقد يذكر قول إقليدس لاثبات رأى الاخوان أو موضوعا تكلم فيه إقليدس يبحثه الاخوان. ثم يتحول إقليدس من مستوى الهندسة إلى مستوى الالهيات، ومن إقليدس التاريخى إلى إقليدس الحضارى، ومن إقليدس اليونان إلى إقليدس المسلمين، ومن إقليدس الآخر إلى إقليدس الأنا، ومن إقليدس الوافد إلى إقليدس الموروث، للبرهنة على الأمور الالهية بالعقل، وهي أمور لا تتركها الحواس ولا تتصورها الأوهام<sup>(٢)</sup>.

ويذكر أفلاطون في نظرية العلم لديه، العلم تذكر والجهل نسيان. ويصحح الاخوان فهم النظرية بأن النفس علامة بالقوة وتحتاج الى التعليم حتى تصبح علامة بالعقل. كما يصححون

(١) جـ ٦١/٤٩/١/١، جـ ١٣٨/٣/١، جـ ٣٧-٣٦/٣/٢، جـ ٥٨/٤/٤، جـ ١٧٥/٧/٤، جـ ٤١٤/١١/٤، جـ

٤١٨/٢١/٤، جـ ٢٢٦/٢٠٨/٥/١، جـ ٩٤/٧/٣، جـ ١٢٥/١٧/٣، جـ ٢٠٠/٢/٣.

(٢) جـ ٧٥-٧٤/٤٩/١/٢، جـ ١٠٩/٢/١، جـ ٢١٥/٥/١، جـ ٢٥٥/٦/١، جـ ٤٣٨/٤٣٦/١٤/١، جـ ١٤/١/

٤٤٥/٤٤٠/٤٣٨، جـ ٢٠٧/٢/٣، جـ ٣٨٠/٩/٣، جـ ٤٣٨-٤٣٧/١/٤، جـ ١٠٩/٢/١، جـ ٢٠٨/٥/١،

جـ ٩٤/١٧/٣، جـ ٢٠٨/٥/١، جـ ٤٤٤/١٤/١، جـ ٩٠-٨٩/١٧/١، جـ ٤٠٢/١/١.

فهم الناس لأسطورة الكهف، أنها ترمز الى الأخلاق الروحانية وليست المادية كما يقول المنجمون، فيتحول أفلاطون الى حكيم روحاني وليس عالم فلك. يقول أفلاطون بخلود النفس وصلاحتها بعد مفارقة الجسد وتبرير ذلك بأنه لو لم يكن هناك معاد لكان للشر الكلمة الأخيرة في الدنيا. ويتم تركيب الوافد على الموروث. الأشرار في العالم بجناية آدم بالرغم من عدم توارث الشر في العقائد. ويتوحد الوافد، الدعاء الأفلاطوني والمناجاة الأرسطاطاليسية المنتحلان داخل الموروث، والتوسل الإدرسي المنتحل أيضا. ويسهل تعشيق المنتحلين فكلاهما عمل الروح وإيداع الحضارة. وتتفرع أسطورة موروث من أسطورة الكهف الذي نزل فيه راع للغنم أجبر عند تسلط إثر زلزال ووجد فرسا من نحاس في يدي كوة مشققة بداخله انسان ميت في يده خاتم ذهب أخذه الأجير. وفي اجتماع مع الملك ورعائه أدار الراعي الخاتم في أصبعه بحيث صار فسه الى الداخل فاخفى، فرده الى الخارج فعاد. وقتله الملك. ويعترض الاخوان على هذه القصة من أفلاطون وهو صاحب علو القدر في السياسة الا اذا كان المقصود الحكمة والقدر على الفعل التي يرمز اليها الخاتم. لذلك لا يجوز للعاصي الايمان بعلم الطلسمات كما رواه أفلاطون. ويبدو أفلاطون جغرافيا يصف أحوال البلاد بما فيها من جبال. بل يصل حتى الهند حيث يطول أعمار أهلها. فهم قليلوا الأمراض، صحيحوا الأجسام نظرا لاعتدال جوها عند خط الاستواء. وهي جغرافيا إيداعية رمزية. فخط الاستواء حار وليس معتدلا، والهند بلد الاشرار وليست منطقة جغرافية. وأفلاطون يرد الى منابعه في الشرق<sup>(1)</sup>.

ويأتى أرسطو في المرتبة الرابعة، أرسطو المنطقي، الطبيعي، الإلهي الاشرافي. ليس له آية أولوية على باقي حكماء اليونان مثل الفينثاغوريين والمجسطي أى الرياضة والفلك. يقدر الاخوان أعماله المنطقية كمقدمات للبرهان، المقولات والعبارة والتحليلات الأولى بألفاظها المعربة ثم البرهان الى القياس الصحيح، ليس فقط في الأمور النظرية بل أيضا في الأمور العملية، ثم غياب البرهان في الجدل الذي مارسه الناس ضد منطق أرسطو وتلاميذه وكأن التاريخ يسير بطبيعته من الأفضل الى الأقل فضلا بفعل الحسد وكما هو الحال في تصور التاريخ عند الأشاعرة. ومن ثم يتحول المنطق من مجرد قواعد صورية إلى موازين للحق العملي والى مسار في التاريخ. يتوقف أهواء البشر. والمنطق وصية من الاستاذ الى التلاميذ يحميهم من الوقوع في الخطأ. وهناك أيضا أرسطو الطبيعي في حديثه عن العناصر الأربعة التي يتكون منها الكون، وجعل جسد الشمس رأس كل جسد ومنازل القمر. أما أرسطو الميتافيزيقي فهو الذي يبدأ بالنفس وصفاتها وتخليها عن شوائب الحس وتخليصها من

(1) جـ ٤٢٤/١/٤ جـ ٣٥/١٩/٣/٤ جـ ٢٦٤/٩/٤ جـ ٤١١/١١/٢٨٨-٢٨١/٣٠٥-٣٠٦/٣٠٦-٤١٨/٤١٩.

البدن اعتمادا على أتولوجيا من أجل "أسلمة" أرسطو وتمثل الواقد داخل الموروث. وهو الحكيم الفاضل الذي قال إن النفس عالمة بالقوة. فاذا فكرت في ذاتها أصبحت عالمة بالفعل عند حكيم اليونانيين. كما أن الانسان يصم ويعم عن عيوب نفسه لأنها أحب الأشياء اليه . وعند صاحب المنطق إن الفيلسوف يجازى بفلسفته بعد مفارقة النفس البدن كما صرح بذلك عندما حضرته الميثة أشبهه بلبلة سقراط الأخيرة وطبقا لكتاب التفاحة المنحول، والتثرب الى الله. وأهم من ذلك كله أرسطو العاقل الموحد بالله الذي يعرف الأوامر والنواهي بطريق العقل أو بطريق السمع حيث تكمل النفس بفضائل الملائكة وتتشبه بالاله بحسب الطاقة الانسانية. بل إن النبي ذكر أرسطو في الحديث بأنه لو كان حيا لاتبعه حين ذكر في مجلسه مع أن أرسطو لم يعرف الا منذ عصر الترجمة بعد ذلك بقرنين من الزمان، ولكنها الحضارة التي تبنى النموذج وليست التي تؤرخ له<sup>(١)</sup>.

ويظهر سقراط نموذجا للحكيم الذي يؤمن بخلود النفس وبقائها بعد البدن ومن ثم فلا خوف من الموت. وقد سار في ذلك أرسطو أيضا عندما نزل به الموت وحزن عليه تلاميذه فكتب وصيته في رسالة التفاحة أسوة بحوار سقراط مع تلاميذه في محاوره فيدون. فالانتحال إيداع حضارى لاكمال النقص. فأرسطو تلميذ سقراط ومقلد له. والايامن بالقانون وبحكم القانون حتى ولو كان ظالما. فذاك من علامات الايمان بالقضاء والقدر. وسقراط من زمرة الشهداء في تاريخ الانسانية مثل هابيل الذي قتله قابيل، والمسيح الذي قتله اليهود، وموسى الذي أراد فرعون هلاكه، والمسلمون يوم أحد. وأحيانا يروى عن سقراط مالا يتفق مع موقفه كفيلسوف مثل وصيته عند موته بذبج ديك في الهيكل وفاء بنذر له. فالوفاء بالنذر قراءة حضارية من الموروث للواقد<sup>(٢)</sup>.

ويذكر المجسطى أكثر من بطليموس لأهمية العلم على العالم، والفكر على الشخص. ويضع الاخوان آراءهم في الفلك ثم يقارنونها بالمجسطى لبطليموس ربطا للحقيقة بنشأتها، والبنية بتاريخها والحاضر بالماضى. يعطى الاخوان المبادئ العامة، ويحولون التفصيلات الى المجسطى. ويتحققون من صدق آرائهم وذهاب الشكوك عنها عن طريق المجسطى. ويتبين في المجسطى حركات الأفلاك حول المركز ببراھين هندسية. أما حركات الكواكب السيارة فقد بينها الاخوان في رسالة "السماء والعالم"، وشرح ذلك في المجسطى. ويثبت

(١) — ٢٦٨/٧/١ — ٤٢٢/١٤/١ — ٤٣٧/٤٢٣ — ٤١٧/١١/٤ — ٤١٢/٤١٧/١١/٤ — ٢٢٨/٣/١ — ١٣٨/٣/١ — ٤١٦/١٠/٢  
 — ٥٠١/١/٤ — ٥٠٢ — ٣٥/٣/٤ — ٢٧١/٩/٢ — ٢٧١/٩/٢. صيغة الحديث "لوعاش حتى يعرف ما جنت به لا تبني  
 على ديني"، — ١٧٩/٧/٤.

(٢) — ٣٥-٣٤/٣/٤ — ٢٧١/٩/٤ — ٢٧١/٩/٤ — ٧٤-٧٣/٥/٤ — ١٧٥/٧/٤.

المجسطى أن الكواكب أكريات مستديرات بقياس هندسى. ويتفق الحكماء معه فى أن سبب الحرارة دوران الشمس فوق الأرض من ناحية الشمال ستة أشهر فى الصيف. كما أثبت المجسطى أن حركات الأفلاك والكواكب أسرع ببراين هندسية ضرورية. ويعتمد المجسطى على كتاب إقليدس. فالهندسة أساس الفلك. ويذكر بطليموس مع من سبقوه ولحقوه فى التراث العلمى<sup>(١)</sup>. والأهم من ذلك هو جعل بطليموس حكيماً إشراقياً يشق علم النجوم، ويجعل علم الهندسة سلماً يصعد عليه إلى الفلك وكأنه يصعد بنفسه لا بجسده. والمتأمل فى الفلك بطريقة القياس والبرهان فإنه يهتدى إلى معرفة البعث وعلم حقيقة القيامة. كما يبين الفلك فى المجسطى أن حركات الأفلاك واقفة بقصد قاصد، وصنع صانع، وجعل جاعل، وفعل فاعل، حكيم قادر عالم. وبصور قصد الله وصور فى الهوى عالم الأجسام ذا الثلاثة أبعاد وجعلها على شكل كريات مستديرة يحيط بعضها ببعض كما هو الحال فى كتاب المجسطى وكتاب بانياس الحكيم فى تركيب الأفلاك وأطباق السموات، وجعلها مسكناً لعبيده وجنوده، النفوس السارية فى العالم، أجناس الملائكة وقبائل الجن وأحزاب الشياطين وأرواح بنى آدم المديرين للأفلاك والكواكب باذن الله. ويتم تشخيص عالم الكواكب وتحويله إلى عالم إنسانى. فهو كبيت غاب صاحبه ولكن ينظر إليه يحفظه ويرعاه. فأنه هو رب العالم وراعيه. نظم القمر فى منازل<sup>(٢)</sup>.

ويحال إلى جالينوس فى كتابه "منافع الأعضاء" لمعرفة مزيد من التفصيل عن أعضاء بدن الإنسان أو استشهاده به على صحة قول الأخوان عن اعتدال المزاج لصحة الجسم. كما يستشهد به ابتداءً باعتباره سلطة فى الطب، إثباتاً لحركة الشئ دورانا زيادة ونقصانا وتحليلاً للروطوبة فى الجسم. والأهم من ذلك هو تركيب الوافد على الموروث، وتركيب الطب الجسمى على الطب النفسى، والانتقال من الجسم إلى إثبات جوهر النفس، وتدخل الله فى الطبيعة من خلال الأسباب مثل حفظ الشمس للجسد بأمر الله<sup>(٣)</sup>.

وتتعلق الحكمة الهرمسية أساساً بالطبيعات كما عرضها فى الكتاب المخزون "أسرار النيرنجيات" لروحانيات القمر وشروق الشمس وضوئها ومع ذلك لا يوجد فيه كل شئ. وقد صعد هرمس المثلث بالحكمة وهو إدريس النبى إلى فلك زحل ودار معه ثلاثين سنة حتى شاهد أحوال الفلك ثم نزل إلى الأرض وخبر الناس بعلم النجوم، وأصبح نموذجاً لكل من

(١) جـ ١٦٩/٤/١ - جـ ٩٢/٥/٢ - جـ ٤٣/٢/٢ - جـ ٣٩٩/١٠/٢ - جـ ٤٣١/١١/٢ - جـ ٤٧٩/١٢/٢ - جـ ٢٥٥/٥/٣

- جـ ٢٥٦ - جـ ٢٦٧/٢٥٩/٥/٣ - جـ ١٨/١/٢ - جـ ٣٢٣/٨/٣ - جـ ٢٠٩/٢/٣ - جـ ٢٣٢/٣٢٦/٨/٢ - جـ ١٤/١/١٤

٤٣٦-٤٣٧ جـ ٢٠٨/٥/١ - جـ ٩٤/١٧/٣ - جـ ٣٦٠/٢٨٥/١١/٤

(٢) جـ ١٣٨/٣/١ - جـ ٣٠٣/٧/٣ - جـ ٣٣٥/٨/٣ - جـ ٤٧١/١/٤ - جـ ٤٧٢ - جـ ٣٨٢/٣٣٨/١١/٤

(٣) جـ ٣٣٠/٨/٣ - جـ ٤١٩/١١/٤ - جـ ٤٢٢/٤١٤/٤١٩/١١/٤ - جـ ١٨١/٧/٤ - جـ ٤١٥/١١/٤

تشتاق نفسه الى الصعود. ويسميه الاخوان المثلث بالحكمة وليس بالعظمة. وهو ليس يونانياً فقط بل يهودياً ومسيحياً وإسلامياً. وقد كثر ذكره في رسالة السحر. والتوحيد بين هرمس المثلث العظمة والنبي إدريس هو أحد مظاهر التحول من الوافد الى الموروث مدعماً بنصوص القرآن وكما دونه التاريخ<sup>(١)</sup>.

ويوضع الاسكندر اليونانى وأحيانا الرومى مع غيره: أفريزون النبطى، تبع الحميرى، سليمان بن داود الاسرائيلى، وأردشير بن بابك الفارسى وهو غير نبي. لم يضعوا باعتبارهم ملوكاً فى الربع المسكون من الأرض حدود الأقاليم السبعة وكأنها أقسام طبيعية وخطوط وهمية لمعرفة حدود البلدان والممالك والمسالك. الاسكندر واحد مثل غيره، واليونان شعب مثل باقى الشعوب، النبط والحمير والاسرائيليون والفرس. ثم يتحول الوافد الى الموروث، وتتسب أفعال الملوك الى الله على أيدي عباده كما تتسب أفعال الشعوب الى الملوك مثل أن يقال الاسكندر الرومى، بنى أسد، بأجوج وماجوج<sup>(٢)</sup>.

ويذكر فرفوربوس باعتباره صاحب إيساغوجى، المدخل الى صناعة المنطق الفلسفى من أجل تبسيط المنطق وفهمه. فقد أطل الناس شرحه، ونقلوه من لغة الى لغة دون معرفة بمعانيها فصعبت وعسر تعلمها. فبسطها فرفوربوس على الأيجاز دون تطويل<sup>(٣)</sup>. كما يستشهد بقول بقراط الحكيم، حكيم اليونانيين تخصيصاً لثقافته على قصر العمر بالرغم مما يتطلبه علم الطب من طول صناعة وعظيم جهد<sup>(٤)</sup>. كما يستشهد بقول فاردموس الحكيم بأن السماء مدورة والأرض مثل حبة خردل وسطها<sup>(٥)</sup>.

ب- المؤلفات والفرق. وتذكر أحيانا بعض المؤلفات منسوبة الى أصحابها، العلم مع العالم مثل كتاب أرسطاخس فى الطلسمات والنيرنجيات<sup>(١)</sup>. وأحيانا أخرى وهو الأغلب تذكر المصنفات بصرف النظر عن أصحابها باعتبارها جزءاً من تاريخ العلم مثل المصنفات المنطقية الرياضية بألفاظها المعربة: الارتماطيقى وهو أول علم فى الرياضيات لمعرفة خواص العدد، قاطيغورياس وهو أول كتاب مههد للبرهان وغرضه عرض الألفاظ العشرة،

(١) جـ ٤٤٥/٤٤٣/١١/٤ — ٣٨/٣/١ — ٢٢٦-٢٢٥/٥/١ انظر المجلد الأول: النقل، الباب الأول: التكوين، الفصل الثانى: القراءة.

(٢) جـ ١٦٦/٤/١ — ١٢٨/٥/٢ — ١٥٣/٧/٢.

(٣) جـ ٢٦٩/٧/٢.

(٤) جـ ١٤٤/٦/٢ — ١٤٦.

(٥) جـ ٤١٤/١١/٢.

(٦) جـ ٤٢٩/١١/٤.

الجيوميطريا وهى الرسالة الثانية فى القسم الرياضى والنقطة فى الهندسة تماثل الواحد فى الحساب. والأسترونوميا، وهو الثالث فى العلم الرياضى، علم النجوم بالبراهين كما ذكرت فى المجسطى، فالشمس فى الكواكب مثل الواحد فى العدد والنقطة فى الهندسة. وبالتالى تكون للرياضيات الأولوية على المنطق، وأنالوطيقا الأولى، وأنالوطيقا الثانية، وبرمينياس، وإيساغوجى<sup>(١)</sup>. فلماذا استعمل الاخوان الألفاظ المعربة دون المنقولة؟ هل لأنها لم تتحول بعد الى منقول وقد استمر استعمال البعض منها حتى عصر ابن رشد مثل الاسطقسات أم لتمثل الوافد داخل الموروث عن طريق شرحه وإيجاد المقابل له أم لايهام العامة بالغريب؟ وقد صمد التعريب حتى الآن فى بعض الألفاظ مثل الفلسفة والسفسطة والموسيقى والجغرافيا فى حين لفظ المنطق وغيره من المصطلحات الفلسفية نقل منذ البداية ولم يعرب<sup>(٢)</sup>.

ثم تأتى الكتب المنطقية مثل أنالوطيقا على العموم دون تحديد بالأولى أو الثانية. وهو الذى يضع الميزان الذى يمنع من الغبن والاعوجاج، وبه يصح الوزن ولا يدخل اليه الخلل. وبارمنياس ثانى كتب البرهان غرضه معرفة الألفاظ العشرة فى قاطيغورياس، كيف تتألف وتتركب الأشياء حتى يكون منها ميزان ومقياس، وغرض البرهان معرفة العشرين كلمة فى بارمنياس. وإيساغوجى، وهو المدخل للمنطق الفلسفى، دراسة للألفاظ الستة، والموسيقى هو العلم الرابع من الرياضيات وهو علم التأليفات والنسب<sup>(٣)</sup>. واذا كان المنطق خمسة أنواع أولها أنالوطيقا فالباقي منطق الظن وهو فى المرتبة الثانية. ثانياها معرفة صناعة الشعر، والثانى ريطوريقا معرفة صناعة الخطب. والثالث طوبيقا وهو الجدل، والرابع بوليوطيقا وهو البرهان، والخامس سوفسطيقا وهى المغالطة فى المناظرة والجدل. وواضح عدم تتبع الترتيب المنقول.

(١) الارتماطيقى (١٦)، قاطيغورياس (١٢)، الجيوميطريا، إيساغوجى (٨)، أنالوطيقا الثانية، الأسترونوميا (٧)، برمينياس (٦)، أنالوطيقا الأولى (٤)، أنالوطيقا (٢).

(٢) الارتماطيقى — ٤٩/١٠٩/٢/١ — ٧٨/٤٩/٦٦/١/١ — ١٠٩/٢/١ — ٨٣/١٩٩/٥/١ — ٢٦٧/٢٦٤/٧/١ — ٣٣٧/٨/٣ — ٣٤٧/٣٨٠/٩/٣ — ٣٩٥/١٠/٣ — ٤٣٢/١/٤ — ٤٠٤/١١/١ — ٤٠٤/١١/١ — ٤٣٠/٢٤/١ — ٢٦٨/٧/١ — ٢٦٩/٧/١ — ٤٠٤/٣٩٠/١٠/١ — ٤٠٤/١١/١ — ٤١٤/١٢/١ — ٤٣٠/٢٤/١ — ٤٣٠/٢٤/١ — ٤٢٥/١٢/١ — ٣٥/١٥/٣ — ٤٢٣/١/٤ — ٤٢٧/١/٤ — ٤١٤/١٢/١ — ٤١٤/١٢/١ — ٤٩/١ — ٧٨/٢/١ — ١٠٤/١١٣/٢/١ — ٢١٩/٢١٥/٢٠١/١٩٩/٥/١ — ٢٦٧/٧/١ — ٢٦٧/٧/١ — ٤٣٩/١٣٧/١٤/١ — ٧٨/٢/١ — ١٥٧/١١٤/٣/١ — ٢١٥/٥/١ — ٢٦٧/٧/١ — ٤٢١/١٣/١ — ٤٣٩/١٣٧/١٤/١ — (٣) أنالوطيقا — ٢٦٨/٧/١ — ٤٢٠/١٣/١ — أنالوطيقا الأولى — ٢٦/١ — ٢٦٨/٧/١ — ٣٩٠/١٠/١ — ٢٦٩/٧/١ — ٢٦٩/٧/١ — ٢٦٩/٧/١ — ٤٢٥/٤٢٣/١٣/١ — ٤٢٩/١٤/١ — ١٢/١ — ٢٤٥ — ٤٢٥/١٢/١ — ٤٢١/٤٢٣/١٣/١ — ٢٥/١ — ٢٦٨/٧/١ — ٢٦٩/٧/١ — ٢٦٩/٧/١ — ٤٢٥/٤١٤/١٢ — ٤٣٧/١/٤ — ٤٣٦/١/٤ — ٥٩/٢٤/١ — ٢٦٦/٧/١ — ٣٩٠/١٠/١ — ٤٤٣/١٤٣ — ٤٠٤/١١/١ — ٤٣٧/١/٤.

كما يتضح أيضا عدم الدقة في تسمية بوليطيقا صناعة البرهان. وتجمع المصطلحات بين التعريب كأساس والنقل كفرع. وتنقسم الكتب الى ثلاثة قبل البرهان وخمسة بعد البرهان انحرافا عنه، والذروة في البرهان<sup>(١)</sup>.

وهناك أسماء مصنفات دون ذكر لأصحابها مثل الكون والفساد، والحاس والمحسوس وسمع الكيان والحيوان لشهرتها وتحول الوافد الى موروث ثقافي او لرسائل الاخوان في الموضوع. ويذكر صاحب كتاب الأسطيپاس الذي ذكر دائرة عدتها ثمان وعشرون منزلة رتبها الاخوان في إحدى رسائلهم باعتبارها ثقافة العصر. وهناك رسائل أخرى مؤلفة لا أصل لها في الوافد مثل رسالة الصنائع العملية، ورسالة المعاد، ورسالة أجناس العلوم، والرسالة الالهية، ورسالة الحل والمعلولات، ورسالة العقل والمعقول، ورسالة المبادئ، ورسالة البعث والقيامة، وهي في صلب الموروث، والبعض منها لاخوان الصفا. وهناك رسائل أخرى يشار اليها بلا عنوان مما يدل على أن التأليف مضمون وليس صورة<sup>(٢)</sup>.

ويستعمل لفظ "اليونانيون" وصفات اليوناني مذكرا ومؤنثا ومضافا اليه في بلاد اليونان للتأكيد على محلية الوافد. فقد كان اليونانيون يستعملون آلة صناعية عند الحروب يفزعون بها نفوس الأعداء، تصدر أصواتا مزعجة. وكان من عادة اليونانيين إذا أرادوا تعليم الصبي صناعة إدخاله الى هيكل الصنائع وقربوا له قربانا. فاليونانيون يمثلون هنا شعبا له عاداته وتقاليده وخرافاته وليس مصدرا للعلم. كما يستعمل اللفظ للإشارة الى الأطباء وعجزهم عن معرفة طبائع النبات والاطلاع على خصائصه ومنافعه أو الحكماء الذين اخترعوا آلة تصدر أصواتا بلا زعيق لملاقاة الأعداء. ويجمع الحكماء والأطباء اليونانيون معا في حالة ما إذا صعب علاج مريض حملوه الى هيكل المشتري، وتصدقوا عنه، وقربوا قربانا، وسألوا الكهنة أن يدعوا الله له بالشفاء. فاذا برأ سموا ذلك طبيا ومرضا وجنونا إلهيا، وأفلاطون حكيم اليونانيين على التخصيص وسقراط أيضا. ولفظ الفيلسوف عند اليونانيين معناه الحكيم. وقد توصف الكتابة باليونانية من أربعة وعشرين حرفا. واللغة اليونانية، وتوصف السنة باليونانية طبقا للتاريخ المحلي، كما تخصص بلاد اليونان وحكماء بلاد اليونان وصفا للجغرافيا<sup>(٣)</sup>.

(١) الموسيقى جـ ٧٩/٢/١ جـ ٤٩/١/١ جـ ٢٦٧/٧/١ كتب المنطق الخمسة جـ ٢٦٨/٧/١ جـ ٤٣٦/١/٤ جـ ٤٣٧ جـ ٤٢١/١٣/١ جـ ٤٤٠/١٤/٤.

(٢) جـ ٤٢٩/١/٤ جـ ٤٤٠/٤٣٧/٢٢٢/٢٤/١ جـ ٤٠٧/١١/١ جـ ٤٥٠/١٤/١ جـ ٤٥٩/١/٢ جـ ١١/١/١ جـ ٤١١ جـ ٤١٣/١١/١ جـ ٤٣٦/٤٢٩/١٤/١ جـ ٤٣٢/٤٤٨/٤٤٣/٤٣٦/٤٢٩/١٤/١ جـ ٤٤٥/١١/١.

(٣) استعمل اللفظ حوالي ٢٠ مرة جـ ١٩٥/٥/١ جـ ٢٩١/٨/١ جـ ٣٤٥/٩/٣ جـ ٣٠٣/٨/٢ جـ ٢٧١/٦/٣ جـ ٤١٨/١/٤ جـ ٣٤/٣/٤ جـ ٢٨٧/٨/٢ جـ ٤١٨/١/٤ جـ ٤٦٢/٢/٤ جـ ٣٤/٣/٤ جـ ١١٣/١٧/٢ جـ ٢٦٣/٣/٤ جـ ٢٦٦/٩/٤ جـ ٢٨٦/٨/٢ جـ ٤١٨/١/٤.



ويصعب معرفة من المقصود بالحكماء؟ هل هم فلاسفة القرن الثالث الهجرى وقد عاشت مجموعة أبى سليمان المنطقى فى القرن الرابع؟ هل هم الحكماء الخمسة من إخوان الصفا؟ هل كل من يشتغل بالعلم بما فى ذلك حكماء اليونان لا فرق بين وافد وموروث؟ هل أقرب الى المعنى العام الذى لا يعنى بالضرورة حكماء اليونان، نقلا له من الخاص الى العام، اذ يوجد الحكماء فى الهند، ومن الجن؟ هم أقرب الى إجماع العقلاء والاتفاق فيما بينهم. فالفلسفة مواضعة واتفاق. وحين التخصيص لا يشار الى اليونان. فالحكماء المناطقة يستعملون المنطق للبرهان. والبرهان ميزان الحكماء، ويضعون العلوم المعيارية مثل المنطق والعروض والنحو. والمنطق نظر وعمل. والحكماء الرياضيون يضعون مبادئ الحساب أول العلوم الرياضية وأساسها، وإدراك النسبة أساس المعرفة والوجود. وهى أيضا نظر وعمل. والحكماء الطبيعيون يتأملون فى الطبيعة بمنهج فلسفى، ويرفعون الطبيعة الى مستوى الانسان. فالعالم إنسان كبير، والانسان عالم صغير. يثبتون أفعال الطبيعة الدالة على الله والعناية كحل وسط، إثباتها مستقلة عن الله أو إنكارها لحساب الفوضى. وتقوى الطبايع بعضها بعضا. هناك علية الوسائط. يقول الحكماء بحدوث العالم وينكرون قدمه بالرغم من الشك فى الصواب. ويوضع العلماء مع الحكماء لأنهم علماء طبيعة أيضا وفيها يتم البحث عن العلل. والحكماء هم العلماء الأخيار أصحاب العلل. ويضم الحكماء علماء الطبيعة والكيمياء. وقد تشبه آيات الحكماء معجزات الأنبياء. والحكماء الموسيقيون يربطون الموسيقى بأحكام النجوم وأثرها فى النفس. والفن للدين مثل الفلسفة وليس للهو واللعب. والعود أوتار أربعة تشبها بالطبيعة. فالحكماء موسيقيون وأطباء ورياضيون ومناطقة وشعراء<sup>(١)</sup>.

وفى أغلب الاحيان هم الحكماء الالهيون تخصيصا لهم عن غيرهم بما يميزهم وهو الاشراق أو الالهيات، والله أحكم الحكماء. وتبدأ الاشرقيات من علم النفس. لذلك تحدث الفلاسفة قبل الوحى عن علم النفس ولكن الوحى الذى فصله. يعرفون عجاب النفس بالنفس وليس بالعقل، وبأسرارها وليس بقدراتها. ويستعمل الحكماء الاشراقيون الرمز، ويضربون المثل بأمر الدنيا، ويريدون بها أمور الآخرة. وهم الدعاة الذين لا تستطيع العامة معارضتهم لاحساسهم بالنقص أمامهم، أقربيه الى دعاة الاسماعيلية وأئمة الشيعة. يعرفون أحكام النجوم للترقى بها الى أعلى وليس لمعرفة الغيب. ولكنهم أدركوا من خلالها السعادات والنجاسات.

(١) ج١/١٢/٤١٦ ج١/١٤/٤٢٥-٤٢٥ ج١/١/٧٥ ج١/٢/١٠٤ ج١/٥/٢١٥ ج١/٣/١٤-٦ ج١/٥/٢١٤

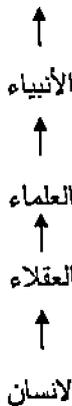
لهم أقوال فى العشق بين المدح والذم والجهل، فمن الجهول القول بأنه جنون الهى أو هم النفس أو فراغ الهمة أو مرض إنسانى<sup>(١)</sup>.

وغير الحكماء متفق مع غرض الأنبياء فى الدنيا والدين. وقد أرسل الحكماء والأنبياء إلى كل الشعوب. آدم أبو البشر وأبو الأنبياء. يمثل وحدة البشر ووحدة العقيدة. وكلاهما، الحكمة والنبوة من نفس المصدر نزولا من السماء. الحكماء والعلماء ورثة الأنبياء. وإدخال العلماء مع الحكماء إضافة للوفاد على الموروث وتوسيعا لمفهومه. انتباه الحكماء ضرورى من الوقوع فى سوء الفهم لكلامهم واتهامهم بالقول بقدّم العالم. والحقيقة أنهم يقولون بأبداع العالم بالخلق أيضا وليس بالقدّم. والفيض تطور روحى نازل للوجود فى مقابل الارتقاء الروحى الصاعد للنفس. ويؤمن الحكماء الريانيون والعلماء المتفلسفون بالآيات ويعلمون الأسرار والتأويل لأنهم يمثلون سلطة بعد مغادرة الأنبياء. ولما كانت الطبيعة لا تفعل شيئا باطلا فإن قول الحكماء الصادر عن الطبيعة لا يختلف عن قول الأنبياء الصادر عن الوحي. ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه﴾. ومن ثم يتم تركيب الوفاة على الموروث. وتدرك الحكمة الغائبة فى الطبيعة كما تقرها الشريعة. الحكماء مبعوثون من الله مثل الأنبياء والرسول. وكلاهما مصدران لعلم الاخوان. والحكماء يشاركون الأنبياء فى فضيلة الزهد. ويدافع الاخوان عن الحكماء ضد سوء تأويل قولهم عن الجوهر القائم بنفسه، وضرورة التمييز بين الصفة والموصوف. وينتج سوء التأويل عن المزايدة فى الايمان ضد العلم، وفى صف السلطة ضد المعارضة. يدافع الاخوان عن الفلسفة كما دافع ابن رشد ضد اتهام الغزالي لها من أجل تبرأتهم. لذلك يراجع الاخوان آراء الحكماء فى الانسان مركبا من بدن ونفس، وأن النفس عرض، أخلاط ومزاج للبدن أو جسم لطيف غيرئى أو جوهرة روحانية غير جسمية باقية. وإذا وضع الحكماء الحكايات على لسان الحيوانات فغرضهم الافهام والتأثير فى النفس مع الأنبياء. كلاهما على نفس المستوى وان كان الحكماء فى القمة بعد أن يرتقى الانسان الى مرتبة العقلاء ثم العلماء ثم الأنبياء. والحكيم جمع من أسماء الله الحسنى وليس المعنى اليونانى. يصف الحكماء الجنة بأن كل ما فيها مستقيم لأن الاستقامة صورة لا نهائية والدائرة أكثر الوهية. ويكثر استعمال لفظ الحكماء فى رسالة السحر. وهم غير الفقهاء والصوفية والمتكلمون. لذلك لهم معنى ايجابى باستمرار عكس معانى المتكلمين وأصحاب الجدل. ويؤيد الاخوان موقف الحكماء فى معارضتهم المجادلين فى صحة الرؤى والمنامات

(١) الحكماء الالهيون جـ ٢٠٩/٥/١ جـ ٤٨٣-٤٨٢/٤٦٨/١/٤ جـ ٣٤/٣/٤ الصيارفة الالهيون من الحكماء جـ ٢٦/١، الحكماء الريانيون جـ ٥٦/٩/٣، الحكماء القنماء الريانيون جـ ٣٦٠/٩/٣ جـ ٤٦٢/٢/٣/٣ جـ ٣٥٥/٩ جـ ٧٧/١/١٠٠/٢/١.

ومع ذلك قد ينقد الاخوان الحكماء فهم وحدهم ليسوا مصدرا للعلم. ويخطؤون بانكارهم خراب السموات والارض والايحاء بالقول بأزلية العالم. فالايمان بالحدوث استبصار ومشاهدة. ويخطئون عندما يقولون الأخرة. والأفضل الاعتقاد بالأخرة وبقائها بعد الكون<sup>(١)</sup>.

### الفلاسفة الحكماء



ويستعمل لفظ "الفلاسفة" أقل من لفظ الحكماء، والمتكلمون والفلاسفة الطبيعيون، والفلاسفة الحكماء، والفلاسفة الريانيون، المتكلمون، والمتكلمة، والفلاسفة القدماء<sup>(٢)</sup>. وتستعمل معظمها في إطار التشكل الكاندي، فالملائكة يسميها الفلاسفة روحانيات وهي الكواكب الموكلة بانشاء الموالييد. وتستعمل ألفاظ المنطق. وغرضهم من الرياضيات العمل والأخلاق، ومن الطبيعيات الارتقاء الى الله. واخترعوا الموسيقى والآلات لنفس الغرض، رجوعا الى عالم الارواح، والسعد من الكواكب، وبينها نسب موسيقية لأنغام لذيذة. لذلك اتفقت الأنبياء والفلاسفة على الوجدانية والتنزيه، فالنبوة والفلسفة طريقتان نحو نفس الغاية. فغاية الموروث والوافد واحدة. إنما الفرق اتفاق الأنبياء واختلاف الفلاسفة مع أن الفلاسفة أيضا متفقون على المطلق، والأنبياء مختلفون في التصوير وأشكال الشرائع والعبادات وفي طبيعة المرحلة التاريخية. وقد توصل كلاهما الى بقاء النفس. واستعمل كلاهما الرمز والاشارات<sup>(٣)</sup>.

(١) المؤمنون والحكماء الأنبياء جـ ٥/٤، وصايا الأنبياء والحكماء جـ ١١٧/٥/٤، الأنبياء والفلاسفة جـ ٦/٤/١٢٤، الحكماء المتكلمون جـ ٢٦/١.

(٢) الفلاسفة (٤٥). المتكلمون (٧) الفلاسفة الحكماء (٣)، الفلاسفة الريانيون، المتكلمة، الفلاسفة الطبيعيون، الفلاسفة القدماء (١).

(٣) الفلاسفة جـ ٢٤/٢٨/١، جـ ٢٤٩/٢٣٤/٥/١، جـ ٢٥١/١، جـ ٢٩٥-٢٩٤/٨/١، جـ ٤٢٩/١٤/١، جـ ٢-١٣٢/٦-١٤٥/١٤٧-٢٤٧/١، جـ ٢٩٥/٨/٢، جـ ١٩٠/١/٣، جـ ٢٤٠/٤/٣، جـ ١٨٠/٧/٤، جـ ١٨١-١٨٠/٤-١.

كما استعمل لفظ القدماء، وأحيانا مع الخواص، إما مع الحكماء أو بمفردهم<sup>(١)</sup>. وهم يمثلون التراث السابق للمفاهيم، مؤسسو العلوم. ومنهم موحدون يقولون بحدوث العالم وبروحانيات الكواكب ويعلم الأشياء قبل كونها. وهنا لا يبدو الفرق كبيرا بين القدماء والمحدثين. وعند بعض المتكلمين لا فرق بين واند وموروث. وبالرغم من أن لفظي الاسطفس والاسطفسات كانا شائعين إلا أن لفظ الركن والأركان وعالم الأركان والأركان الأربعة كانت هي السائدة لمعرفة ماهيتها والهيولى الطبيعية فيها<sup>(٢)</sup>. يستميل بعضها الى بعض. وهي نون فللك القمر. يتعاقب الصيف والشتاء عليها. والعلة الصورية وراء الأفلاك وحركات الكواكب حولها وفعل الصنائع الطبيعية فيها، وحفظ المناسبات بينها وبين الكواكب الثابتة وغير محفوظة بينها وبين الكواكب السيارة، وهي العلة الهيلولائية. وأول فعلها في تكوين النبات جذبها عصارات الأركان الأربعة وهي متفجرة الطباع. وعالم الأفلاك أشرف من عالم الأركان، وعالم الأركان بعضه أشرف من بعض. وكل واحد من الأركان له وصفه الخاص ومزاجه<sup>(٣)</sup>. ومن المصطلحات المعربة البرقليط الأكبر وهو المهدي المنظر تمثلا للوafd داخل الموروث، وألفاظ الأرمونيقى، سوجيموس، مغنسيا، كيموس، الماليخوليا، القرستون<sup>(٤)</sup>.

جـ - رسالة الجامعة. ولما كانت رسالة "الجامعة" تليخيا أو جامعا لكل الرسائل الاحدى والخمسين فان مكوناتها، الوafd والموروث ونسبة كل منهما الى الآخر يكون لها دلالتها النهائية لما كان كل تأليف يدل على تصور حضارى ووعى تاريخى ويظل لقبثاغورس

٢١٨/٨ - ٢٦٨/٩/٤ - ٣٠٨-٣٠٦/٢٩٤/١١/٤ - ٢٣٢/٢٨/١٤/٣ - ٤٦٢/٥٠٦/١/٤ - ٣٦/٣/٣/٤ - ١٧٩/٧/٤ - ١٥٣/٧/٢ - ٢٨/٢٥/١٤/٣ - ٣٩٥/١٠/١ - ٧٦-٧٥ - ٣٤/٥/١ - ٢٦٨/١/٤ - ٢٥٥/٦/١ - ٢٩٤/٨/١ - ٣٢/٩/١ - ٣٣٠/٩/١ - ٣٩٥/١٠/١ - ١٨١-١٨٠/٧/٤ - ١٩٦/٧/٤ - ١٢٤/٥/٢ - ٢٦٣/٩/٤ - ٢٥١/٦/١ - ٢٩٣-٢٩٥.

(١) القدماء الحكماء (٥) القدماء (٣) القدماء الفضلاء الموحدون<sup>(١)</sup>.

(٢) ذكر اللفظ حوالى ٠٣ مرة والاسطفسات (٢) ٢٩١/١/٣ - ٢٠٢/٨/٤ - ٢٢/١.

(٣) الأركان الأربعة جـ ٦/٢ - ١٩/١/٢ - ٦١/٥٨-٥٧/٣/٢ - ٢١٥/٨٩-٨٨/٥/٢ - ١٣١/٦/٢ - ١٣٤/١٣٢ - ١٥٢/١٥٧/١٥٥/٧/٢ - ١١٠/٨/١/٢ - ١٨١/١/٣ - ١٨٤/١٨٢ - ١٩٠ - ١٨٨/١٩٣/١٩١ - ٢٢٤/٢٢٢/٢١٥/٢١٣/٣/٣ - ٢٣٦/٢٢٧/٤/٣ - ٢٥١-٢٤٩/٥/٣ - ١٨٨/١٩٣/١٩١ - ٣٢٨/٣٣٥-٣٣٤/٣٣٢-٣٣١/٤ - ٣٦٢-٣٦١/٣٥٢-٣٥٢/٩/٣ - ٤٣٥/٤٢٦/٤٦٥/٤٦٠/١/٤ - ١٢/٢ - ٢٢/٤/٤ - ١٧٢/٧/٤ - ٥٣/٣/٢ - ١١٤/٥/٢ - ١٣٥ - ١٣٣/٦/٢ - ١٥٥ - ٣١٤/٣٠٩/٢٨٧/٨/٢ - ١٦٦/١٢/٢ - ٤٧٩/٤٧٣/٤٥٨/١٢/٢ - ٥٦/١٦/٣ - ٩٩ - ٢١٣/٢٣٢/٨/٤ - ٢٨٥/١١/٤.

(٤) ٤٠/١ - ٢٠٢/٥/١ - ٢٧٣/٨/٢ - ٢٧٣/٢٧١/١٩٠ - ٤٥٨/١٢/٢ - ٣٦٥/٩/٣ - ١٣٨/١٧/٣ - ٤٢١/١٣/٤.

والفيثاغوريين الأولوية على أرسطو وللحكام الفيثاغوريين والفيثاغوريين الأولوية على القمام. ويستعمل الحكماء الفيثاغوريون بعد "تلك قالوا" أى أنهم تأييد موقف الاخوان وليس استعارة لأقوالهم. فصور الأشياء مطابقة لصور العدد، والأشياء تركبت حسب طبيعة العدد كما نكروا فى رسالة المبادئ العقلية على رأى الفيثاغوريين. وما قاله الحكماء الفيثاغوريون من أن الاعداد مطابقة لصور الموجودات وأول ما فى النفس من معلومات طريق الى التوحيد. وهنا يأخذ الاخوان الوافد وسيلة والتوحيد غاية، والاستعانة بالخارج لاثبات الداخلة<sup>(١)</sup>. ورسالة "فى المبادئ العقلية على رأى الفيثاغوريين" ضمن الرسائل العقلية والذخائر النفسانية والافضات الالهية. فالعرض يأتى قبل التوظيف. وتخصص الرسالة الثانية "فى المبادئ العقلية على رأى اخوان الصفا وعلان الوفا وهى مطابقة لقول الحكماء الفيثاغوريين" فالأنا هو الأساس والآخر هو الفرع<sup>(٢)</sup>.

أما أرسطوطاليس فانه يذكر فى معرض التعريف به بأن له ثلاثة كتب مقدمات للبرهان وبيان غرضه فى نصب البراهين أى أرسطو المنطقى. ويعجب أرسطو الالهى بأستاذه أفلاطون أبية الروحى بعد أن استطاع أرسطو منع خراب البلاد على يد الملك وأراد الناس أن يدعوا لواليه. وهو أرسطو المقروء إسلاميا وليس أرسطو التاريخى، العالم بالكتب المنزلة والتأويلات النبوية، النبى والعقائد<sup>(٣)</sup>. كما يحال الى المجسطى باعتباره تراثا علميا فلكيا بعد أن عرف الاخوان النظرية. فالمجسطى تصديق لما عرفوه، وبيان لما ذكروه<sup>(٤)</sup>.

وبالنسبة للمصطلحات يبرز الاخوان أولا اللفظ المنقول مثل علم العدد وبعده اللفظ المعرب الأرتماطيقى أو علم الهندسة وهو الجومطرية. وأحيانا يذكر اللفظ المعرب أولا مثل الارتماطيقى وبعده اللفظ المنقول، علم العدد، والأسطرنوميا علم النجوم، والموسيقى علم التأليف، وبوطيقا معرفة صناعة الشعر، وريطوريقا معرفة صناعة الخطب، وطوبيقا معرفة صناعة الجدل، والسوفسطيقا معرفة صناعة المغالطين، وإيساغوجى الألفاظ الستة، وقاطيغورياس المعقولات الكليات وهى الألفاظ العشرة، وبارى ارمنياس الكلام فى العبارات، وأنالوطيقا الأولى اقياس، وأنالوطيقا الثانية البرهان. وأحيانا يذكر اللفظ المعرب وحده مثل قاطيغورياس، بارى ارمنياس، أنالوطيقا. وأحيانا يكون اللفظ المنقول بعد اللفظ المعرب عبارة

(١) فيثاغورس، الفيثاغوريون(٥)، أرسطو(٣)، أفلاطون، المجسطى(١).

(٢) ٢٧/٥ - ٣٣٤/٩٣/١/٥ - ٣٤٥/٢/٣/٥ - ١١٤/٧/٥.

(٣) تيس هذا أبواى على الحقيقة وإنما أبى أفلاطون الذى ولد عقلى، وعلمنى المقتر له وبما يدرس الكتب

الالهية والتزييلات السماوية ذات التأويلات النبوية والسياسة الفلسفية - ١٠٤/١١/٥.

(٤) ٣٩٠/٥/٣/٥.

شارحة مثل إيساغوجي وهي الألفاظ الستة التي يستعملها الفلاسفة في المنطق، وقاطينغورياس وهو البيان عن المعقولات الكليات وهي الألفاظ العشرة، وفي العبارة الشارحة يبددو لفظ الصناعة هو الغالب للدلالة على أن المنطق آلة وليس علما. وفي نفس الوقت يعاد بناء المنطق واعتبار الكتب الثلاثة الأولى المعقولات والعبارة والقياس مقدمة للبرهان ثم غيابه بعد ذلك في الجدل والسفطة والخطابة والشعر كما فعل الفارابي<sup>(١)</sup>.

ويأخذ لفظ الحكيم والحكماء كما هو الحال في الرسائل معنى عاما وليس بالضرورة الحكيم أرسطو أو حكماء اليونان، بل الحكيم الإلهي، الحكيم الإسلامي الذي يعرف أن الله سبحانه خالق آدم وأسكنه الجنة. وهو الحكيم الناطق، الحكيم الفاضل، صاحب الأمانة "كل إناء ينضح بما فيه"، الحكيم الذي يرى أن العقل الغريزي في كل إنسان، الإنسان العاقل المطيع للأراء والنواحي بموجب العقل أم بموجب السمع لأوامر الناموس ونواحيه طول عمرة في الدنيا. وبالتالي قرن العقل الذي عرف به اليونان بالسمع الذي اقتص به المسلمون.

ويستعمل لفظ الحكماء على الإطلاق أو على التخصيص كاتباع لأرسطو أو مع العلماء أو المناطقة أو الموسيقيين أو الطبيعيين أو الفلكيون أو الاطباء الإلهيون وهو الأغلب أو على التخصيص بالحدوث مثل حكماء الصدد الأول إيجابا أو المتكلمين سلبا<sup>(٢)</sup>. فالحكماء على الإطلاق حملة الحكمة مثل العلماء حملة العلم. وهو علم أصول الدين وحقائق المعرفة، معرفة الله سبحانه والقرار بربوبيته. وهم العلماء حملة العلم الذي تبينه الأنبياء<sup>(٣)</sup>. والحكماء في سلوكهم وأخلاقهم قذوة. ولا يقبل الله العمل إلا من العالم العارف. وهو سنته وسنة الحكماء من عبادته والمصطفين من أوليائه وأنبيائه. ورسائل الاخوان شرح لأقوال الحكماء وبيان لمبادئهم لطالبي العلوم. وبالرغم من اختلافهم في الأراء وتباينهم في المواقف إلا أنه لا خلاف بينهم في الأحوال والأصول. فالحكمة أصل واحد. كما أن الحكماء والفلاسفة من أهل التوحد يختلفون في الألفاظ فيما يتعلق يبدأ الخلق ولكنهم يتفقون في المعاني والأغراض. الخلاف في الألفاظ والأسماء بين الحكماء فيما يتعلق بالجسم الكلي وهو العالم بأسره والنفس الكلية المحركة له والعقل الكلي وهو القوة الإلهية المؤيدة للنفس الكلية. وهي ما تسميه الحكماء الملائكة الروحانيين طبقا لعملية التشكل الكاذب، التعبير عن المضامين الدينية بعدة ألفاظ

(١) جـ ٩٣/١٨/٥ - جـ ١١٢/٧/٥ - جـ ١١٤ - جـ ١٢٩/١٠/٥ - جـ ١٣٠ - جـ ١٣٠/١٣/٥ - جـ ١٣١.

(٢) الحكماء (٣٩) الحكماء الإلهيون (٦) الحكماء العقلاء (٢) القدماء من الحكماء، الحكماء المتقدمون، المتقدمون من الحكماء، الحكماء من أهل الهند ... الخ (١).

(٣) جـ ٦٦/٥ - جـ ٢١/٩/٥ - جـ ٢١١/٢٠٤/٢٠٠/٨/٥ - جـ ٨٦/٨/٥ - جـ ١٤٥/٥ - جـ ٢٥٢/١١/٥ - جـ ٤٠٠/٢/٥ - جـ ٣٧/٥ - جـ ٢٦/٩/٥ - جـ ٨٩/٥.

فلسفية. والحكماء يستعملون الرمز لأن علومهم مستغلقة لا يقدر عليها إلا أنكياة القلوب وأصفياء الذهن ومن أراد الله له السعادة فى الدنيا والآخرة. قد يستعمل الاخوان لغة الرمز بين الحيوان والحكماء تسهيلا للأفهام وشرحا للمعاني. وبشبه أسلوب الحكماء الرمزى أسلوب الأنبياء والأمثال المضروبة فى القرآن<sup>(١)</sup>. وقد يذكر القدماء من الحكماء مع العلماء كحملة للعلم مصنفين وشارحين له دون دلالة خاصة على الوافد أو الموروث. وهم المناطقة الذين يسمون الوصف الحد. البرهان ميزتهم يعرفون به الصدق والكذب فى الأفعال والأقوال، والحق والباطل فى الاعتقاد، والخير والشر فى الأفعال. لذلك هم اتباع أرسطو فى نصب البراهين . وهى المرة الوحيدة التى يتم فيها هذا التخصص، وهم الموسيقيون الذين يتقنون صناعة الالحن. وهم الطبيعىون الذين قد يختلفون فى حقائق وكيفيات الهولى والصورة وماهيتها والزمان والحركة، ويرون أن النبات واسطة بين الانسان والأركان، والأطباء الذين تحدثوا فى العشق والمحبة وصفاء الذهن لا فرق بين طب الأجساد وطب النفوس<sup>(٢)</sup>.

وهم أخيرا الحكماء الالهيون مما يكشف عن التوجه فى النهاية نحو الموروث. هم الذين تكلموا عن حقائق الأشياء بالبراهين اللامعة والحجج الناطقة. وهم الذين وضعوا الميزان مع الفلاسفة من الحكماء والالهيين من القدماء والعلماء. ويتفق الحكماء الالهيون والعلماء الأقدمون فى وصف العلوم الجسمانية والطبيعية. وقد قال الحكماء القدماء والأولون من العلماء إن الانسان خليفة الله فى الأرض مثل أن الملائكة خلفاء الله فى الأرض. وترجم ذلك الحكماء الالهيون والعلماء الربانيون بعلم علل الأشياء ومعلولاتها بعلم غامض لا يطلع عليه الا المرتاضون بالعلوم الالهية والحكمة الربانية المأخوذة من تلامذة الحكماء الالهيين وخلفاء الأنبياء المرسلين تقيدا وإيمانا وتسليما. فلا يقوى على منهج الفلسفة إلا المتدينون ولا على الحكمة إلا ورثة الأنبياء. ولا يعرف العلل والمعلولات على ما حكته العلماء وأخبرت به الحكماء إلا أهل الفلسفة الحكمية والشرعية الدينية المتفقين على المعانى الحقيقية. وهم الحكماء الأولون والعلماء الالهيون فى معرفة العالم العلوى واستقامة أمور الأفلاك بالنسب الفاضلة والقسمة المعتدلة لا تضاد فيها ولا زيادة أو نقصان، فعل شىء فيها على قدر موزون، لا فرق بين النبوة والحكمة. يتفق الحكماء الالهيون والعلماء الربانيون المخصوصون بالعلوم العقلية والتأيديات الفلسفية ومن تبعهم واستجاب لهم وانقاد الى أوامرهم ونواهيهم الايمان بالجن وهو المسبحون فى البقاع الطاهرة والمساجد العامرة، وفقهاؤها وحكماؤها من آل إدريس وبنى بلقيس وأولاد كيوان وبنى هامان وآل لقمان وأولاد بهرام وبنى ناهيد. ويزاد

(١) ٩١/٥ - ١٣٨/١٤/٥ - ٩٣/٣/٥ - ١٠٥/٦/٥ - ٣٣٦/١/٥ - ٣٣٧ - ٣٥٣/٣/٥ - ١٧٩/١٩٣/٨/٥.

(٢) ٣٦/٥ - ١١٤/٧/٥ - ١١٤/٧/٥ - ١٠٠/٩٨/٤/٥ - ١٤٤/١/٥ - ١٢/٨/٥ - ٣٩٩/٥/٣/٥ - ٤١٥/٤٠٠.

عليهم آل بقرات وآل أفلاطون وذرية أرسطوطاليس. هنا ينضم الوافد الى الموروث في الايمان بقضية الجن. وهم الطائفة المخصوصة بالعلوم العقلية والآراء الفلسفية والمذاهب الربانية الالهية، لا فرق بين حكمة فارس وحكمة يونان، بين الواقع والخيال. بين الانس والجن<sup>(١)</sup>. يقول الحكماء والعلماء أن العالم إنسان صغير وهو ما ترجموه من كتب الفلاسفة الاليهيين والتقدماء. يعنى الحكماء بالنفوس الجزئية القوة المنبثة الهابطة الى المركز السفلى المشتاق الى عالم الطبيعة المتخلفة عن قبول الافاضة العقلية. هنا تبدو لغة الفيض التى تجعل الحكمة قريبة من النبوة والنفوس الجزئية منبثة من النفس الكلية وتخلت عنها. كان الحكماء من الصدر الأول، وهو تعبير إسلامى، يدخرون لأنفسهم موضوع العقل والعقول بعيدا عن الناس إلا لمن يتقون به ويأخذون عليه العهد والمواثيق، وكانوا يسمونه علم البلاغ. لأنه به تتم معرفة الأشياء بحقائقها والاطلاع على كيفية وزنها بميزان القسط والحق. والمعنى الروحى للموازين هو صفاء النفس. والغرض من هذا العلم من الحكماء والفلاسفة والعلماء الاقتداء به. وقد شاهد الحكماء والنجباء الراسخون فى العلم بصفاء نفوسهم ونور عقولهم جواهر غير جسمانية سارية فى الأجسام<sup>(٢)</sup>.

يتفق الحكماء الأولون والعلماء الربانيون فى نفس الأغراض. إن الحكماء فى ذكرهم الهيولى والصورة إنما ينبهون النفوس الالهية والأرواح الساهية الغافلة عن آيات الله بحيث يستعمل الوافد للتنبية على الموروث. والحكماء الراشدون وأهل الحكمة والعلم الذين وقفوا على أسرار الأنبياء الصادقين، يعلمون الموازين المنصوية يوم القيامة التى بها توزن أعمال العباد خيرا أو شرا. هى صورة نفسانية شفافة تتراعى فيها الأعمال لصاحبها ينظر اليها خروجاً من التصور الشيعى الى التصور النفسى، ومن التشبيه الى التنزيه، ومن الكم الى الكيف. والرؤساء هم المستخلفون فى شرائع الأنبياء بعد ذهابهم لهداية الأمة، والذباب عن الأئمة، وتأويل ما نطق به الحكماء، وما خفى من مرامى الأنبياء. فالأئمة المهديون هم المظهرون لحكمة الحكماء ونبوة الأنبياء. وقد دل الحكماء وصدق العلماء المؤمنون بالحياة إشارة الى تحقيق علم الله الذى أخبرت به الأنبياء. وعند الحكماء صورة الانسانية منزلة ثالثة، للصرات المحدود بين الجنة والنار. والحكمة خارج الجدل والخلاف. هى أقرب الى براهين الأنبياء مع تأويلات رموزهم وأسرارهم. لذلك يقرن الحكماء بالمتكلمين مما يدل على معنى اللفظ الموروث واستعمالها معا فى القياس<sup>(٣)</sup>.

- (١) ٨٥/٥ جـ ١٤٣/١٣١/١٣/٥ جـ ١٥٨/٨/٥ جـ ٤٧٨/٩/٣/٥ جـ ٤٧٩-٤٧٩ جـ ٢٨٢/١٢/٥ جـ ١٩٥/٨/٥  
(٢) ٣٦/٥ جـ ٣٤٦/٣/٥ جـ ١١٩/٩/٥ جـ ٢٥٥/١٢/٥ جـ ٣٥٤/٣/٥ جـ ١٨٢/١٧٧/٨/٥ جـ ٣/٥  
٣٧٦-٣٦٦-٣٧٦  
(٣) ١٣٩/١٤/٥ جـ ١٤٥/١/٥ جـ ١٢٨/١٧/٥ جـ ٤٣٧/٣٩٣/٣٦/٣/٥ جـ ١٣١/١٣/٥ جـ ٢٥٨/١٢/٥

ويستعمل لفظ الفلاسفة بمعنى الحكماء وبصفة الإلهيين وهم فى مناجاتهم لبارئهم بلفظ يا دهر الداهرين. وقد تخصص الفلاسفة الكرماء القدماء والأكابر من العلماء وأصحاب الفلسفة الإلهية والحقائق العقلية والأسرار المكتومة فى موضوع الجواهر النفيسة. وإجماع الفلاسفة الإلهيين والانبيا المرسلين والأئمة المهديين والمؤمنين والعلماء الأقدمين يدل على أنهم لم يجتمعوا إلا على الحق الصادق. والعقل اسم مشترك يقال على معنيين أحدهما يشير إليه الفلاسفة، أول موجود اخترعه البارئ سبحانه، جوهر بسيط روحانى<sup>(١)</sup>.

٣- الموروث. أ- اللغة والشعر والثقافة العربية. ويتجلى الموروث فى اللغة العربية وفى الشعر العربى وفى الثقافة العربية والعلوم الإسلامية وفى التاريخ الإسلامى وفى الجغرافية الإسلامية. يتم الاستشهاد باللغة العربية وحروفها الثمانية والعشرين وتقابلها مع منازل القمر. وهو عدد متوسط بين القليل (تسعة عن الهند) والكثير (الصين). وأصل الحرف الخط المستقيم والخط المقوس. وغلط الألف العربية مناسب لطوله. بل إن حروف كل لغات الأمم تقوم على التقويس والانحناء للألف كما هو الحال فى العربية. فالأخوان يصفون الكتابة العامة وليس كتابة اللغة العربية الخاصة. واللغة العربية خاتمة الكتابات، وحروفها تمام الحروف كما أن الشريعة آخر الشرائع ومحمد خاتم الأنبياء. وتبدو آثار حكمة الله فى اللفظ العربى. الحروف أ- ب- ت- ث مشتركة فى كل الأشياء، ومطابقة للأعداد والموجودات، وينقرع منها ما لا يحصى ولا يعد، وتطابق جسم الانسان وأعضائه. ولما كانت لغة العرب أكمل اللغات فقد طبقت جسم الانسان أتم الصور. ونسبة اللغة العربية لباقى اللغات مثل نسبة الانسان للحيوان. ولما كان الانسان أكمل أنواع التطور كذلك اللغة العربية نهاية المطاف لا تنسخ ولا تتبدل، زيادة أو نقصانا. ولما كانت اللغة العربية بحروفها التامة لغة القرآن دون بها كل شئ فإنها تكتب بأحسن الخطوط وأقومها وأتمها وأكملها من أجل الحفاظ على أصول هندسية تتبنى عليها. البعض منها مستقيم كالألف والبعض مدور كالثاقف والميم، والبعض مقوس كالحاء والخاء. وإذا دخلت بعض الحروف الأعجمية فى العربية فإن ذلك لا يتعدى اللسان حفاظا على نقاء اللغة. ويؤسس الاخوان علم الصوتيات حركات اللسان والشفقتين. وهما أربعة عشر حرفا، والأربعة لها مخارج أخرى غير اللسان<sup>(٢)</sup>. وتدخل لام التعريف على أربعة عشر حرفا أى على نصف الحروف<sup>(٣)</sup>.

(١) جـ ١٩٥/٨/٥ — ٢٥١/٢١/٥ — ٢٧٣/١٢/٥ — ٥١٤/٤/٥ — ٣٦٦/٣/٥.

(٢) جـ ٢٢٢/٢٢٠/٢١٩/٥/١ — ١٤٣/١٧/٣ — ١٤٤-١٤٦/١٤٩/١١٩ — ٣٣٠/٨/٣ — ٣٨١/٩/٣.

(٣) هـ: ت، د، ذ، ر، ز، س. ش، ص، ض، ط، ظ، ل، ن.

وتحلل معاني الكلمات اشتقاقا في اللغة العربية لمعرفة معاني الكلمات. فالسماة كل ما علا الرؤوس لذلك يسمى السحاب سماء وجبالا لتراكمه فوق بعض. والكفن في لغة العرب الغطاء، وهو ما يعرض للنفس من جهة الجسد. والكلام هو الصوت المخصوص للإنسان. اللغة العربية والفارسية والرومية أصوات. وتستعمل معاني الألفاظ في اللغة العربية لفهم معاني القرآن فاللواحق في ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ فاعلة وأصلها ملاقح، وأصبحت على القلب والتبديل مادام المخاطب فاهما. ولفظ "البعث" في اللغة العربية يدل على ثلاثة معاني الإرسال ﴿ بعث الله النبيين ﴾، وبعث الأجساد الميتة وحشرها ﴿ أننا لمبعوثون ﴾، وبعث النفوس الجاهلة من الغفلة، تدرجا من المعنى الحسى الى العقلى الى الروحى. ومعنى الدين في لغة العرب الطاعة التى تبين من خلال الأوامر والنواهي أى الشريعة. ويتم شرح الشعر أيضا لغويا. فالأخبار يسبحون الله بالليل. فهم أحياء عندهم وإن كانوا أمواتا. والأشرار موتى عند الله وأن كانوا فى الدنيا أحياء. وكذلك يطلق السحر فى اللغة العربية على البيان والكشف عن حقيقة الشيء وإظهاره بسرعة العمل أو الأخبار عما يكون قبل كونه، والاستدلال على ذلك بعلم النجوم وموجبات أحكام الفلك أو الكهانة والزمل والقأل أو سرعة البيان وإقامة الدليل والبرهان. ويعبر بالاسلوب العربى وضرب المثل بزید وعمر وخالد وموسى وعيسى على صلة الشخص بالاسم أو التقدم بالمتأخر<sup>(١)</sup>.

وتختلف لهجات العرب كما تختلف كل اللهجات. وهو اختلاف مقبول إنما الاختلاف المنموم فى الآراء والديانات والمذاهب التى ظهر الإسلام ليوحد بينها، واللغة العربية أتم للغات. لذلك لا يمكن النقل من اللغة العربية الى اللغات الأخرى لاختصارها وإيجازها. ثم يدرس الاخوان نشأة اللغة العربية وتطورها. فأول من نطق بها يعرب بن سام. ثم اتسعت عبر الزمان وتزايدت بتزايد العرب وانتشارهم فى الأرض بحسب اتفاقات فى مواليدهم وبقائهم وأمزجتهم وطبايعهم وأبدانهم وهويتهم حتى تعددت فى القبائل ووقع الاختلاف فى الأسماء للشيء الواحد فنشأ علم العربية. هذه الحكمة الإلهية فى خلق الموجودات وتسميتها سبب نشأة اللغات. يجمع الاخوان بين نظريتى التوقيف والاصطلاح فى أصول الفقه، ومن عجائب اللغة العربية هو هذا التعدد فى اللهجات والوحدة فى اللغة، التعدد فى الأعراف والشريعة واحدة، التعدد فى القراءات والمعنى واحد، على عكس باقى اللغات التى يغلب فيها التعدد على الوحدة فى اللغات والآراء والديانات. ونظرا لتباعد العرب بين البدو الحضر تباعدت اللهجات حتى احتاجت الى البيان والإيضاح. الخمسة أيام من الأحد الى الخميس فى اللغة العربية واحدة. الاختلاف منفعة من أجل التفهم والإيضاح عما دعت اليه الحاجة فى

(١) جـ ٦٣/٤/٢ — جـ ٦١/٣ — جـ ١٠٠/١١٤/١٧/٣ — جـ ٣٠٠/٧/٣ — جـ ٤٨٦/١/٣ — جـ ٨٨/٥/٤ — جـ ١١/٤ — جـ ٣١٣ — جـ ١/١٠/٤ — جـ ٤١٢/٤٠٥/٤ — جـ ٣٦٠/٩/٣

أمور الدين والدنيا وكأن الاخوان يشرحون ﴿ وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾. واختلاف  
الأسنة والالوان عامل إيجابي لتأكيد الوحدة من خلال الاختلاف<sup>(١)</sup>.

ويتم شرح آراء الحكماء بالشعر العربي وهو أكثر حضورا من الفلسفة، تركيا للوافد  
على الموروث. يستشهد به على مغادرة النفس البدن كما فعل ابن سينا فى القصيدة العينية  
ولتهييج النفوس وتشجيعها على الحرب ووضع الحروب ومدح الشجعان. وقد يكون الشعر  
عربيا دون تحديد وقد يكون محددا بشاعر مثل البسوس التى كانت أشعارها سببا لاثارة القتال  
بين قبيلتين، اثاره للضعافن، وتحركا للنفوس، وفى استشهد الحسين. وهناك شعر يشجع على  
الاقدام والفروسية. ويتم الاستشهاد بالشعر على العشق باعتباره جنونا إلهيا لا علاج له الا  
بالدعاء والصلاة والصدقة مثل شعر عمرو بن حزام ومعظم الأشعار فى النفس، علومها  
واعقاداتها وعاداتها، والكلام النفسى فى مقابل الكلام اللفظى والحرفى (الخطى)، وخلودها  
وانتقالها من حال الى حال. ويضرب المثل بالشعر على لذة العاشق بالمعشوق. تسره رؤيته  
وتؤلمه خيائته، لا فرق بين الآلام الجسمانية والروحية. بعض الاعتقادات والآراء مؤلم  
للنفوس ومحير ومشكك لها. العشق عند بعض الشعراء شد الشوق الى الاتحاد كما قال ابن  
الرومى، وازدياد الشوق يوما بعد يوم. كل نفس اذا أحببت شيئا اشتاقت اليه وطلبتة وعرضت  
اليه. وفى العشق تنبيه للنفس من غفلتها وإيقاظ لها من نومها وجهالتها. فتستريح النفس من  
عنائها ومقاساة صحبة غيرها، وتخلصت من السقام الذى يعرض لعاشقى الأجرام ومحبي  
الأجسام كما وصف الشعراء. واذا ابتليت الأنفس بعشق آخر ومرت بها الأهوال والمحن ولم  
تنبيه الى نفسها فانها تظل غريقة فى عمانها. سكرى فى جهالتها كما قال امرؤ القيس.  
ويضرب المثل بالشعر العربي فى مدح الخيل فى القتال ومدح الفارس وإقدامه وصبره على  
الطعن والبراج. وتفسر أقوال الحكماء بالشعر العربي شرحا للوافد بالموروث. والعروض  
ميزان الشعر العربي وهو ثمانية مقاطع فيه تمثل قوانين العروض وأصوله التى فيها يركب  
الغناء العربي فى ثمانية أنواع هى مفاعيل أشعار العرب. لم يذكر الاخوان مؤلفات الكندى  
أوالفارابى إما لأن مؤلفاتهم كانت سابقة عليهم أو ربما اغفالا لها لانتباههم الى الوافد. وتتقابل  
اللغة والشعر والجنان وحملة العرش والنيران فى العدد ثمانية. وقوانين الألحان العربية  
والغناء العربي ثمانية. هناك صلة اذن بين اللغة والموسيقى والشعر والأخلاق. ولما كانت  
اللغة العربية أتم اللغات فان الأخلاق الناشئة عنها أكمل الأخلاق وتهذيبا للنفوس. ولا يعرف  
الأخبار إلا الأخبار كما قال الشاعر. ويشارك فى الشعر ليس فقط الشعراء بل الحكماء<sup>(٢)</sup>.

(١) جـ ١٥٢/١٦٧-١٦٤/١٣/٣ جـ ٢٠٧/٢/٣.

(٢) جـ ١٣٩/٣/١ جـ ٢٠٩/١٨٤/٥/١ جـ ١٧٠/٧/٢ جـ ٢٧١-٢٧٠/٦/٣ جـ ٥١/٤/٤ جـ ٣٩٣/٣/١

جـ ١١-١٠/١/٢ جـ ٥٩/٣/٢ جـ ٧٢/٦٧-٦٦/١/٣ جـ ٢٧٢/٦/٣ جـ ٢٨٤-٢٨٣/٢٨١/٢٧٤

ويضرب المثل بالشعر العربي على الكمال الالهي للواحد القهار العزيز الغفار الشديد العقاب ويخص بالذكر أمثلة من الفيظوري الميمون المبارك في تسبيحه والهبزاردستان للغوى الكثير الألحان في غنائياته. وتتفاوت هذه الأشعار بين ما هو معروف مثل وصف امرؤ القيس لجواده في القتال وما كان معروفا في عصره وأصبح أقل شهرة عبر التاريخ. وقد يكوت الشعر منسوبا الى صاحبه وقد يكون غير ذلك من وضع شاعر أو ربما من وضع الاخوان. ويستشهد بالشعر في عدة مقاطع متتالية في وعظ بنى آدم وتذكيرهم بملوكهم الماضية والأمم السالفة واعتبار ما هو أبقي كما يفعل الصوفية. ويضرب المثل بأبيات شعرية عديدة ضد الاستغراق في شهوات الدنيا ونسيان الآخرة، وتحذيرا من الوقوع في الظنون والشك والحيرة جزاء لهم على تركهم وصية الله ووحى الأنبياء واتباع العلماء والحكماء فيما يدعون اليه ويرغبون فيه من نعيم الآخرة ويأمرونهم به من الزهد في الدنيا والنهي عن الغدر بشهواتها. ويستشهد بالشعر على أن تحقيق الوعد وخلاف الوعيد كرم وصفة رحمة واشفاق وسماحة وانعام. وهي من الخصال الحميدة التي تليق بفضل الله ورحمته وكرمه وإحسانه. بل يظهر الشعر في الأحلام بالسريانية والعربية. وينقد الاخوان تجربة انتظار الخلاص على يد المهدي مع التمنى بالمجىء والاستعجال للظهور ثم يموت المنتظر حسرة إذا لم يظهر الامام ولم يعرفه. فالخلاص عن طريق النفس وليس عن طريق الامام انقلابا للتشيع من الخارج الى الداخل. ومهما تغيرت الأجسام فان النفوس لا تتبدل، وتظل النفس في رؤيتها ومشاهدتها بعين الحقيقة وهي ألا ترى أحدا في الدارين غير الله. كما ينقد الاخوان من يقول من الشيعة إن الأئمة يسمعون النداء ويحببون الدعاء، وينقدون من يقول باختفاء الامام المنتظر خوفا من المخالفين مع أنه ظاهر بين أيديهم يعرفهم وهم له منكرون كما قال الشعراء<sup>(١)</sup>.

وبالإضافة الى اللغة العربية والشعر العربي تبرز العلوم النقلية أكثر مما تبرز العلوم العقلية النقلية. فلا يحيل الاخوان الى فلاسفة الاسلام السابقين عليهم الكندي، والرازي، خاصة وأن الرسائل تعبر عن صورة الفلسفة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري بعد عصر الترجمة. والفارابي نال لهم. ربما لأنهم يعبرون عن الثقافة الفلسفية الشعبية وليست الثقافة النخبوية التي يمثلها الفلاسفة، تجمع بين الدين والفلسفة، العقل والخرافة، العلم والأسطورة، باستثناء ذكرهم لرياضي واحد هو الكيال الذي شغف بحساب المتسعات. لذلك يقترن الحكماء

= جـ ٤٤٨/٤ جـ ٣٦/٥/٤ جـ ٢٢٠/٨/٤ جـ ٢٢٨/٣/٣ جـ ٢٢٨/٥/١/١٩٩-١٩٧/٥/١ جـ ٢٢٨-٢٢٧ جـ ١٧/٣  
١٤٥ جـ ٣٣٦/٨/٢ جـ ١٨٧/٤/٣ جـ ٢٤٨/٤/٣.

(١) جـ ٢٢٨/٨/٢ جـ ٢٥٩-٢٥٥-٢٥٠ جـ ٢٦٠ جـ ٤٢٤/١١/٢ جـ ٥٠٣/٧/٤ جـ ١٤٤/٦/٤ جـ ٧٦/٥/٤ جـ ٢  
٢٢٠/٨ جـ ٢٢٨/٣/٣ جـ ٥٢٣/١/٤ جـ ٥٢٤-١٤٨/٧/٤.

بالفقهاء، والوفاد بالموروث النقلي. بل أنهم يردون على علماء الزمان الناظرين فى علوم النجوم الشاكين فى أمر الآخرة المتميزين فى أحكام الدين الجاهلين بأسرار النبوات المنكرين للبعث والحساب لاثبات صحة أمور الهيئة من صناعتهم والاحتجاج عليهم بعلومهم لأفهامهم ذلك بلغتهم. فالأخوان يمثلون حركة إيمانية، رد فعل الى الداخل، حنبلية صوفية، شعبية خرافية. ولكنهم يخاطبون الخصوم بلغتهم رد فعل على العصر. يمثلون تيارا فى الفنون الشعبية والموسيقى والألحان فى الأفراح والاعراس والولائم السائدة فى زمانهم<sup>(١)</sup>.

ولكن العلم الموروث بالأصالة هو علم الرواية والأخبار، بدايات علم التاريخ. اذا كانت الأخبار غير متواترة قبل سمع الخبر أو فى الأثر لعدم الجزم بصحة الرواية ونقل الحديث معنويا إذا كان مشكوكا فى صحته التاريخية. يأتى العلم عن طريق الرواية والحكاية مثل الحديث عن التنجيم والمنجمين مع المأمون وأحد المتتبيين الذى قرأ الطالع حيث وقعت الشمس والقمر فى دقيقة واحدة فى الصحن، وخاتم يضحك من يلبسه لعلاج الطلسمات. فالتاريخ المحلى ليس فقط تاريخ الصحابة بل تاريخ السحر، حكاية من المأمون فى صيغة رواية من علم الحديث، وخطورة السحر فى التنبؤ فى حين أن لا يعلم الغيب الا الله. وشرط العلم شيوعه وبرهانه وعموميته والسحر ليس كذلك. وقوانين الطبيعة والجهل ليس علما. وهى نفس أسطورة الخاتم لمقابلة أسطورة أفلاطون. ويستمر الاستشهاد بالتاريخ من الأمويين الى العباسيين الذين خطبوا على المنابر وطالبوا بثأر الحسين وطرده البغاة من بنى مروان حتى ظهور المهدي المنتظر من آل محمد، وأولاد العباس رمز للاضطهاد. ويهاجم الإخوان جماعة جعلت التشريع والعلوية ستارا لهم لارتكاب كل محذور وترك كل مأمور. وهم ينتسبون الى الشيع بأجسادهم لا بأرواحهم، ولا يعرفون من القرآن الا اسمه، ومن الاسلام الا رسمه. لا يدرون الفقه ولا الشريعة، بعيدون عن أدلة الملة والشريعة<sup>(٢)</sup>.

ولا تغيب الثقافة الفارسية، لغة ومصنفات. اذ تحضر بعض المصطلحات الفارسية والمصنفات الفارسية فى الرسائل نظرا لارتباط الشيع بها. وتذكر 'كثيلة ودمنة' وبرزويه الطبيب استشهادا على أن العمل فى الطبيعة لله، وأن الدنيا للآخرة فى إطار للتصور العام للموروث، فكما يزرع الزارع ويحصده، رغب أم لم يرغب كذلك يعمل العامل صالحا رغب فى الجزاء أم لم يرغب<sup>(٣)</sup>.

(١) جـ ٢٠٦/٢/٣ - جـ ١٤٠/٣/١ - جـ ١٨٧/٤/١.

(٢) جـ ١٤٧/٧/٤ - جـ ١٨٩/٢١/٤ - ١٩٠ - جـ ٢٩٠/٨/٢.

(٣) الألفاظ مثل: السنيادج، الدهنج، الزيرجده، الطائيقونى، العرفشيبا، الاسفندرى، الاسفنداج، المرتك، انزنجير، الزرانيج، الشاويج، الفيروزج، اللازورد، النيلوفر، السكجدين، اللوزنج، القولنج، كوخداى جـ ٢/٥ -

وتتحول الأخبار الى تاريخ، ويذكر الاسلام كعنوان عام للتاريخ الاسلامى، دخول الاسلام طوعا أو كرها مع أنه ﴿ لا اكراه فى الدين ﴾. ويتصدر على بن أبى طالب التاريخ الاسلامى باعتباره مصدرا للعلم بإشارة الى الأقلية عددا الأعظم قدرا، الحريصين على العلم، الباحثين عن اليقين. وهم الذين خلوا للأبد من دار الرداء، من الأصلاب الى الأرحام، ومن الأرحام الى الدنيا، ومن الدنيا إلى البرزخ، ومن البرزخ الى الجنة والنار<sup>(١)</sup>. ويبدأ التاريخ من أول النبى ودعوة الرسول آل بيته أولا، زوجه خديجة، ثم ابن عمه على ثم صديقه أبو بكر ثم مالك وأبو ذر وصهيب وبلال وسلمان وحبيب وبشار حتى أصبحوا تسعة وثلاثين رجلا وامرأة. ثم دعا أن يعز الله الاسلام بأحد رجلين أبى جهل أو عمر. فأسلم عمر وأصبحوا أربعين. فأصبحت الدعوة عنفية بداية بتأسيس الحزب الثورى تاريخيا، الجيل القرأى الفريد بلغة المعاصرين. كان أبو جهل قويا مثل عمر لكن فى الشر. والاستجابة لعمر تضع قضية الصلاح والأصلح. والاكتمال الى الأربعين رمز موسى. هاجر الرسول من مكة الى المدينة. وتعرض المشركون من أهل مكة الى المؤمنين المهاجرين الضعفاء بالأذى. واخوان الصفا ما هم الاستمرار لجماعة المضطهدين الأوائل. وفى غزوة بدر طالب المشركون المبارزة فخرج اليهم حمزة عمه وعلى وأبو عبيدة. ويوم أحد اشتد الأمر وهزم الناس. وبقي فى نفر يسير. ولما قتل خيار أنصاره وفضلاء المهاجرين وكسرت رايته طلب منه الدعاء على المشركين فرفض. وخرجت إحدى نساء المدينة للتعرف على زوجها ثم أبيها ثم أخيها. وقد استشهد الكل وفى بقاء الرسول عوض عنهم. فالمهم الشخص الرمز، القائد والبطل. فالزعامة له والقيادة للأقلية. وقد خدع كل من الحكمين صاحبه يوم صفين. ولم يرد كلاهما أصلا بل أضمرأ الحيلة فلم يوفقوا فى الصلح. ورجع على غير راض بذلك. فالخداع فى التاريخ. وقد إثر ذلك فى التربية والرغبة فى الثأر. وقد وصفه الرسول بأنه أبو هذه الأمة. ويحول الاخوان كل ذلك من الجهاد الفعلى الى جهاد النفس لخلاص البدن، وتأكيد الأبوة النفسية للرسول ولعمر وعلى. وكان ذلك كله بفعل المسلمين وليس قضاء وقدر. سلم المسلمون أجسادهم يوم كربلاء راضين. ويفسر الاخوان التاريخ الاسلامى الأول باعتباره تاريخ فتوحات للنفس وخلاص لها من البدن. فقد قتل عثمان بالرغم من رغبة عبيده الدفاع عنه. فقد بشره الرسول بأنه ولى هذه الأمة بعد عمر ووعد بالبلوى وباراقة الدم. ورفض عثمان ذلك ووعد من كف عن القتال بالحرية رفضا للعنف بالرغم من أفعاله التى كانت أحد أسباب الثورة عليه. وأخذ المصحف

١١١-١١٢ — ١١٨/٥/٢ — ١١٢ — ١٦١/٧/٢ — ٣١٦/٨/٢ — ٣٨٥/١٠/٢ — ٣١٦/٨/٢ — ١٤٦/١١/٢ — ٢٥٥/١/١ — ٢٦٢/٧/١ — ١٢٤/٥/٢ — ٤٦٠/١١/٤ — ٣٧٧/٩/١ — ٥٩/٣/٢ (١)

فى حجره وقرأ ﴿ فسيفكيهم الله ﴾. ورضى بقضاء الله وعلمه، واستسلم للمقادير بنفس راضية. وحدث نفس الشيء يوم كربلاء عندما اشتد بالحسين العطش واشترط لاعطاء الماء النزول على حكم ابن زياد فرفض الا حكم الله. وعلم أنه مقتول فقاتل، وقتل راضيا بقضاء الله والمقادير طيب النفس. وحلم رجل بالعراق أنه فى بلاد الروم فى كنيسة مشتعلة بالقناديل دليل على تحرر النفس من الجسد وحث الملاك له بالسريانية ليكون عظة على تحرر الانسان من جسده ومكانه وقيود الشريعة. وواضح أن الاخوان يفسرون التاريخ منذ هابيل وسقراط والسحرة والمسيح وأحد والحسين بالرضا بالقضاء والقدر وليس الاستشهاد الحر والمقاومة. وقد ساعد الرسول أهله على إخراج الأمتداد من نفوسهم. وأبلغ بذلك عليا بغدير قم، وهو أحق الناس بعد غيبة صاحب الشريعة وبعد قتل صديقه ذى النورين والأئمة من بعده بعد الحزن على ما ضاع من بيت النبوة وقتل الحسين بكربلاء والشهداء. وواضح من هذا كله أن فكر الاخوان هو بلورة للفكر الشيعى الذى يعبر عن فكر المضطهدين، وإعادة تفسير هزيمة البدن بأنها نصر للروح، وأن تاريخ الرسول مع معارضيه مثل أبى جهل هو تاريخ للحسد. وقد وقع الخلاف فى الشريعة بعد وفاة الرسول طلبا للرياسة والمنزلة حتى استشهاد الحسين. ويستشهد الاخوان بأقوال رئيس قريش أمام كسرى عن حالهم "البر بالصغير حتى يكبر، وبالعليل حتى يبرأ، وبالغائب حتى يرجع، ورفض الرسول موالاته آلهة الكفار وأقوال الحسين ضد أئمة سوء الذين جلسوا على باب الجنة فلا يعملون حتى يدخلوها ولا تركوا غيرهم يدخلها. يراجع الاخوان التاريخ السياسى منذ وفاة الرسول، ويعتبرون أنفسهم استنفا لأئمة آل البيت والمستبعدين من الحكم والمضطهدين من الحكام كما عبر عن ذلك الشيعة فى العقائد والاخوان فى الفلسفة<sup>(١)</sup>.

وبالإضافة الى التاريخ الاسلامى تظهر البيئة المحلية الجغرافية البشرية والطبيعية مما يدل على نشأتها الداخلية. فيتحدث الاخوان عن قبائل العرب، قريش وتهماة، وعن مقادير أراضى العراق، وضرب المثل للنسبة بالبغداديين والبصريين والخراسانيين ، وللجماعة بالهاشميين والعلويين والرعيين. وتتحول الجغرافيا الى رمز روحى. فبحرطوطوس كرة الأثير لعذاب النفوس، وبهرام فى الطالع من ناحية المشرق وبخراسان وان كان فى وسط السماء فإنه يكون بناحية اليمن نحو القبلة<sup>(٢)</sup>.

وفى "الجامعة" تبدو صورة الموروث تماما كما هو الحال فى الرسائل الواحد والخمسين: اللغة العربية والشعر العربى والعلوم الاسلامية والتاريخ الاسلامى والجغرافيا المحلية. فالمعرفة باللغة العربية من شروط العلم بالإضافة الى العلوم الرياضية والفلسفية

(١) ج٤/٥/٧٤-٨٧/٨٨ ج٦/١٤٤/٢٦١ ج٤/٦/٢٦٨-٢٦٩ ج٣/١٧/١٦٤.

(٢) ج٢/٨/٣٨٥ ج١/٢/٩٧ ج١/٣/٤٠٣ ج٤/١١/٢٩٦/٤٠٤.



وتهدف كثرة النصوص الى توجيهها كحجة سلطة إلى العقول العامة ونزع أسلحتها وملاحقتها حتى تستسلم نهائيا كما تفعل الحركات السلفية القديمة والمعاصرة. فهما من الموروث الأصيل ولا يمكن الاعتراض عليها أو مناقضتها بآيات أخرى والا لكان القرآن متناقضا أو اللجوء الى أسباب النزول التي لا تتحملها المواقف الانفعالية وسرعة التصديق وأهمية التجنيد والعمل المباشر<sup>(١)</sup>.

وتتكرر الآيات أكثر من مرة لأنها شحنة نفسية يتم تفسيرها في أكثر من موضع لتطابقها مع المضمون النفسي للقارىء. وتتوالى الاستشهادات الآية تلو الأخرى كما هو الحال في خاتمة رسالة العدد ويعد الاعلان عن المادة، بناء الرياضيات والطبيعيات والالهيات داخل علم النفس. تتكرر الآية كالتزام في الموسيقى والشعر لاحداث الايقاع النفسى المطلوب، العود على بدأ، والتنويع على اللحن الأول، البداية والنهاية من أجل الايقاع<sup>(٢)</sup>.

وأحيانا لا يكون ذكر الآية مسبوqa بقال تعالى بل على لسان الأنبياء وكأن القرآن حوار بين الأنبياء وجدل مع الخصوم وحجج للاقناع. وتختلف أسماء السور مثل سورة يونس وسورة بنى اسرائيل. فما يهم ليس السورة بل كيفية استخدامها<sup>(٣)</sup>.

ويذكر الاخوان الآيات فى فواتيح الخطاب حتى ولو كانت للحيوان كما يفعل خطيب المسجد وشيخ القرية ابتداء من حجة السلطات وكضربات متلاحقة تجعل الشيخ قابلا للدعوة مهينا للاستماع، طيعا للأوامر، سهلا للتجنيد. وقد لا تكون الآيات مترابطة فيما بينها فى موضوع واحد تعطى استدلالا واحدا بل مجرد ضربات متلاحقة مهمتها تسخين الموقف وتهينة القارىء للاستسلام.

وأحيانا يذكر القرآن بمفرده دون وصفه وأحيانا يوصف بأنه القرآن المبين. وأحيانا يسمى القرآن<sup>(٤)</sup>.

ربما تكثر الافاضة فى بيان الموروث مثل القرآن والحديث كرد فعل على الاستشراق الذى يخرج القرآن باعتباره مصدرا للعلم من مركز الحضارة الاسلامية لأنه ليس كذلك فى وعيه بل القرآن نفسه تاريخ. كما أنه خاضع للنزعة التاريخية فكل شئ يأتي من التاريخ

(١) الجزء الرابع (٤٣٠)، ثانى (٢٨٠)، الأول (٢٠٠)، الثالث (١٥٠).

(٢) ١٧٢/٧/٢ — ١٦٣/٧/٣ — ٢٩٨/٢٩٧/٢٨٠ — ١٠١/٥/٤ — ٢٤٤/٨/٤ — ٥٨/٤/٥ — ٢٠٨/٢/٣ — ٢٤٨/٤/٣.

(٣) ٢٩١/١١/٢.

(٤) ١٩٣/٧/٢ — ٣٥/١١/٤.

لتفريغ الحضارة الاسلامية من مضمونها وإبداعها وجعلها مجرد نقل من مصدر خارجي مثل الحضارة الغربية. فقد نشأت العلوم الأوروبية الحديثة ضد الوحي وليست منه.

وأحيانا يكون القرآن مجرد استمرار يثرى العبارة وليس استشهدا كنوع من القرآن الحر كي تكون العبارة أوقع في النفس، وكأن القرآن هو القادر على التعبير على الواقع المشاهد، استمرارا للنثر العربي. يستعمل القرآن الحر كبديل عن العبارة. فلا توجد عبارة أبلغ وأوقع من الآية القرآنية . القرآن كتاب عربي بلسان عربي مبين. وهنا لا يبدو فرق بين كلام الله وكلام الانسان وكما فعل السهرودي في "الغربة الغربية" حتى ولو تحول الى سحج ركيك على نقيض موسيقى القرآن. وأحيانا يختلط القرآن المباشر بالقرآن المرسل لاحداث الأثر اللغوي النفسى المطلوب. ويكثر هذا الأسلوب في الرسالة الثانية عن الحيوان في الطبيعيات<sup>(١)</sup>. وقد تعلم الناس القرآن بلسان فصيح بعد أن تلاه النبي لان العربية أفصح اللغات.

وتتحول بعض الألفاظ القرآنية الى صور فنية للايحاء بالبيئة الاسلامية. وتظهر المصطلحات القرآنية مثل البعث والنشور والقيامة والحساب والمعراج. كما تدخل الآيات كعناصر فنية في بناء القصة. وتستعمل أسماء الجن لمزيد من التصوير حتى ولو كان الموضوع خرافيا مثل حسن طاعة الجن وتشم الروح والريحان<sup>(٢)</sup>.

وتجمع الآيات كلها حول موضوع واحد مما يؤشر على بدايات التفسير الموضوعي للقرآن من أجل معرفة بنية الموضوع والانتقال من النص الى العالم ومن الوحي الى المجتمع مثل صفات المؤمن وأهل الخير وأمة الآخرة وثواب الأخيار وصفات الكفار وأنفس الأسرار والأمثال<sup>(٣)</sup>.

ويستعمل لفظ "القرآن" أكثر من مائة مرة إما بمفرده أو مقرونا بالتوراة والانجيل بلا ترتيب النزول مما يدل على وحدة الأديان في بنيتها وليس فقط في تاريخها. وقد يذكر القرآن وحده أو مع الانجيل او مع التوراة. وقد يخصص بعض كتب التوراة مثل ألحان داود

(١) ١٥٥ - ١٥٥/٨/٢ - ١٣/٣/١ - ١٥٨/٤/٢ - ٣٢٨/٢٥١/٨/٢ - ٧٨/٢/١ - ١٨١/٥/٢ - ١ - ٢٩٥/٨ - ٣٨٨/٣٨٦/٩/١ - ٨٤/٤/٢ - ٣٨٥/٩/١ - ٣٥٠/٩/٢ - ٣٨٤/١/١ - ٢٣٢/٨/٢ - ٣٠٩ - ١٨/٣/٤ - ٢٣٩/٥/١ - ٣٧٤/١/١ - ٣٧٤/٩/١ - ٨٥/٤/٢ - ١٧٩/٨/٢ - ٧٢/٤/٢ - ٢٥٢/٨/٢ - ٢٩/٥/٢ - ١٥٢/٧/٢ - ٢٣١/٢٢٩/٢٢٨/٨/٢ - ١٤٢/٦/٢ - ٤٣/٢/٢ - ٢٤٢ - ١٠/٢/٤ - ٢٤٩/٦/٢ - ٣٠٦/٧/٢ - ٣٩٢/٩/٣ - ٢١٠/٨/٢ - ١٢٥/١٧/٣ - ٣١١/٣/١٩ - ٣٦٢/٩/٣ - ١٨/٣/٤ - ٤٢/٤/٤ - ١٦٧/١٧/٣ - ٣٧٣/٩/٣.

(٢) ٣٠/١٤/٣ - ٣٧٤/٣٠٨/٢٠٧/٨/٢

(٣) ١٠٩/١١٥/٥/٤ - ٣٦٠/١٠١/٥/١

أولزبور. ومع ذلك فالقرآن مهيم على باقى الكتب لأن الاسلام آخر الأديان والشريعة الاسلامية آخر الشرائع. وتثبت الكتب المنزلة كلها حقائق واحدة مثل أن الطبيعة مخلوقة للإنسان، ووصف الطبيعة والفلك والجنة والنار وحسن طاعة الجن لرؤسائها والاستعاذة بهم بقراءة آيات منها حتى لا يتعرضون للناس بالأذى، ومقاييس الخير والشر، وقراءتها فى المساجد والمعابد والصوامع وبيت الله. وقد كان لداود ملحنين وقراء. كما تعبر قراءات متعددة للقرآن وتلاوته. ويستعمل لفظ الانزال للقرآن وحده الذى أنزل على صاحب الشريعة<sup>(١)</sup>.

والقرآن حركة طبيعية يستأنف عندما ينقضى الدور دلالة على تطور الوحي وإعلانه على مراحل فى التاريخ<sup>(٢)</sup>.

وأحيانا يكون القرآن مصدرا للأخبار، أخبار الأنبياء مثل حوار موسى مع السحرة والخضر. وهو أيضا مصدر للعلم عن الطبيعة والتاريخ فالزمهرير ريح عاد<sup>(٣)</sup>. ويكون مصدرا للعلم ببعض الموضوعات الدينية والكلامية مثل معجزات الأنبياء ووجود الروحانيين مثل الجن والشياطين وخلق القرآن والسحر، والحث على طلب العلم.

وأحيانا يكون النص استشهادا على موضوع وتأكيذا له نظرا للتطابق بين الوحي والواقع مثل الاستشهاد بآيات الفلك على سبح الأفلاك ومنازل القمر. يتم الحديث عن شىء ثم يذكر فى القرآن تحقيقا للمناطق على نحو عكسى، من الواقع الى النص وليس من النص الى الواقع مثل الروح والريحان، والتزهيد فى الدنيا وذم الجدل، والاجتماع على خير، وتأليف القلوب، وتصفية الضمائر<sup>(٤)</sup>.

لذلك تتحول آيات القرآن الى وصف الطبيعة سواء كانت البداية من النص الى الواقع استنباطا أو من الواقع الى النص استقراء. وقد ذكر المفسرون معانى الآيات، إنزال القرآن مثل إنزال المطر من أجل التوحيد بين الطبيعة والشعور، اللغة والكون، العالم الأصغر والعالم الأكبر. يؤدى تفسير القرآن الى العلم بأسرار الكون كما يؤدى تفسير الكون الى العلم بأسرار

(١) —————  
 ١١-١٠/٢/٤ — ١٧٨/٧/٤ — ٢١٨/٣/٣ — ١٣٠/١٧/٣ — ٣٠٧/٣٦١/٣٠٧/٢٠٧-٢٠٦/٨/٢  
 جـ ٤٩٥٠/١/٤ — ٩٣/١٧/٣ — ٥١٤/١/٤ — ١١-١٠/٢/٤ — ٢٩٠/٢٨٥/٨/٢ — ١١٧/١٧/٣ — ١٦٥-١٦٤/١٧  
 جـ ٤٨٨/٧/٤ — ٢٤٢/٨/٤.

(٢) —————  
 ٢٢٨/٢٠٧/٨/٢.

(٣) —————  
 ٥٠٩/١/٤ — ٣٢٤/٨/٣ — ٤٨٨/١/٤ — ٣٣٠/١١/٤ — ٢٤٥/٨/٤ — ٥١٧/١/٤ — ١١/٤  
 ٢٩١-٢٩٠ — ٣١٥/١١/٤ — ١٤٨/٧/٤.

(٤) —————  
 ٢٥٣/٨٠/٢ — ١٠٠/٨١/٧٨/٥/٤ — ١٢٦/٦/٤ — ١٩٤/٧/٤ — ٣١٤٤/٢٩٨/٧/٣ — ٢/١/٣  
 ٥٣ — ٢٩٩٩/٧/٣ — ٣٠٠ — ٣٤٤/٩/٣ — ٧٧/٥/٤.

القرآن. القرآن ليس حرفا بل طبيعة، وليس شكلا بل مضمونا. اللغة فيه تحيل الى العالم وكما يدل على ذلك المعنى المزدوج للفظ "آية". الألوان فى الطبيعة رمز على تعدد البشر واختلاف الألسنة والألوان<sup>(١)</sup>.

وأحيانا لا تطابق الآية المعنى بل توجد آيات أخرى أكثر تطابقا. فليس المطلوب معنى الآية بل الاستشهاد بها لتطابق الحالة النفسية والاجتماعية للقارىء.

ويبدو استعمال النص أحيانا على نحو شرعى فهى يشرح للناس. مع إطلاق الأحكام دون تقيدها، إثباتا للعموم لا للخصوص، وتحويل الآيات الى أحكام عقلية وفى نفس الوقت استحالة الاختلاف بين الطبيعتين، الدليل والحكم، اللغة والقضية. والأغلب أن القرآن حوى كل شىء ولا حاجة الى القياس الكاذب. فالموروث هنا ضد الوافد الأرسطى وضد الموروث التسلطى، قياس الفقهاء.

والقرآن ليس مجرد أداة للعلم ومصدر للخبر بل له بعد باطنى لا يدرك إلا بالتأويل. به سور طوال وأخرى قصار دلالة على سر الرجال وسر النساء والحروف المستعملة فى أوائل القرآن سر لا يعلمه الا الله. ويدافع الاخوان عن التأويل دفاعا عن التنزيه ضد التجسيم والتشبيه. فالحكمة هو التأويل. وقد اختلف العلماء فى تفسير هذه الحروف بين القسم أو أن لكل حر كلمة فى حساب الجمل أو أنها سر لا يعلمه الا الله والراسخون فى العلم والخواص من البشر وقد تظل أسرارها الى يوم الدين<sup>(٢)</sup>.

وتظهر آيات الايمان أكثر من آيات العقل، والنبوة أكثر من الحكمة، والغيب أكثر من الشهادة، واليقين أكثر من الشك. وتكثر الآيات فى البعث والقيامة. فهى أسرع اقناعا وأوقع نفسيا من الحجج القولية على عكس الكندى والفارابى اللذان استطاعا صياغة خطاب عقلى لا نقلى قبل أن يركب ابن سينا كل ذلك عقلا. فلكل موضوع حجة نقلية لدرجة غياب الحجج العقلية حتى لا يتبرك شىء للمعارضة العقلية أو الفهم الذى يؤدى الى فهم مضاد مع أن الحجج النقلية يمكن مناقضتها بحجة نقلية أخرى. ويتم تبادل الحجج العقلية والنقلية بين الانسان والحيوان فيعترض الحيوان على الانسان بالعقل ويعترض الانسان على الحيوان بالنقل، سخريه من الانسان. النقل للاتهام، والعقل للدفاع، النقل للاستعباد والنقل للتححرر، النقل للظاهر، والعقل للمؤول.

(١) فى المريخ راية حمراء، والزهرة متعددة الألوان وفيها تصاوير ونفوس، وفى القمر راية بيضاء. وهو ما استمر فى إعلام الشعوب وشاراتها، أنظر دراستنا: الأخضر والأصفر فى القرآن الكريم، هموم الفكر والوطن ج١، التراث والعصر والحداثة ص ٥٧-٦٨.

(٢) ج١/١١/٣٠٥ - ج٢/٢/٢٠٨ - ج٣/٩/٣٧٨/٣٧٩ - ج٣/٩/٣٧٨ - ج٣/٣٧٩/٣٨٣ - ج٤/٦/١٤٢.

لذلك تستعمل آيات القرآن تملقا لعواطف الناس، واستدعاء للسلطة النصية تحريرا للنص من السلطة السياسية بعد زعزعة الولاء بها. وتستعمل كوسيلة لترقيق القلوب نظرا لأثر القرآن في النفس كما هو واضح في رسالة "الموسيقى" من أجل تخليص النفس من الظلمات بالإضافة الى التأويل الإشراقى. فأسباب النزول عند الاخوان هو البناء النفسى للشعور. لم يجد الاخوان في القرآن إلا التآويل صعودا لا التتزيل هبوطا. وكلها مواقف حسب الأهواء وكأنها أسباب نزول جديدة، وكأن الآيات أنزلت على مطابقة للأحوال النفسية للاخوان. وقد ساعدت الآيات نفسها على هذا التفسير الشعورى لحديثها عن الأفتدة والقلوب ﴿فاجعل أفتدة الناس تهوى اليهم﴾، وبالرغم من نهى النفس عن الهوى إلا أن اللفظ له موسيقاه.

وعيب ذلك كله هو كسر الاتساق العلقى، وانقطاع البرهان، واختيار الآيات التى توافق الأهواء ونزعها من سياقها وأسباب نزولها وهو ما يمكن معارضته بآيات أقرب فى سياق آخر.

لذلك أكثر الله فى القرآن مدح المؤمنين وذم الكافرين وبيان الوعد والوعيد والفلك وذم المريرين للدنيا ومدح المريرين للأخرة وبيان أوصاف أهل الجنة الروحية لا الجسمية وسكان الجنان وهى ثمانية وكذلك أوصاف أهل النار وتكثر الآيات لبيان أن الديانات والشرائع ووظائف العبادات طرق ومسالك الى الله كما أن القرآن نفسه وسيلة للتقرب الى الله مثل الصلاة والصوم والتسبيح والدعاء. والقرآن أخلاق الاخوان كما كان الرسول يتأول القرآن بتهجده ليلا. والاقرار به من علامات الايمان وبما أتى من الغيب. وهناك احساس بالنصر، تعويضا عن الهزيمة كما هو الحال فى جماعات الخلاص فى تاريخ الأديان حتى الجماعات الاسلامية المعاصرة<sup>(١)</sup>.

ويتم تأويل الآيات تأويلا فلسفيا طبقا لهرمس المثلث بالحكمة وهو إدريس النبى، إيهاما للعامه بالحقائق كنوع من الثقافة الشعبية الوجدانية لا العلمية ولا العقلية. وأحيانا يتم تقطيع الآية عبارة ببل ولفظا لفظا حتى يسهل تأويلها جزءا جزءا قبل التأويل الكلى. فلكل شىء ظاهر وباطن<sup>(٢)</sup>.

ومعظم الآيات المنتقاه آيات فردية نفسية أكثر منها آيات اجتماعية سياسية. متجهة الى أعلى خارج العالم أكثر منها متجهة الى أسفل داخل العالم، تأويل أكثر منها تتزيل، وتجمع آيات النفس كلها بالمئات. هو تأويل إشراقى خارج اسباب النزول وكأن الآيات نزلت على

(١) جـ ٢٠٠/٦٤/٦١/٢٦/٣ جـ ٥٢٨/٤٢٥/١/٤ جـ ٥٦/٤/٤ جـ ٥٦/٤/٤ جـ ١٢٣/٦٧/٦١/٥/٤ جـ ١٢٣/٦٧/٦١/٥/٤

٦٠/٥٦ جـ ١٧٦/٧/٤

(٢) جـ ٢٣٥/٨/٤

نفس القارئ مباشرة. لذلك يختار الاخوان كل أفاظ الصعود دون النزول. والإشراق من الشمس، والقمر من الشمس، والقمر من النفس الكلية، والنفس الكلية من العقل الكلى، والعقل الكلى فيض من البارى<sup>(١)</sup>.

والتأويل فى النفس وفى الواقع، فى الداخل وفى الخارج، اذ لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور. العلم هو العلم بتأويل الأحاديث وتصديق الرؤية. فالعلم واقع<sup>(٢)</sup>.

والغاية من هذا التأويل الباطن الانسلاخ من الدنيا والانعراج نحو الآخرة، والقضاء على الاعتراب فى الدنيا من أجل التوحد مع الآخرة. وفسرت الآيات كلها تفسيراً روحياً بعيداً عن الحسن وكره فعل على حياة البذخ والترف والانكباب على الدنيا. يتضح ذلك فى الرسالة التاسعة، أطول رسائل الجزء الأول. ظاهرها العلم وباطنها التصوف مثل نهايات "الإشارات والتبهيئات" لابن سينا. لذلك تكثر آيات العروج، عروج أرواح النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين المحقّقين المستبصرين، كل فى فلك يسبحون<sup>(٣)</sup>.

ويقوم هذا الخلاص على ثنائية الخير والشر، الثواب والعقاب، الوعد والوعيد، الجنة والنار، الروح والبدن كما هو الحال فى ثنائيات الصوفية التى تعرب عن رغبة جماعات الاضطهاد فى الخلاص. وتأخذ الثنائيات أشكالاً اجتماعية مثل الغنى والفقر، القوة والضعف، النبيل والحقارة، القرب والبعد، الجود والبخل، الحياء والصلف، المهابة والصنعة، السلامة والسقم التى تكشف عن الصراع بين قوتى العدل والظلم، المضطهدين ضد المضطهدين، الجماعة السرية ضد النظام القائم. مما أنتج أخلاق العزاء والأمل فى عالم أفضل، والعودة إلى النفس لانقاذها بعد أن استعصى خلاص العالم. لذلك تم تفسير الآيات على نحو إشراقى عن العلم فى النفس، والحرمان والطرود ومقاومة العدو والجزاء والعقاب. فتحوّلت العقائد إلى مأساة فى الخلق والبحث. والآيات القرآنية نفسها تسمح بهذا التفسير الإشراقى كما تسمح بغيره من التفسيرات العقلية والاجتماعية والسياسية. فكل عصر يقرأ نفسه فيه. يكشف التفسير عن صورة العصر أكثر مما يكشف عن مضمون القرآن. القرآن مجرد مرآة عاكسة للعصر من خلال صورته فى التفسير، تفسير الظاهر أو المقهور، الغنى أو الفقير، القوى أو الضعيف، السلطة أم المعارضة، الدولة أم الشعب.

جـ - آيات النسق. ويصعب التمييز بين آيات المنطق والطبيعات والالهيات. فكلها آيات إشراقية، منطق إشراقى، وطبيعات إشراقية، وإلهيات إشراقية. تصب الحكمة كلها فى

(١) جـ ١٤٨/٧/٤ - جـ ٨/٢/٤ - جـ ٧/٢/٤.

(٢) جـ ٤٩٧/١/٤ - جـ ٣٢/٣/٤ - جـ ٥٨/٤/٤ - جـ ٨٩/٥/٤.

(٣) جـ ٣٤٤-٣٤٢/٨/٤ - جـ ٣٧/٢٢/١ - جـ ١٣٨/٣/١ - جـ ٢٤١-٢٤٠/٥/١ - جـ ٢٩٠/٨/١ - جـ ٣٤٦/٩/١.

إشراق النفس. المنطق ليس أداة للعلم لأن العلم إشراقي وأداته إشراقية. يأتي من الاسراء والمعراج كما فعل محمد ومن الكلام من الله كما فعل موسى، ﴿ويرفع الله الذين أتوا العلم درجات﴾. المنطق علم إشراقي، علم نظري خالص، نور يهدي الانسان، علم لدني من السماء. شرطه الزهد ومقاومة متاع الدنيا والتحذير من غرورها واللهو والزينة واللعب والنساء والبنين والذهب والفضة، هذا الهشيم الذي تذوره الرياح. الله نور السموات والارض، نوره كمشكاة فيها مصباح في زجاجة، كوكب دري يضيء. الاشراق في النفس طبيعي لأن الله نور الطبيعة على عكس النفس المظلمة التي تعيش في الظلمات. وقد كانت النفس من قبل هبوطها الى البدن في اشراقها ثم هبطت الى العالم وأصبحت في جسد، فسادتها الأهواء والعداوات. وهنا تتال النفوس المضيئة نعيمها، والنفوس المظلمة عذابها بلا عمل صالح الا مجاهدة النفس مكافأة على الاشراق<sup>(١)</sup>.

العلم اذن هو العلم الرباني، شرح الله الصدر للاسلام، النور في المشكاة في المصباح على عكس الكافر الذي يسعى في الظلمات. والايان يورث العلم. الايمان أولا والعلم ثانيا. الاقرار بالتصديق فالعلم. والعمل هو طريق الأنبياء والحكماء. الاقرار ثم الايمان ثم المعرفة، الاسلام ثم التصديق ثم العقل. فالناس ثلاث طبقات: علم وايمان، ايمان بلا علم، علم بلا ايمان. فالعلماء على درجات طبقا لعلومهم. أعلاها علم الايمان، والكتاب فضل من الله. وهو ثلاث درجات: ظلم النفس والاقتضاء ثم السبق بالخيرات وهو علم متاع في الدنيا الى يوم البعث. وهو العلم بالغيب مع أهل الاعتبار<sup>(٢)</sup>.

والعلم في النفس. ويتم عند البلوغ ونيل الحكمة. والعلم أول ما نزل من القرآن ولقد خلقت السمع والأبصار والأفئدة والقلوب والأذان لمعرفة الظاهر والباطن. وقد خلق الانسان ولا يعلم شيئا من أجل تبرير الوحي والرسالة. ثم تبدأ المعرفة من الحواس ولكن فيها علم آخر مودع فيها لم يأت من الحواس. هو علم التوحيد والربوبية يكشف الله عنه لعباده عندما يأتيهم اليقين. وهو علم تأويل الأحاديث الذي أعطاه الله ليوסף. وهو أيضا علم التنزيه لأنه بعد الوصول لا يمكن رؤية الله بالرغم من تشوق العلماء لرؤيته<sup>(٣)</sup>. ويتطور العلم مع تطور

(١) ٣٦١/٣٥٠-٣٤٩/٩/١ → ١٥/٣/١ → ٣٢٢-٣٢١/٣.٢/٩/١ → ٣٢٢-٣٢١/١.٠/١ → ٤٠٣/٤٠٠-٣٩٩/١.٠/١ → ٢٢ → ٢٥٢/٩/٤.

(٢) ٤٩٧/١/٤ → ٣٢/٣/٤ → ٥٨/٤/٤ → ٨١/٥/٤ → ٥٣٢-٥٣١/١/٤ → ٨٩/٥/٤ → ٥٣٨/١/٤ → ٦٦/٦٨-٦٥/٥/٤ → ٦٢/٥/٤ → ٦٢/٥/٤ → ٦٣-٦٣/٥/٤.

(٣) ٤٥٤/١١/٢ → ٤٧٢/١٢/٢ → ٢٤٥/٤/٣ → ١٠٦/١٧/٣ → ٣/١٣/٣ → ٣/١٤/٣ → ١/٦/٣ → ٥٨ → ٧/٢/٤ → ٤١/١٥/٣ → ٤٤/٥/٣ → ٤٧-٤٦/١٥/٣ → ٢٣٣/٤/٣ → ٤٠٣/١/٤ → ٤٢٣/٤١٤/٤ → ٤٨٩-٤٨٨ → ١٩٦/٧/٤.

النفس. لا يعلم الطفل شيئا حتى يتم اكتشاف العلم ثم يصل الى مرتبة العلم والحكمة، وعندما تكون على البصر عشاوة ويسود الهوى لا يحدث العلم<sup>(١)</sup>.

وقد يحدث العلم عن طريق الاستدلال كما فعل إبراهيم وهو طريق النظر والاختصاص. أما الجدل في الدين والخصومة في الحق فليس طريقا الى المعرفة. الخلافيات جزء من علم الأصول. وتضاد الاشراق<sup>(٢)</sup>. وتتفاوت العقول في المعرفة بالدليل الحسى والعقلى والنقلى طبقا لدرجات الادراك والفهم والتأويل.

وكما أن التتوين واللغة والمنطق تعليم من الله كذلك السماع الطبيعى أيضا تعليم من الله. اذ تتجلى الحكمة الالهية فى الطبيعة، الليل والنهار، الشمس والقمر. فقد تم الخلق بالحق، والحكمة شهد بها أولوا العلم والملائكة. والتوجه نحو الطبيعة فى القرآن هو أساس العلم الطبيعى وليس أرسطو. ولا فرق بين أن يكون القرآن مصدرا للطبيعة وبين أن تكون الطبيعة مصدرا للقرآن نظرا لأن التنزيل والتأويل شيء واحد. والعالم محدث مبدع مخترع كائن بعد أن لم يكن بأمركن، والأفلاك والجبال والطيور وكل ما فى الخلق بتقديره. فالطبيعة دليل الى الله. وتم خلق كل شيء بمقدار على قدر موزون. ولما كان الله هو المثل الأعلى فقد خلق كل شيء على نحو كامل<sup>(٣)</sup>.

ويتم الاستشهاد بآيات الكون والفلك والطبيعة تدعيما للطبيعات. كل فلك يسبح، والقمر له منازل. وفى القرآن دعوة للتأمل فى الكون، اذ لا يستوى العلم والجهل. وتذكر آيات الأفلاك فى فصل تركيب الأفلاك وأطباق السموات فى الرسالة الأولى عن الصورة والهوىلى (السماع الطبيعى) ولتأييد "الأثار العلوية"، وتبين الخطأ الشائع أن المطر نزل من بحر من السماء وأن البرد يقع من الجبال. ويتم تصحيح سوء تأويل القرآن ووضع التأويل الصحيح. فالغرض ليس وافدا من أرسطو فى "الأثار العلوية" بل قصد محلى صرف، هو تصحيح الأخطاء الشائعة والتأويلات الخاطئة اعتمادا على اللغة العربية والمعانى الاشتقاقية. فالسماء فى لغة العرب ما يعلو الرأس، والمطر ما نزل من السحاب ويعنى أيضا السماء لارتفاعها. كما يظن الناس خطأ أن الشهب كواكب تسقط من السماء على الأرض، ويسويون تأويل

(١) جـ ٥٠-٤٩/١٥/٣ جـ ٢٩٣/١٤٦/٧/٤ جـ ٣٤٥-٣٤٤/٣٤٧/٩/٣ جـ ٥٣١/٤٥٧/١/٤ جـ ٥٧/٤/٤ جـ

٥٣١/١/٤ جـ ٩-٧/٢/٤ جـ ١٧٤/٧/٤ جـ ٢٠٧/٨/٤ جـ ٢٣١/١١/٤.

(٢) جـ ٤٤٠/١/٤ جـ ٥١/٢/٤ جـ ٩/٢/٤ جـ ٥٢/٤/٤.

(٣) جـ ٨٦-٨٤/٤/٢ جـ ٨٧/٢/٣ جـ ٨٨/٥/٢ جـ ٩٠/٨٨/٥/٢ جـ ٩٣/٩٠/٨٨/٥/٢ جـ ١٢٨/١٠٢/٩٦/٩٣/٩٠/٨٨/٥/٢ جـ ٢١٧/٣/٣ جـ ٢٠٣/٨/٢ جـ

٤٥٢/١١-٤٥٣ جـ ٢٠٦/٨/٤ جـ ٢١٨/٢١٠/٨/٤.

القرآن. ويستعمل الاخوان اللغة الشائعة للبرهنة على سوء التأويل فالشهب تحدث في السماء  
باشراق الكواكب. فالاشراق ليس فقط نفسيا بل طبيعيا<sup>(١)</sup>.

والطبيعة موضوع للتفكير، والطير له لغته التي فهمها سليمان، عرف منه ما يريد عن  
سبأ وملكها وسجود قومها لغير الله. وكل الحيوان والطير أمم مثل البشر. ومنها يتعلم الانسان  
التحصين والدفاع عن النفس، واللغة قد تكون منطق الطير ومنطق التدوين ومنطق الكشف  
كما هو الحال في الاسراء والمعراج وكلام موسى مع الله، ولغة الطبيعة في الخلق والبحث،  
ولغة الاقتناع في النشأة والعودة، ولغة التجربة والمشاهدة كما فعل ابراهيم مع قومه وتحطيمه  
الأصنام، ولغة الطبيعة في المعجزات، ولغة الحروف في أوائل السور، ولغة تسبيح  
الموجودات من الحكماء والراسخين في العلم<sup>(٢)</sup>.

وللطبيعة نظام بدیع وثابت، تكوير الشمس وانثار النجوم، خلقها الله بفعل كن فيكون.  
وقد تم خلق السموات والأرض تدريجيا في ستة أيام فالخلق في الزمان ولكن يوم الله بألف  
سنة من أيام البشر، والله مسير لقوانين الطبيعة. ينزل من السماء الماء فتسيل الأودية بقرن.  
ويحول الاخوان أفعال الطبيعة الى أفعال القلوب، والعالم الأكبر الى العالم الأصغر. والطبيعة  
في علاقة مع الله. فقد أمر الله أن يتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر، وخرج شراب مختلف  
ألوانه فيه شفاء للناس. والطبيعة مسخرة للانسان بأمر الله، الأنعام فيها دفيء ومنافع، طعام  
وجمال، حمل وانتقال. وأحيانا تخل الخرافة من السماء في وصف الأرض نظرا لصياح  
الأرض واستجداء السماء<sup>(٣)</sup>.

ويتم تخصيص خلق الانسان. فقد خلق من تراب ومن طين ومن ماء وافق. ثم تطور  
الخلق من نطفة في فرار مكين الى علقة فمضغة فعظام فلحم حتى أصبح خلقا آخر مثل  
التدرج في الحياة من الطفولة الى الكهولة الى الموت ثم الى الحياة من جديد. ولقد خلق  
الانسان من ضعف وشيب. والنشأة والعودة الجسمية مثل النشأة والعودة الروحانية، الاستتار  
والخروج، دورة المياه في الكون مثل دوران الحكم في التاريخ مثل دورة احوال البشر. ثم

(١) ١٣٣/١١/٣/١ - ١٦٨-١٦٧/١٥٩/٤/١ - ٢٦١-٢٦٠/٧/١ - ٣٤٨/٩/١ - ٢٧/٢/٢ - ٦٢/٤/٢ - ٨٢/٦٣

(٢) ١٨٩/٨/١ - ٢٤٩/٨/٢ - ٢٥٠-٣١٩/٣١٠/٢١٧ - ٦٤/١٦/٣ - ٢٧٠/٨/٢ - ٢٤٣/٨/٢ - ٣٥٤  
٢٦٤/٩/٤.

(٣) ٢٣٨/٢٣١/٨/٤ - ٤٢٨/١١/٤ - ٣٤٣/٨/٢ - ٣٤٩/٢٠٧/٣٤٤ - ٢٢/٣/٣ - ٢٥٧-٢٥٦/٥/٣

٢٠٠/٨/٤ - ٣٥٢/٩/٣ - ٢٢٤/٨/٤ - ٤١١/٤٤٥/١١/٤ - ٣٢٨-٣٢٧/٣٠٢/٨/٢ - ٨/٢

٣٢٨-٣٢٧ - ١٠٠/١٧/٣ - ٧٧/٥/٤ - ٢٦٤/٩/٤ - ٢٠٦/٨/٢ - ٢١٧/٨/٢ - ٢٢٠/٨/٤

٢٢١ - ٢٧٠/٩/٤ - ٢٧٤/١٠/٤ - ٢١٩/٨/٤ - ٣٥٤/٩/٣

أنشأ خلق آخر لافادة الانقطاع أى قدم نظام عدل مختلف نوعيا عن نظم الحكم السابقة. وتستعمل الآيات لتصوير الخلق، من كل زوجين اثنين مما تثبت الأرض ومن النفس وكأنها العناصر الأربعة فى الطبيعة. وهذا من فضل الله نظرا للعشق وشوق كل منهما الى الآخر<sup>(١)</sup>. وقد خلق الانسان فى أحسن تقويم، مرتبة الانسانية. ثم يرتقى ويبلغ أشده ويستوى ويؤتى الحكم والعلم، ويحيا بعد موت بالعلم وهو النور الذى يهدى فى الظلمات، وبالايمان الذى يرفع الدرجات. فالانسان خلق أقدارا فى قمتها الدعوة الى الله والسلوك فى سبيله دون أن يشاقق الرسول. خلق الانسان فى أحسن صورة. وهى ليست صورة جسمية بل صورة روحية. فاذا حسن الجسد وفسدت الروح قبحت الصورة وتحول الانسان من أعلى عليين الى أسفل سافلين. والانسان خليفة الله فى الأرض، يحقق كلمته ثم يعود اليه. وأول خليفة هو آدم<sup>(٢)</sup>.

ويتم التركيز على خلق النفس والنشأة الأولى ثم النشأة الثانية من الخلق الى المعاد. لقد خلق البشر من نفس واحدة، أصل واحد للبشر، وتتفاوت مراتب النفوس مثل مراتب الملائكة. وأعدادها لا يعلمها الا الله. وقد شهدت مع الملائكة وأولوا العلم فى أول الخلق على الوحدانية فى عهد النور الأول كما هو الحال عند الصوفية، الشهادة على الأنفس وعلى وحدانية الله كما شهد موسى على الخلق وشهد الجنة والانس على العباد، وذلك فى رسالة "المعادن" انتقالا من العلم الى الدين ثم تم العودة الى الأصل الأول بعد التشتت والضياع فى الخلق. تشتاق النفوس الى الصعود الى أبواب السماء. والبعث نشأة ثانية أسهل من الخلق الأول<sup>(٣)</sup>.

ويتم الانتقال من الطبيعيات الى الالهيات وكأنهما علم واحد مرة مفعولا ومرة فاعلا. تستعمل الآيات لاثبات علم الله الشامل وقدرته المطلقة. هو الرامى لكل الرامين، والفاعل لكل الفاعلين، والخالق، والزارع، والحارث وكأنها حرية مطلقة. وأحيانا يكون الفعل الانسانى مجرد مناسبة للفعل الالهى. فما من دابة أو طير إلا وعلى الله رزقه. وهو المعاقب الذى أرسل الطير الأباييل بأصحاب الفيل. لذلك كفر قارون عندما ادعى العلم. فلا يعلم جنود الله

(١) جـ ٥١٧/١/٤ جـ ٢٠٦/١٧/٣ جـ ٢٢٣/٣/٣ جـ ٢٧٥/١٠/٤ جـ ٢٧٥/٧/٣ جـ ٢٩٩/٧/٣ جـ ٣٠٠ جـ ٣٧٥/٩/٣ جـ ٥٠٦-٥٠٥/١

(٢) جـ ٢٣٢/٥/١ جـ ١٨٦/١٧٩/١/٣ جـ ٣٢١/٩/١ جـ ٣٧٢/٩/١ جـ ١٣٠/١٢٨/٥ جـ ٢١٠/٣٣٨/٨/٢ جـ ٢١٢ جـ ١٩٦/١/٣ جـ ٤٧/١٥/٣ جـ ١٤١/٧/٣

(٣) جـ ٢١٣/٣/٣ جـ ٢٩٧-٢٩٦/٩/١ جـ ٢٩٧/١٧/٣ جـ ٣٤١/٣١١/٣ جـ ١٤٨/٦/٢ جـ ٣١٤/٨/٢ جـ ١٩٦/١/٣ جـ ٤٠/١٥ جـ ٧٣/٤/٢ جـ ١٢/١٣/٣ جـ ٨٣/٤/٢ جـ ١١١/٥/٢ جـ ١٢٥/٥/٢ جـ ٣٩٥/٩/٢ جـ ١٩٦/١/٣ جـ ٣٤٣/٨/٢ جـ ٤٢-٤١/١٥/٣ جـ ٢٣٦/٤/٣ جـ ٢٩٠-٢٨٩/٧/٣ جـ ٣٧١/٣٥١/٩/٣ جـ ٢٤٢/٨/٤

الا هو لأن علمه محيط بكل شيء<sup>(١)</sup>. ويتم التعبير عن الله بالصورة الفنية. فالله نور السموات والارض، نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية. يسكن السموات والارض، وكلاهما مطويات بيمينه. يهدى من يشاء. وينزل من السماء الماء فتنزّل الأودية بقدرها. وهو في كل مكان، واحد، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار<sup>(٢)</sup>. ويشهد بذلك الله والملائكة وأولوا العلم. هو الأول والآخر، الظاهر والباطن، حاضر في كل مكان. كل يوم هو في شأن. يسجد الملائكة وهم في أعلى القامات في العلوم لقربهم من الله<sup>(٣)</sup>.

وكما أن الله هو الخالق فإنه هو الرب المعنى بالعالم، يهدى، ويطعم، ويسقى، ويشفى، ويميت، ويحيى، ويغفر. وهو الذى يرسل المطر والريح والضياء<sup>(٤)</sup>. هو الذى يجيب المضطر اذا دعاه، بيده كل شيء، ما يصيب الانسان من خير أو شر، من ثواب أو عقاب فى الدنيا أو فى الآخرة.

وَيَدْخُلُ مَوْضُوعَ الرِّسَالَةِ وَالنَّبِيَّةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَعَادِ ضَمَّنَ الْإِلَهِيَّاتِ. فَالرِّسَالَةُ دَعْوَةٌ إِلَى اللَّهِ، وَتَنْبِيهُ عَلَى الْآخِرَةِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ طَبَقًا لِلْعَمَلِ، مِثْلَ دَعْوَةِ الْأُمَّةِ. الْقُرْآنُ تَذَكُّرُهُ، وَمَوْعِظَةٌ حَسَنَةٌ، وَجِدَالٌ بِالنَّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ، وَقَوْلٌ سَدِيدٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَمَعْيَارٌ لِلِاخْتِلَافِ. وَهِيَ دَعْوَةٌ إِلَى السَّلَامِ. وَهِيَ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ وَالسَّبِيلُ إِلَى اللَّهِ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَالرِّسَالَةُ طَرِيقُ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ اللَّهِ وَالْبَشَرِ وَحَيَاةٌ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ إِسْرَافِ رَسُولٍ. وَهِيَ دَلِيلٌ وَبُرْهَانٌ حَتَّى لَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَّةٌ بَعْدَ الرِّسَالِ. وَتَكُونُ بَلْغَةً لِقَوْمٍ كَمَا أَنَّ الْقُرْآنَ بِالْعَرَبِيَّةِ لِلْعَرَبِ<sup>(٥)</sup>. وَهِيَ غَيْرُ مَتَوَارِثَةٍ، لَيْسَتْ فِي نَزِيَّةٍ بِالضَّرُورَةِ بَلْ فِي أَصْلِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَهِيَ النَّبُوَّةُ النَّفْسَانِيَّةُ لَا الْجَسْمِيَّةَ<sup>(٦)</sup>. وَالْإِيمَانُ لَا إِكْرَاهَ فِيهِ. وَالآيَاتُ لِلاتِّبَاعِ. وَمَنْاسِكُ

- (١) ٦٤/٨/٥/٤ — ١٥٣/١٧/٣ — ٢٣٩/٨/٤ — ٣٧٧/٣٧٤/٩/١ — ١٣٠/٥/٤ — ١٥٦/١٥٣/٧/٢ — ٢٤/١٤/٣ — ٢١٧/٨/٢ — ٢٥٢/٨/٢ — ١٣٢/٧/٣ — ٣٧٣/٨/٢ — ٢٤/١٤/٣ — ٨/٤ — ١٣٠/٢ — ٢٠٨/٢/٣ — ٤٣٠/١/٢ — ٢٠٨/٢/٣ — ٢٩٩ — ٢٩٨/٧/٣ — ٣٢٦/٩/٣ — ٤٧٣ — ٤٧١ / ١/ ٤ — ٢١٦/٧/٣ — ٣١١/٧/٣ — ٩٥٨/٩/٣ — ٥١٤ — ٥١٣/٢/٢ — ٥١٥/١/٤ — ٢١٤/١
- (٢) ٥٠٩/٤٦٧/١/٤ — ٣٥١/٨/٣ — ٤٢٧/١/٤ — ١٥٠/٦٦ — ٦٨/٥/٤ — ٢٠٢/٨/٤ — ٣٤/٣/٤ — ٤٧ — ٤٦/١١/٣ — ٣٠/٥/٧/٣ — ٤٤٦ — ٤٤٥/١/٤ — ٧١/٥/٤ — ٢١٦/٨/٤ — ٤١٠/١١ — ٣١٣ — ٣١١/٧/٣ — ٣٥١/٣٣٨/٨/٣
- (٣) ٣٣٨/٣٤٤/٣٣٦/٩/١ — ٣٣٨/٣٤٤/٣٣٦/٩/١ — ١٤١/٥/٢ — ٢٤/١٤/٣ — ٢٩٦/٧/٣ — ٥٨/٤/٤ — ٣٧٣/٣٧٠/٩/١ — ١٥١/٧/٤ — ٢٢٢ — ٢٢٠/٨/٤ — ٣٧٧/٣٧٥ — ٣٧٤/٣٧٢/٩/١
- (٤) ٤٠٣/١١/٤ — ٨٤/٥/٤ — ٤٥/١١/٤ — ١٢٣ — ١٢٢/١١/٥/٤ — ٢٥٢/٩/٤ — ٥٤ — ٥٣/٤/٤ — ٢٦١/٩/٤ — ٤٦٠/١١/٤ — ١١٥/٥/٤ — ١٤٠/١٣٩/٦/٢ — ٣٢٦/٣٢٤/٨/٢

الحج وفرائضه أمثلة لتذكير النفوس بالمعاد وإيقاظها من الغفلة. ولا تتجو النفس بمفردها بل بالتعاون على البر والتقوى. والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والحسنات يذهبن السيئات، وإكتناز الذهب والفضة دون انفاقهما فى سبيل الله يعذب بهما صاحبهما<sup>(١)</sup>.

وقد بعث الله الأنبياء مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب والموازين لكى يكون على الله حجة بعد الرسل. فيكون الانسان حسيب نفسه، لديه كتاب حق، يسجل عمله، وصراطه مستقيم. والأنبياء كثيرون، ولكل منهم شرعة ومنهاجا، تقود وكلها الى غاية واحدة. تتفق الأنبياء فى العقائد والأخلاق وتختلف فى النواميس والشرائع. كما تختلف الشرائع حسب الازمنة، وما من أمة الا خلافها نذير. وهم المصطفون المؤمنون بالرسالات، الأقلية الصالحة والأولياء، الوعى المستقل عن الوعى الجمعى والذى أدرك البنينات مثل وعى الرجل من آل فرعون الذى كتم إيمانه للتشجيع والانخراط فى الدعوة السرية، الأقلية المؤمنة. والوعى الفردى مسؤوليه شخصية، وهم المصطفون الذين يرثون الكتاب. السابقون بالخيرات. هم فتية آمنوا بربهم وازدادوا هدى. وهم نموذج الاخوان الأوائل<sup>(٢)</sup>.

والرسول فى علاقة مع الله مثل المؤمن. هو خاتم الأنبياء، وقادر على تجميع الناس بالرفق واللين. والرسول قدوة حسنة كما أن الرسول على خلق عظيم<sup>(٣)</sup>. ويرتاح الرسول الى التصديق والبرهان العيانى. لذلك كانت المعجزات أدلة الأنبياء، عصى موسى، سلامة إبراهيم، القرآن لمحمد. الغاية منها التخويف. واتباع الأرائل لهم ليست حجة ضد الأنبياء لأنهم أتوا للمضطهدين فى كل مجتمع، والمنبوذين فى كل أمة<sup>(٤)</sup>.

وآيات الشيطان كثيرة مما يدل على المصدر الداخلى للفكر عن طريق التفسير الموضوعى للقرآن، تجميع الآيات فى نفس الموضوع من السور المتفرقة من الذاكرة فلم تكن

(١) جـ ٤/١١/٤٠٣ جـ ٤/٥/٨٤ جـ ٤/١١/٤٢٥ جـ ٥/١١٨/١٢٣-١٢٢ جـ ٤/٩/٢٥٢ جـ ٤/٤/٥٣-٥٤ جـ ٩/٢٦١/٤٦٠ جـ ١١/٤٦٠ جـ ٥/١١٥ جـ ٦/١٣٩/١٤٠ جـ ٨/٣٢٤/٣٢٦.

(٢) جـ ٩/١/٣٣٦/٣٣٨ جـ ٢/١٤١ جـ ٣/٢٤/٢٤٦ جـ ٣/٧/٢٩٦ جـ ٤/٥٨ جـ ١/٣٧٠/٣٧٣ جـ ٩/١/٣٧٤-٣٧٧/٣٧٧ جـ ٨/٢٢٢-٢٢٠ جـ ٧/١٥١.

(٣) جـ ٢/١١/٤٥٥-٤٥٤ جـ ١/٤٥٦ جـ ٣/١٢-١٣ جـ ٣/١٦١-١٦٦ جـ ٣/١٧٣/١٧٣ جـ ٣/٢٧١/٣٧١ جـ ١/٤٤١/٩-٨ جـ ٦/٤٨١/١٣٩ جـ ٦/٤٨١-٤٨٧ جـ ٤/٥-٦ جـ ٦/١٣٢ جـ ٤/١٨٠ جـ ٨/٢١٩ جـ ٢/١٢.

(٤) جـ ٢/١٢/٢٥ جـ ٣/٢٥ جـ ٢/٥٦ جـ ٦/١٢٨ جـ ٩/٢٦٢ جـ ١/٤٩٦-٤٩٧ جـ ٥/٦٩-٧٠ جـ ١١/٤٢٦ جـ ٨/٣٤٤-٣٤٣ جـ ١/٤٤٠ جـ ٥/٩٩-١٠٠ جـ ١١/٣٢٩-٣٣٠.



المضطهد. وفي نفس الوقت لا يكلف الله نفسا الا وسعها. والأولوية للفعل الانساني. فاذا نسي الانسان الله أنساه نفسه<sup>(١)</sup>.

وفي العلوم الالهية الناموسية والشرعية تكثر آيات الأخلاق والمعاد والمجتمع والتاريخ. فالعمل الصالح هو أساس النجاة. وليس للانسان الا ما سعى. وطريق النجاة هو طريق إبراهيم، التقوى والعمل الصالح. والسيطرة على النفس فضيلة، عدم الحزن على ما فات أو الفرج بما هو آت. والدار الآخرة نتيجة للتواضع والاصلاح، والحظ العظيم للصابرين. وكل عمل في الدنيا يكون حاضرا للانسان في الآخرة، خيرا أو شرا. فليس للانسان الا ما سعى، وسعيه سوف يرى، ويوفى الجزاء الأوفى. الطريق الى النجاة الصبر والعفو. والجهاد أكبر عمل صالح. والشهداء هم الذين يشاهدون ربهم بتقدم عمل الانسان يوم القيامة. ومن لا عمل له يود لو يرد الى الدنيا فيعمل صالحا وقد باء بالخسران. والحياة امتحان واختبار وليست عبثا. ويأتى كل انسان فردا. وليس العمل الصالح وحده الصلاة والصوم بل عمارة الأرض والسعى فيها فالدنيا مزرعة الآخرة. والحسد رذيلة<sup>(٢)</sup>. أما المنافقون الضالون فهم العدو الذى يجب الحذر منهم. مأواهم جهنم، يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله. ويستمعون الى غواية الشيطان فى النار التى تطلع على الأفئدة، دهورا بلا طعام أو شراب. تستبدل جلودهم لمزيد من العذاب. وهم الذين يؤمنون باللسان وليس بالقلب. وهم فى العذاب دوما. يحسبون كل صيحة عليهم. وهم العدو الذى يجب الحذر منهم. ويندم الكافرون ويتمنون أن يكونوا ترابا أو العودة الى الدنيا والعمل صالحا أو طلب الشفاعة مع أنهم لو ردوا لعادوا الى نفس الأفعال، أفرادا وجماعات، لا فرق بين الانسان والجن. يودون التعمير فى الأرض، وهذا لا يعفيه من العذاب<sup>(٣)</sup>.

وتظهر عديد من الأحوال والمقامات الصوقية كرسيد للأخلاق كأفعال لبواطن القلوب. فالتوبة طريق التحول من السيئات الى الحسنات وتجاوز غواية الشيطان كما فعل آدم. والله يقبل التوبة لمن أناب. والشكر على النعم من طباع الانسان. والتقوى خير زاد فى الرحال.

(١) جـ ١٠٢/٦٨/٥/٤ جـ ١٨٨/٧/٤ جـ ٢٨٢/١٠/٤ جـ ٢١٩-٢١٨/٣٠/٣ جـ ٢٨٩/٧/٣ جـ ٢٩٠-٢٩١/٤/٤ جـ ٥١٢/٤٦ جـ ٢٤-٢٣/٣/٤ جـ ٤٩١/٤٨٩/٤٢٦/١/٤ جـ ٤٤٦/١/٤.

(٢) جـ ١٣١-١٣٠/٥/٢ جـ ٧٦/٣٩/٤٦/٢ جـ ١٦٨/٤/١ جـ ١٥٦/٣/١ جـ ٢٧٥/٧/١ جـ ٧٦/٥/٤ جـ ٣/٣ جـ ٣٢/١٤ جـ ٣٧/١٥/٣ جـ ٤٣١/١/٤ جـ ٣٢١/١١/٤ جـ ١٣٩/١٣٧/٣/١ جـ ١٣٧/٣/١ جـ ٢٤٠/٥/١ جـ ٢٩٠/٨/١ جـ ٧٨/٥/٤ جـ ١٣١/٩/١ جـ ١٣١/١٣٣-٣٢٢/٣٢٢-٣٣٠ جـ ١٥٥/١٧/٣ جـ ٢٤٨/٤/٣ جـ ٢٣/٣/٤ جـ ٣٣٤/٣/١ جـ ٣٣٦/٩/١ جـ ١٧-١٥/١٣/٣ جـ ٤٥/١٥/٥ جـ ١٢٥/٥/٢ جـ ١٦٦/١٧/٣.

(٣) جـ ٢٦٣/٣٦١/٢٥٣/٩/١ جـ ٦٠/١/٦٦/٣ جـ ٦٦/٨١/٧١/٦٢-٦٠/١/٦٦/٣.

والصبر طريق الفوز، والذي لا يصبر يظن بالله ظن السوء، والتوحيد طريق لقاء الله وليس الشرك. والعفو والصفح والمغفرة من أفعال الله ومن أخلاق الانسان. والخوف من الله طريق النجاة بل ان الملائكة يخشون الله ويطيعونه، وعدم اليأس والقنوط من رحمة الله. والتفكير طريق الى الله، وكذلك التوكل سعى اليه<sup>(١)</sup>. ولا يوجد اصطفاء أو اختيار كطريق للنجاة. لا توجد ولاية أو محبة أبدية بين إله وشعب. إنما الاصطفاء والوراثة للعمل الصالح. فالفعل متبادل بين الفعل الإلهي وفعل الانسان. هو فعل الشرط والفعل الإلهي جواب الشرط. والدعاء يجلب الفرج. والرضا متبادل بين الانسان والله، ويؤوله الاخوان على أنه رضا بالقضاء والقدر. والإيمان بالمصائب دليل على التقوى وليس الخير. ثم إذا جاء الشر جلب الكفر. واتباع أحسن القول يؤدي الى النجاة، الايمان بالله وطاعة رسوله وتجاوز الدنيا الى الآخرة. والزهد شرط العلماء، والعلماء هم الزهاد. العمل أساس النظر. ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى عنه. ومن ظلم فانما يظلم نفسه<sup>(٢)</sup>.

والوعد حق. وتأتي الساعة فجأة كلمح البصر وعلى غير انتظار. والخالق هو الباعث، والمحیی هو الممیت. وكما بدأت الحياة أول مرة فانها تعود ويعرج الكل الى الله في يوم مقداره خمسون ألف سنة. واليوم عند الله الف سنة مما يعد الناس. والزمان نفسى. ويوم البعث لا يدرك الخاسر الزمان، ويظن انه قام بعد ساعة. ولها أسماء عديدة. يوم البعث، يوم الدين، يوم الحشر، يوم الخروج، يوم تقوم الساعة. والروح من أمر الله ولم يؤت الانسان من العلم الا قليلا<sup>(٣)</sup>. وكل شىء مسجل، وكل ما يعمله الانسان يجده مكتوباً. هو اليوم الفصل الذى يتم فيه الحكم بين جميع المتخاصمين. وهو ميزان عدل. وهناك برزخ بين الموت والبعث<sup>(٤)</sup>.

ويبدو الثواب والعقاب وكأنهما حركتان للطبيعة. يدور المحسنون والمسيئون مع حركات الأفلاك. فاشتاه النفس والتذاذ الأعين والخلود فى الجنة للمحسنين، وتبديل الجلود لذوق العذاب للمسيئين أفعال للطبيعة. فالطبيعة متجهة نحو المعاد وطريق إليه. وتؤدي الى

(١) جـ ٣٧٣-٣٧٢/٩/١ جـ ٣٧٣/٩/١ جـ ٣٤١/٨/٢ جـ ٤٢٩/١/٤ جـ ٥٦-٥٥/٤/٤ جـ ٢٩٥/٧/٣ جـ ٥٥/٤  
٥٣٠-٥٢٩/١/٤ جـ ٧٥/٥/٤ جـ ٤٣٠/١/٤ جـ ٧٤/٥/٤ جـ ٢١٧/٨/٢ جـ ٢٩٨-٢٩٧/٧/٣ جـ ٧٦/٥/٤ جـ ٧٢/٥/٤ جـ ٦٨/٥/٥١٩/١/٤ جـ ٧٦/٥/٤ جـ ٧٦/٥/٤

(٢) جـ ٤٦-٤٥/١٥/٣ جـ ٢٨٩/٧/٣ جـ ١٩/٣/٤ جـ ٢٩٨/٧/٣ جـ ٤٩٠/٤١٥/١/٤ جـ ١٦٥/١٥١/٧/٤ جـ ١٨٧/١٦١  
١٨٧/١٦١ جـ ٧٠/٥/٤ جـ ٨١/٧٣/٥/٤ جـ ٣٧٩-٣٧٥/٣٦٧/١١/٤ جـ ٣٢٤/١/٣ جـ ١٧/١٣/٣ جـ ٨٠/٥/٤ جـ ٣٧٩-٣٧٨/٣٧٣/٢٦٣-٢٦٢/٣٦٠/٣٥٧/٩

(٣) جـ ٥٢٦/٤ جـ ٩٠٨/٢/٤ جـ ٤٤٨-٤٤٧/١٤/١ جـ ٢٢٨/٤/٣ جـ ٣٥٢/٩/٣ جـ ١٣٥/٦/٢ جـ ٤/٣ جـ ٢٣٨  
٢٣٨ جـ ٢١٩/٣/٣ جـ ٣١٩/٧/٣ جـ ٢٩٩-٢٩٨/٧/٣ جـ ٣٧/٢/٤ جـ ١٧٩-١٧٨/٧/٤ جـ ٢٣٨/٤/٣ جـ ٤٣/٤/٤

(٤) جـ ٤٣/٤/٤ جـ ٤٩٩-٤٩٨/٤٤٨/٤٤١/٤١٤/١/٤

مشاهد القيامة والحساب. والكواكب الثابتة الحافة بالفلك التاسع هي الملائكة الحافة بالعرش. والجنة عرضها السموات والارض. وجهنم مملوء بالجن والنفس<sup>(١)</sup>.

وكما يبدأ البشر من المصدر الأول يعودون اليه. بدلوا متساوين وانتهوا مختلفين بين الهداية والضلالة. ينال الفوز بجنات النعيم عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، رحماء بينهم، ركع سجد، أشبه بأخلاق الملائكة الذين يحملون العرش، والذين نهوا النفس عن الهوى وأصبحوا أحرا من غواية الشيطان، ولا تدرى النفس ما أعد لها من نعيم. ومن يتمتع في الدنيا مع نسيان الآخرة يحرم منها في الآخرة. ومن قتر على نفسه في الدنيا فتحت له أبواب الآخرة. فالدنيا معبر للآخرة. ولا يفرح الإنسان بها كما فرح قارون من قبل إلا إذا كانت طريقا إلى الآخرة. لذلك يعاتب الله المسرفين. وكل خير يقدم في الدنيا يكون خيرا في الآخرة. فينال المؤمنون الدنيا والآخرة<sup>(٢)</sup>. في الجنة ما تشتهي الأنفس. الأبرار في نعيم وفي علبين. تفتح لهم أبواب الجنات، وتسلم عليهم خزنتها. وتعرض عدة صور للنعيم، الاتكاء على الأرائك وطواف الولدان المخلدون بالأكواب والأباريق والسدر المخضوض، والطلح المنضود، والظل الممدود، والماء المسكوب، والمقعد الصدق، وكل ما تشتهي الأنفس، والعسل المصفى. وكلها صدور لدلالات روحانية. المؤمنون هم أصحاب اليمين الذين يسعون إلى ذكر الله ويذرون البيع ويتزودون بالتقوى والعمل الصالح والتواضع في الدنيا<sup>(٣)</sup>.

ويعرف المؤمنون الحق. والنفس مطمئنة هي النفس الراضية التي كانت تسارع في الخيرات، وتدعو الله رغبة ورهبة، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، تنظر إلى ربها، وتدخل عليهم الملائكة من كل باب لأنهم كانوا يؤمنون بالآخرة ولا يستكبرون. يحبون الله، ويوفيهم الله الحساب، ويسعى نورهم بين أيديهم، تحييتهم فيها سلام<sup>(٤)</sup>. وتشير ألقاف الفتى والفتية إلى المؤمن والمؤمنين والحكيم والحكماء. وهم خير من الخاسر والخاسرين الذين يألمون في الدنيا

(١) ٦٠/٢/٣ → ١٤٨-١٤٧/١٤٢/١٤٠/٦/٢ → ١٧٢/٧/٢ → ٣١٤-٣٤٣/٨/٢ → ٢١٨/٣/٣ → ٢٩٠/٧-٢٩٣.

(٢) ٢٧٥/٧/١ → ٧٦/٥/٤ → ٣٣٨-٣٣٧/٣٣٤/٩/١ → ٤٤٨/١٤/١ → ٤٤-٤٥٢/١١/٢ → ٤٤/٢/٨ → ٣٦٥/٣٧٦-٢٢٢/٨/٤ → ٢٤٧/٤/٣ → ٨٢/١٦/٣.

(٣) ٣٠١/٧/٣ → ٧/٥١٦/٢/٤ → ١٥/٩-٦/١٣/٣ → ١٣٩/٦/٤ → ١٧٩/٧/٤ → ٧٧/١٦/٣ → ٢٨٠/٦-٢٨١/٢٨١/٧/٣ → ٢٩٤/٢٨٩/٧/٣ → ٢٨/٣/٤.

(٤) ٢٩٩/٧/٣ → ٤٢/١٥/٣ → ١٧٤/٧/٤ → ٤٥/١٥/٣ → ٦٤-٦٢/١٦/٣ → ١٧٥/٧/٤ → ٩٨-٣٠١/٧/٣ → ٣٠٥/٣٠١/٧/٣ → ٣١١-٣٠٩/٢٦٨/٨/٤ → ٣٢٠-٣١٩/٧/٣ → ٣٤٣/٨/٣ → ٤٤٩/١/٤ → ٥٣٠-٥٢٩/٥٢٥/٤٥٠ → ٥٣١/٦/٤ → ٨١/٦٣/٥/٤.

والآخرة. يرجون من الله مالا يرجوه الكافرون. أعد لهم النعيم ويوفى أجر الصابرين، ويحميمهم الله في الدنيا. ولا يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون. يدخل الملائكة على المؤمنين من كل باب. تتوفاهم الملائكة طيبى النفوس. ينهون النفس عن الهوى ويتقون؛ ويذكرون الله بصرف النظر عن شكل الدين<sup>(١)</sup>. ويعتمد الاخوان كثيرا على الآيات القرآنية لاثبات القيامة دون تحليل عقلى كاف مثل الرغبة فى الخلود، والتواصل ضد القطيعة والنهاية، وبقاء العمل والأثر فى الناس استمرارا للجهد، والرغبة فى أن يكون للعقل الكلمة الأخيرة على الظلم.

وأما الخاسرون فأنهم ينالون العذاب الأليم. كلما نضجت جلودهم بدلت جلود غيرها لايثن فيها أحقابا. والعذاب ضرورى حتى لو عاش الخاسر ألف عام. لا تفتح لهم أبواب السماء حتى يدخل الجمل فى سم الخياط. عاشوا قرناء الشياطين، ولهم عذاب اليم. أعمالهم حسرات عليهم. ومن لا يذكر الرحمن يكن الشيطان قرينه. يودون لو يردوا الى الدنيا كي يعملوا صالحا. فقد ظنوا أن الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بالأموال والأولاد وكلها ظاهر وعرض وغرور، والآخرة خير وأبقى. فلا ينالون الا السراب. يحال بينهم وبين ما يشتهون يوم القيام. الزمان لا يعود، ولا يردون الى الحياة الدنيا، ويعرضون على النار غدوة وعشيا. قلدوا الآخرين فانطبق عليهم قانون التبعية والتقليد أو الذبذبة بين المواقف أو تبعية الشيطان. كذبوا بآيات الله<sup>(٢)</sup>. وهم محجوبون عن الله بما كسبوا من أفعال، زاغوا فأزاع الله قلوبهم. رضوا بالحياة الدنيا وبنسوا من الآخرة. لم يذكروا الله فحملوا أوزارهم على ظهورهم ولم يؤمنوا بالآخرة واستكبروا. وسخروا من المؤمنين فى الدنيا، وكانوا يضحكون عليهم ويتغامرون. ويدرك الخاسرون المأساة عندما يجدوا كل أمة تلعن أختها. ويستجدى الظالمون أمام الله، ظلموا أنفسهم، وكانوا إخوان الشياطين. ومن كان فى هذه الدنيا أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا<sup>(٣)</sup>.

وبين المؤمنين والخاسرين هناك أهل الأعراف بين الجنة والنار، حالة افتراضية صورية تحسمها الطبيعة الخيرة والبراعة الأصلية فى حالة التساوى بين الخير والشر<sup>(٤)</sup>.

(١) جـ ٥٢/٤/٤ جـ ١٠٩/٨٢/٧٥/٥/٤ جـ ١٧٣/١٦٨/٧/٤ جـ ١١٨/١١٥/٥/٤ جـ ١٢١.

(٢) جـ ٣٦٧/٩/١ جـ ١٧/٧/٣ جـ ٣٤٠/٨/٣ جـ ٨١/١٦/٣ جـ ٤٠/١٥/٣ جـ ٥٦/١٧/٣ جـ ٢٤٧/٤/٣ جـ ٧/٤/٣ جـ ٢٩٧/١٧٩-١٧٨ جـ ٣٠٨/٧/٣ جـ ٥٢٨/٢/٤ جـ ٥١٥/٥٢١/١/٤ جـ ١١٢-١١٠/٥/٤ جـ ١٠٢/١٠٠ / ٤/٤

١٣٩/٦ جـ ١١٥/٥/٤ جـ ١٧٩-١٧٦/٧/٤ جـ ١٦٩-١٦٨/٨/٤ جـ ٢٤١/١٩٩-١٩٨/٨/٤ جـ ٢٨٢/١٠ / ٤ جـ ٣٨٠/١١/٤

(٣) جـ ٣٦٦/٩/٣ جـ ٧٨/٥/٤ جـ ٤٥٩/١/٤ جـ ٨-٦/٢/٤ جـ ٥٩/٤/٤ جـ ١٠٠-٩٩/٦٤/٢٢٥/٤ جـ ٣١٤/٧/٣ جـ ٣٣٦/٨/٣ جـ ٣٧٥/٩/٣ جـ ٤٤١/١/٤ جـ ١٨٥-١٨٤/٧/٤ جـ ٤٥٠/١ / ٤ جـ ٤٨٤/٤٥٨/٤٩٨-٤٩٧/ ٤

(٤) جـ ٧٤/٦٩/٦٥/١٦/٣ جـ ١١٠/٧/٣ جـ ٤٤٩/١/٤ جـ ٤٤٣/٤م-٤٤٣.

وتبدو آيات القسم الرابع عن العلوم الالهية الناموسية والشرعية قليلة. وتصب كلها فى نفس الثنائية، ثنائية الخير والشر على المستوى الاجتماعى. وتكشف عن التعارض بين مجتمعين، مجتمع الخير ومجتمع الشر كما هو الحال فى الأخلاق والمعاد. مجتمع الخير هو مجتمع الاخوان ومن والاهم، مجتمع مغلق طاهر. فى الأرض صالحون وفاسدون. ويستشهد الاخوان أيضا فى مسار التاريخ بالآيات على حتمية زوال دولة الظلم وقدم دولة الحق مما يكشف عن الهدف السياسى للاخوان. ومصير دول الظلم كلها فى النار، يلعن بعضها بعضا. ويتم التأكيد على المعارضة من أجل الثورة على الحاكم الظالم. فالتاريخ دورات وأحقاب، والصراع واقع فى العالم. فاما أن يقبل الإنسان الصراع واما أن يتخلف عنه فيأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ويقبلون الدخول فيه. تتوالى المجتمعات بعضها وراء بعض، وتنهض الأمم وتنهار. الظالمون أولياء لبعضهم والمؤمنون أولياء أيضا لبعضهم<sup>(١)</sup>. والله مع جماعة المؤمنين. وهى جماعة مترابطة بفعل الايمان، تحب من يهاجر اليها. وتؤكد الرسائل ضرورة التعاون بين الاخوة والترابط الاجتماعى. وهم مثال على ذلك. فالولاية لهم وليس لغيرهم والترابط الاجتماعى وهم. والصلح بين الزوجين واجب قبل الطلاق. والشرعية ضرورية للمجتمع مثل القصاص. والتحرير طلب من الناس حتى ولو ضاقوا به. والطريق الآخر مترابط فى الشر. وتتميز المجتمعات فيما بينها بالهدف الذى تجتمع عليه<sup>(٢)</sup>.

ومع ذلك يظل الوعى الفردى مستقلا عن الوعى الاجتماعى مثل الرجل من آل فرعون الذى يكتم ايمانه ومثل ابراهيم مع قومه ومثل كل نبي مثل نوح. ثم يكبر هذا الوعى ويتمدد ويصبح القلة المؤمنة الذين اشترى الله منهم أنفسهم بأن لهم الجنة، ومثل الشهداء وحوارى المسيح الذى يبائعون المؤمنين والانبياء. وهم الاخوان<sup>(٣)</sup>.

د- الأحاديث. وتظهر الأحاديث بصورة أقل من الآيات حوالى العشر. وتظهر فى نفس العبارات التى بها تعبير "رسول الله". وتستعمل فى نفس النسق العقائدى الفلسفى، التوحيد والعدل أى العقلية والسعيات، الالهيات والنبوات. والمرويات فى السعيات أكثر منها فى العقلية، وفى السعيات تبرز أولا فى الايمان والعمل ثم النبوة ثم المعاد والامامة. وتستعمل الأحاديث تدعيما للآيات مادام القرآن والحديث مصدرين للعلم<sup>(٤)</sup>.

(١) جـ ١٨١/٤/١ جـ ٢٩٦/٢١٤/٨/٢ جـ ٣٠٢/٩/١ جـ ٦٤/١٦/٣ جـ ٣٣٧/٨/٢ جـ ١٨٧/٧/٤.

(٢) جـ ٣٦٩/٧/٣ جـ ٣٢٦-٣٣٦/٨/٣ جـ ٣٢٧-٣٣٧/١/٤ جـ ٥٢٠-٥٢٩/٢/٤ جـ ٥٣٠-٥٣٩/٣/٤ جـ ١٦٣/١٦١/١٧/٣ جـ ٦/٤.

١٣٤ جـ ١٣٢/٤/٤ جـ ١٧٣/٤/٤ جـ ١٣٨/١٠٨/٦/٤ جـ ١٨٠/٧/٤ جـ ٤٦١/١١/٤.

(٣) جـ ٣٣٥-٣٥٤/٣٥٣/٨/٢ جـ ٣٦٩-٣٦٨/٨/٣ جـ ٢٩٧/٧/٣ جـ ٧٤/٥/٤.

(٤) مجموعة الأحاديث فى الرسائل حوالى ١٠٦ منها فى السعيات (١٠٣)، والعقليات (٣) وفى السعيات: الايمان والصل (٢٨)، النبوة (٢٦)، المعاد (١٦)، الامامة (٧). ولا تتجاوز العقائد الأخرى، العلم، الوجود، لذات والصفات وخلق الأفعال والعقل والنقل حديثا واحدا فى كل موضوع.



واحدة سواء كانت حكمة اليونان أم وحى الاسلام. وفي صياغة أخرى يوضع السياق، وتختمها أسباب القول، عندما ذكر أرسطو في مجلسه مع أن المسلمين لم يعرفونه<sup>(١)</sup>.

وفي نظرية الوجود تروى أحاديث أقل من نظرية العلم، حديث واحد فقط في مقابل أحد عشر حديثا. فالوجود هو كل شيء، والله والوجود شيء واحد لذلك ينتهي التفكير في خلق العالم الى الوصول الى الخالق، وفي خلق الانسان من المنى الى اتقان الصانع<sup>(٢)</sup>.

والأحاديث في العقليات أقل منها في السمعيات<sup>(٣)</sup>. فالسمعيات تثير خيال العامة أكثر من العقليات، وإمكانية الوضع فيها أكثر من العقليات فالظن في الإقناع أكثر من اليقين. فلا يعلم جنود الله الا هو، ولا يوجد في السماء موضع شبر الا وملاك قائم أو راعع أو ساجد لله، مما يثير الخيال على عظمة الله وعبادة الكون له. في نظرية الذات والصفات لا يروى إلا حديث واحد. وفي خلق الأفعال، والحسن والفتيح لا يروى الا حديث واحد في كل من موضوعي العدل. ويسود التيار الأشعري قبل أن يقننه الأشعري. فالهداية والتوفيق والعصمة من الله. والله هو الذى يرزق الطير فتعدو خماسا وتروح بطانا، أشعرية صوفية ضد خلق الأفعال والعمل والكسب. الغرض منها الوصايا والمواظ والتوجه العملى للعامة. وكثير من الأحاديث يدعو الى القيم السلبيّة مثل الفقر والزهد إما عزاء للفقراء أو كرها للأغنياء لا تدعو الى الثورة الاجتماعية بالرغم من أن الجهاد رهبانية الأمة. وهى لا تشابه الأحاديث الصحيحة الواضحة العملية. إنما يغلب عليها الطابع الأسطوري الخيالى النظرى. واختلافات الصياغات فى الحديث الواحد كل على وضعه<sup>(٤)</sup>. وقد يكون بعضه صحيح فى البداية بتحديد مكان وزمان معينين مثل خضراء الدمن ثم ينتهى بالخيال. وفى بعض الأحاديث ركافة مما يدل على طابعه الشعبى فى التأليف أو التأليف على مستوى العامة فى حين أن الرسول قد أعطى جوامع الكلم، وهو أفصح فصحاء العرب ليس بها طابع أقوال الرسول المركزة البليغة. كما يصعب حفظ الأحاديث الطويلة بلا تحريف، والرسول غير معروف بالاطالة. وقد تتم صياغة الأحاديث فى نوع أدبى مركب بادخال محاور للرسول مثله أسامة أو عائشة أو أبى هريرة أفقر الفقراء وأقربهم الى الرسول أو عمر الذى صدقه الوحى<sup>(٥)</sup>. ويبند الحديث مركبا منقطعا

(١) جـ٤/٢٦٣/٩/٤ جـ٤/١٧٩/٧.

(٢) جـ١/٢٩٠/٧/١ جـ١/٢١٢/٥.

(٣) نسبة الأحاديث فى العقليات الى السمعيات نسبة ١:٣٠.

(٤) جـ٢/٢٧٣/١/٢ جـ٢/٣٤٣/٨/٨ جـ٢/٢٧٣/٨/٢ جـ١/٢٢٦/٥/١ جـ١/٢٠٢/٢٢٧.

(٥) انظر دراستنا مدرسة تاريخ الاشكال الادبية، دراست فلسفية، الانجلو المصرية: القاهرة ١٩٨٧ ص ٤٨٧-٥٢٢.

جـ١/٣٨١-٣٨٢.

عن طريق تدخل المحاور "زدنى" من أجل إعطاء أكثر من فرصة للخلق والتأليف كما فعل المسيح مع حواريهه. وليس من طبيعة الرسول قول الأشياء الى منتصفها ثم الانتظار كى يعطيه المحاور مناسبة ثانية لاستكمال الحديث. بل الهدف منه الخلق على دفعات. فالخلق بطبيعته قصير، يتكون من عدة دفعات ثم يتم التأليف بينها. وليس من عادة الرسول مخاطبة أصحابه يا أسامة، يا أسامة، بل التوجه نحو الموضوع مباشرة. ومما يدل على وضع الحديث ووجود إخراج له فى محاور كما هو الحال فى العشاء الربانى للسيد المسيح. وفيها يبدو الرسول ناعيا نهاية العالم ونهاية المسلمين كما تتبأ المسيح بهدم المعبد وتدمير الهيكل، ونقد الدينونة ومظاهر البذخ والترف وكأنه ابن خلدون أو أحد الصوفية. ويغلب على معظم الأحاديث الطابع الصوفى، وقد تكون من وضع الاخوان. لا تعتمد على العقل بل تخاطب التجربة البشرية وتكشف عن مواطن الاغتراب فيها. وتعارض أحاديث أخرى تدعو الى الدنيا والى العمل فيها والى تعبر أيضا عن روح القرآن. ويدل على وضع الحديث طوله على عكس الأحاديث الصحيحة القصيرة ذات النزعة الأخلاقية العملية المباشرة متجهة نحو المنفعة والصلاح فى العالم. إنما يغلب عليها ثنائية الدنيا والآخرة، أشبه بوصايا الشيخ للمريد. ويعبر البعض منها عن اتجاهات غير إسلامية مثل إنقاذ الجماعة من أجل البقية الصالحة. هى أقرب الى تاريخ الأدب والابداع الفنى. فالوضع ليس مجرد اختلاف بل هو عمل فنى خلاق. ويتكاثر الحديث، حديثا وراء آخر مما يدل على طابعه التركيبى. فالمتن أقرب الى تاريخ الأدب، والمضمون أقرب الى التصوف. وكان الحديث يذكر تأكيدا للقرآن فما اتفق معه كان صحيحا، وما اختلف كان موضوعا بالاضافة الى حكم العقل وصدق التجربة.

وتكثر الأحاديث فى النبوة على طريقة الصوفية، محمد الحقيقة. محمد قديم، خلق وآدم بين الماء والطين. وجوده بالقوة قبل الفعل، وعمر الدنيا سبعة آلاف عام. وبعث محمد فى آخر الف منها ولا نبى بعده. النبوة فى بداية الخلق وفى نهايته، وتطورها بين الخلق والقيامة. ينتسب الرسول الى إبراهيم، أبوة روحية إسرائيلية. ومقامه رفيع مثل مقام الأنبياء آدم وإدريس النبى (هرمس). أعانه الله على شيطانه، فلكل إنسان شيطان يجرى منه مجرى الدم. ورواة أحاديث النبوة خمسة: عن جبريل عن ميكائيل عن إسرافيل عن اللوح عن القلم. ومن أجل تعظيم النبوة يتم انتقالها من القلم الى اللوح الى إسرافيل الى ميكائيل الى جبريل الى محمد نزولا، ومن محمد الى جبريل الى ميكائيل الى إسرافيل الى اللوح الى القلم صعودا، ستة رواة، ويروى الاخوان من السابع<sup>(١)</sup>. وهناك أحاديث موضوعة عن النسخ، نسخ النبوة

(١) جـ ٢٢٦/٢١٣/٥/١ — جـ ٣٦٤/٩/١ — جـ ٤١٧/١٢/١ — جـ ٣١١/٧/٣ — جـ ٢٠٨/٢/٣ — جـ ١ — جـ ١٢/٤١٧/٣ — جـ ٢٥-٢٤/٢١٩ — جـ ٢٠٨/١/٣

بالجبروتية، ويسمون باسم الخلافة، ويسيرون عليها بسيرة الجابرة، يهون عن المنكر، ويرتكبون الخدور، ويقتلون الأولياء أولاد الأنبياء وقيمون بسبيهم واغتصاب حقوقهم وشرب الخمر والفجور واستبعاد الناس وسلب الأموال وخطف الأولاد والاستطالة ونسيان المعاد وبيع الدين بالدنيا، والآخرة بالأولى. فينهار التاريخ مما يؤدي الى ضرورة الهدى ورفع. وهو تصور شيعي للتاريخ من الهزيمة في الماضي إلى السقوط في الحاضر إلى النهضة في المستقبل<sup>(١)</sup>. كما تروى أحاديث الرؤية الصادقة وأنها جزء من النبوة. ينتهي الوحي ويستمر الرؤية. وفي أحاديث أخرى يحدد كم الجزء من ستة وأربعين جزءاً، وكأن الكيف يقسم كما الى هذا العدد الذي قد يجانب الرمزية. وقد نفى الرسول نفسه عندما نزلت آية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾، وأقر بالعودة الى الله، واشتاق الى رؤية إخوانه الأنبياء. والسحر حق، والعين حق. ولا تروى الأحاديث في ذلك بل أيضاً أفعال الرسول عندما أخرج السحر من الجب. وقد أمر الرسول بسقى رجل مسحور وغسل آخر لازالة إثر العين. وقد أنزل القرآن على سبعة أحرف وهو اعجاز الرسول<sup>(٢)</sup>. كلها شاف كاف، وكل آية لها ظاهر وباطن من أجل التأويل ولتفاوت العقول بين الخاصة والعامة، العلماء والجهال، العقلاء والأنبياء، الرجال والنساء، النساء والصبية، وهو أحد معاني الاعجاز، الاتصال على جميع المستويات<sup>(٣)</sup>.

ويطلب محمد الهداية لقومه لأنهم لا يعلمون، ولا يطلق عليهم اللعنات كما فعل الأنبياء من قبل. بل ينصر كل نبي أمته كما تنصر كل أمة نبيها كما نصر أبو هاشم محمداً والكل له الجنة. النبوة فتح مستمر وعلان لشعار "لا اله الا الله". نصره النبي واجب قومه وفدائه بأنفسهم. وهو على خلق عظيم. أعانه الشيطان حتى أسلم. وهو قاضى يتبع حجج الخصوم. ولكنهم أفضى لأنهم أعرف بالحق<sup>(٤)</sup>.

وتكثر أحاديث المعاد. فمن مات قامت قيامته. والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا. والملائكة هي التي توفى الانسان. إذ يموت الانسان مرتين، الموتة الصغرى في النوم والموتة الكبرى في الموت ويحيا اثنتين، الأولى في الدنيا، والثانية في الآخرة. وليس للكافرين الا الموتة الأولى. وتختلط أحاديث المعاد مع الاستعداد له بالإيمان والعمل، ثواباً أو عقاباً، اغتنام الفراغ قبل الشغل، والغنى قبل الفقر، والصحة قبل السقم، والشباب قبل الهرم، والحياة قبل الموت

(١) جـ ٣٦١/٨/٢ جـ ١٧٥/٧/٤ جـ ٨٩/٥/٤ جـ ١٢٥/٦/٤ جـ ٢٤/١/٣ جـ ٢٥-٢٤/٥/٤ جـ ٧٤/٥/٤.

(٢) جـ ٣١١-٣١٠/١١/٤ جـ ٤٨٨/١/٤.

(٣) جـ ٣١١-٣١٠/١١/٤ جـ ٤٨٨/١/٤.

(٤) جـ ٢٩٩/٧/٣ جـ ٧٤/٥/٤ جـ ٢٤/٣/٤ جـ ٤٦٠/١١/٤ جـ ٢٢٦/٢١٣/٥/١ جـ ٢٤/٣/٤ جـ ٣٦٤/٩/١

جـ ٢٣٨-٢٣٧/٨/٢.

فان خير الزاد هو التقوى. وبالرغم من صدق المعنى الا أن الحديث قد يكون موضوعا في صياغاته في هذا التقابل الجدلي بين المتعارضات. ويستعمل مثل هذا الحديث كمثل منطقي على تناقض حكمي السلب والإيجاب في اللفظ والمعنى، لا يجتمعان في الصدق والكذب في صفة واحدة، في زمان واحد، من جهة واحدة، في إضافة واحدة. ويقوى المعنى بالحق الحديث بنصوص مقدسة أخرى. فالوحي واحد، والحديث شرح للقرآن، والصحف واحدة<sup>(١)</sup>.

تموت كل نفس وترى مقعدها في الجنة أو في النار. ويختلط الحس بالمجرد. فالجنة في السماء والنار في الأرض. وفيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ويرى أهل الجنة ربهم كل يوم جمعة مرة. ويفرح بهم سكان السماء. يقف الرسول على الصراط، ويرد المؤمنون على الحوض وأقربهم منه منزلة يوم القيامة من خرج من الدنيا على هيئة ما تركته دون أن يتغير. وهم الذين يذكرون العهد الأول والميثاق<sup>(٢)</sup>.

والجنة تحت أقدام الأمهات. وهي لأولياء الله. فقد أبى الله لهم إلا الخلود. وأرواح الشهداء في الجنة، في حواصل طيور خضر تسرح بالنهار في الجنة على رؤوس اشجارها وثمارها وعلى ضفاف أنهارها، تأوى بالليل في فتائل معلقة تحت العرش. ويحشر المرء مع من يحب دليلا على الترابط والمحبة في الدنيا والآخرة. والجنة هي مصير الكل. فلا يزال يخرج من النار قوم من الأمة بعدما دخلوها حتى لا يبقى في النار أحد قال لا اله إلا الله مخلصا في دار الدنيا<sup>(٣)</sup>. وقد كان مكتوبا في الصحف كلها، صحف إبراهيم وموسى عن العجب ممن يضحك وهو يعرف النار، ومن يسىء وهو موقن بالحساب، ومن يثق بالدنيا ويرى تقلبها. لذلك لا تفتح للخاسرين أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يدخل الجمل في سم الخياط. وقد خلق أهل النار من نار، ويأكلون النار، وعلى النار يتقلبون، ويطلقون في النار. وهي مبالغات ضد العقائد وضد خلق الأفعال<sup>(٤)</sup>.

(١) ٥٠-٤٩/٢/٢ - ٨٨/٥/٢ - ٣٠٥/٧/٣ - ٣٣٤-٣٣٣/٨/٤ - ٤١/١٥/٣ - ٤٥١/١٤/١ - ٢٥٠/٨ - ٣٨٢/٣٥٥/٩/١

(٢) ١٧٨/٧/٤ - ١٣٧/٣/١ - ٨٢/٧٧/٢٦/٣ - ٥٢٦/١/٤ - ٢٤١/١/١ - ٢٤١/٥/١ - ٢٥٨ - ١٣٨/٣/١ - ٥٨/٤/٤ - ٢٢٧-٢٢٦/٢١٥/٢١٠/٥/١ - ٨٨/٥ - ٤٩/٢/٢ - ٤١/١٥/٣ - ٣٠٥/٧/٣ - ١٧٨/٣٣٤-٣٣٣/٨/٣ - ٢٨٢/١/٤ - ٢١٠/٥/١

(٣) ٣٢٤/٨/٢ - ١٣٧/٣/١ - ٣٠٥/٧/٣ - ٨٢/٧٧/١٦/٣ - ٥١٦/١/٤ - ٣٦١/٩/١ - ٢٨٢ - ٢١٨/٣/٣ - ٢١٩ - ٢٠٢/٨/٢ - ٣٦١/٩/١ - ٢٠٨/٥/١ - ٧٨/٧/٤ - ٢١٨/٧/٣

(٤) ٣٨٢/٩/١ - ٢٢٦/٥/١ - ٦٠/١٦/٣ - ٢١٨/٣/٣

ومعظمها أحاديث ظنية أو أقوال مأثورة. وبعضها موضوع، ويدل على ذلك صياغة الحديث وشكله الأدبي مثل أحاديث الجماعة المؤمنة آخر الزمان. إذ ينقطع الحديث ويتدخل أبو هريرة طالبا وصفهم طالبا للمزيد وإفساحا للخيال لمزيد من التحديد أو طالبا للنصائح للاتباع وبكاء الرسول شوقا لرؤيتهم مع وصف أفعال الرسول داخل الرواية. وينقطع الحديث لمزيد من الاستفهام وتعيين المناطق للتفرقة بين الأصحاب (الخارج) والاخوان (الداخل). ولا يذكر السند لأن الحديث لا سند له. يفرض المعنى سنده مثل الوضع بالمعنى عند المالكية، ويمكن وضع مثله من جديد مادام الوضع النفسى قائما. ومن علامات الوضع التكرار فى نفس الشكل الأدبى، فعل الشرط وجواب الشرط<sup>(١)</sup>.

وفى الايمان والعمل تتوالى الأحاديث عن العمل الصالح والأخلاق الحميدة والاعداد للمستقبل والتربية الخلقية، فالانسان بعمله وليس بنسبه. ويرد العمل الصالح إلى صاحبه. ومن العمل الصالح طلب الدنيا تفقها وتوسعا على العيال والتعطف على الجار كى يلقى الله كالقمر ليلة البدر. ومن طلب الدنيا مفاخرا مراتيا جعل الله فقره بين عينيه، ولم يبال بأى واد يهلك. وقمة العمل الجهاد. وجهاد النفس هو الجهاد الأكبر. ويتكرر الحديث المشهور "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الاكبر"، فالجهاد رهبانية الأمة. والدال على الخير كفاعله، والخير فاعله خير. وقد جمع الرسول فى حديث واحد شارحا آية ﴿خذ العفو، وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلية﴾ بأن مكارم الاخلاق سبعة: العفو عن الظالم، قطع صلة الرحم، الاحسان إلى المسئى، النصيحة لمن عثر، والاستغفار لمن اغتاب، والحلم لمن غضب. والتوبة بعد الذنب خلق جديد. والاستغفار من الذنب دائم يستجيب الله له. وخير الزاد هو التقوى<sup>(٢)</sup>. ويأخذ الزهد مكانا بارزا فى الأحاديث. إذ لا يكفى الزهد فى الدنيا بل الزهد فى الآخرة أيضا. ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصائب. والزهد فى الدنيا طريق إلى الجنة. الزهد فى الدنيا والنظر إلى أسفل وليس إلى أعلى وحب المساكين والرضا من الدنيا بكسرة. الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر. ويكون الاعداد للمستقبل بالفراغ قبل الانشغال، والغنى قبل الفقر،

(١) جـ ٣٨٣/٣٧٩/٩/١ جـ ٢٢٦/٥/١ وذلك مثل تفرقة كيركجارد من الصحابة من الدرجة الأولى (صحابية المسيح) والصحابة من الدرجة الثانية (كيركجارد).

(٢) جـ ٢٦١/١/٤ جـ ٥٣/٤/٤ جـ ٢٣٤/٩/١ جـ ١٧٠/٥/٢ جـ ١٧/١٣/٣ جـ ١٧/١٣/٣ جـ ٣٥٥/٩/١ جـ ٤٥٢/١/٤ جـ ٤٨٦ جـ ٢٦٦/٩/١ جـ ٣٦٦/٣٦٤/٣٦٤ جـ ٢٨٢-٢٨٢/٣٦٤ جـ ٢٧٥/٧/١ جـ ٢٤٤/٨/٢ جـ ٣٦٦/٣٦٧-٣٦٦/٩/١ جـ ٢٧٥/٧/١ جـ ٣٣٣/٩/١ جـ ٥١٩/١/٤ جـ ٣٨٢-٣٨٢/٣٧٣/٩/١ جـ ٢٢٨/٣٢٤/٨/٢ جـ ١٦/٣ جـ ٦٥ جـ ٣٠٥-٣٠٤/٧/٣ جـ ٢٥٠/٨/٢ جـ ٥١٩/١/٤ جـ ٢٧٣/٩/١ جـ ٢٢٣/٩/١ جـ ٣٢٧/٩/١ جـ ٣٨١-٣٢٧/٩/١ جـ ٥٠-٤٩/٢.

والصحة قبل المرض، والشباب قبل الهرم، والحياة قبل الموت. والشعائر نفسها طرق أخلاقية مثل الصوم طريقاً للصحة وكذلك السفر من أجل الغنم. والعبادة الصادقة أن يعبد الإنسان الله أنه يراه فإن لم يراه فإنه يراه، من الموضوعية إلى الذاتية أو من الذاتية إلى الموضوعية. وليست الغاية من الشريعة العقاب بل التقوى. لذلك لزم درأ الحدود بالشبهات. والحلف باليمين لا يكون في المعصية<sup>(١)</sup>.

ولا تكفى الأخلاق الفردية. هناك أيضاً الأخلاق الجماعية مثل الصلاة في المسجد جماعة، وأن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه كشرط للإيمان. ونسبة الأفراد في المجتمع كنسبة الأعضاء في الجسم الواحد، نسبة جسمية وليست روحية. والأمة مترابطة، نفس واحدة، دماؤهم وأموالهم حرام فيما بينهم، أقوىاء على من سواهم. وكل أمة منقطعة إلا أمة محمد. وكل نسب منقطع إلا نسبه. والنسب روحى لا بدنى. طريق الأمان هي أمة آخر الزمان. يحشرون مع الأنبياء. آثرت الجوع بعد أن أشبعها الله، والعطش بعد أن رواها الله، والعري بعد أن كساهم. بل تركوا الحلال. صاحبوا الدنيا في أبدانهم دون تعلق القلوب بشيء منها. وطريقها طريق النجاة، هم صحابة الرسول. وهي وصية الرسول لأبى هريرة في نهاية الرسالة التاسعة مثل وصايا لقمان لابنه. يغلب عليها الوضع لإيغالها في التصوف وترك الدنيا. لذلك كان محاور الرسول أبا هريرة. ويظهر الطابع الاشرافى في الثنائيات المتعارضة بين الدنيا والآخرة، النفس والبدن<sup>(٢)</sup>.

وقد يكون الحديث قصيراً في الحث على تقوى الله. ويدخله أبو ذر محاوراً مرتين، يطلب الوصايا ثم الزيادة فيها اثنا عشرة مرة. وهو نموذج للحديث المركب الذى يبدأ بالتقوى. ثم ذكر الله وقراءة القرآن ثم الجهاد رهبانية الأمة ثم النظر إلى أسفل وليس إلى أعلى، ثم أقل الكلام في حب المساكين، ثم الغربية في الدنيا، ثم قول الحق ولو كان مرا، ثم الشجاعة الأدبية، ثم الرضا والزهد في الدنيا، ثم كظم الغيظ والاحسان في مقابل الإساءة، ثم التحذير من حب الدنيا، ثم النصح للناس، ثم النصح للنفس عن طريق الصعود الحزونى من الخارج إلى الداخل من أجل الصعود من الداخل إلى أعلى. وقد يستقل جزء منه ليصبح حديثاً مستقلاً مثل الجهاد رهبانية هذه الأمة. والتقوى باطنية وليست ظاهرية كما هو الحال في أقوال

(١) جـ ٢٨٢/٤٩٧/١/٤ — جـ ٣٢٤/٨/٢ — جـ ٢٨١/٦/٣ — جـ ٣٤٣/٨/٣ — جـ ٧٦/٥/٤ — جـ ٤٩١/١/٤ — جـ ٩/١ — ٣٨١ — ٢٧٨ — جـ ٢٧٢/٩/٤.

(٢) جـ ٣٢٨/٨/٢ — جـ ٤٠٣/٣٦٧/١١/٤ — جـ ٢٥٨/٩/٤ — جـ ١٢٧/٦/٤ — جـ ٥٣/٤/٤ — جـ ٣٧٩/٩/١ — جـ ٧/٤ — ١٤٧ — جـ ٤٠٣/٣٦٧/١١/٤ — جـ ٢٦١/٢٥٨/٩/٤ — جـ ٥٣/٤/٤ — جـ ٣٧٩/٩/١.

المسيح. وقد يكون تكرار الحديث صحيحا في المعنى ولكن موضوعا في الصياغة. فالخلاف في الاخراج وتحويله من قول مباشر إلى حوار كى يكون أكثر تأثيرا في النفس<sup>(١)</sup>.

وقد يكون المحاور من أجباء الرسول مثل حوارىي المسيح، أسامة بن زيد الذى يتدخل لتقطيع الحديث طالبا تحديد الطريق ورمزه الصوم، ودعاء الجائع مستجاب. وتصف بعض الأحاديث أحوال الرسول وأفعاله وبكائه شوقا إلى رؤية جماعة المؤمنين حتى اشتد البكاء وعلا النحيب، تأييدا للمضطهدين وتعاطفا معهم. وقد يدخل عمر محاورا ويسأل إذا كان الناس على الاسلام وهم يقومون بالاضطهاد، ولماذا يقتل من أطاع الله؟ ويجيب الرسول بأنه حب الدنيا. ويقرن الحديث بالآيات تدعيما له وتطابقا معه تغطية للظن باليقين. وتغير المحاور لا يعنى تغير الحديث إنما فقط تغير المناسبة. والحديث الطويل لا يتكرر لأن الذاكرة لا تعيه، خلق وقتى فريد. إنما الذى يتكرر هو الحديث القصير الأقرب إلى جوامع القلم<sup>(٢)</sup>. ويمكن للحديث أن يطابق كل عصر. فسبب النزول يتكرر عندما تلائم بنيته النفسية أى عصر مثل حب الدنيا من فريق واستبعاد فريق آخر<sup>(٣)</sup>.

والمجتمع أيضا أخلاق وعمران وسياسة. فالاستعانة على كل صناعة بأهلها. والشورى اساس الحكم والتعددية والخلاف فى الرأى. وتتووع أحاديث الامامة بين المعنى الضيق أى السياسة والقيادة بالمعنى العام وخصائص الشعوب وحركتها فى التاريخ إلى إمامة الدول. وتظهر الفاظ الفرق مثل الخوارج فى مقابل عموم المسلمين دون ذكر للشيعنة والامامية والباطنية وان كانوا حاضرين على نحو غير مباشر. تكثر الأحاديث فى الامامة لأنها الباب إلى السياسة<sup>(٤)</sup>. كل إمام راع ومسؤول عن رعيته. وهو الذى يحمل الراية، كرار غير فرار، ويكون الفتح على يديه. وعلى نموذج الامام. والرسول وعلى أبوا هذه الامة. الرسول مدينة العلم وعلى بابها. وعثمان ولى الأمة بعد عمر. وكل أصحاب الرسول هداية وقدوة. ويتم التحذير من القائد المنافق، حلو اللسان مر القلب. وقد يكون الثناء على شعب بعينه مثل شعب فارس المؤمن فى أول الزمان وفى نهايته وحامل العلم مما يدل على ارتباط التاريخ بالسياسة والسياسة بالتاريخ. هناك شعوبية فى انتقاء الأحاديث عن فضل فارس فى مقابل الأحاديث عن فضل العرب. وحتى

(١) ج ٣٨٢-٣٨٢/٩/١ ج ١٣٠/٥/٢ ج ١٧/١٣/٣ ج ٢٣٣/٩/١ ج ٣٠٥-٣٠٤/٧/٣ ج ٦٥/١٦/٣

ج ٣٤٣/٨/٣ ج ٢٨٢/٦/٣ ج ٤٨٦/٤٥٢/٤٩٧/١/٤ ج ٢٨/١١/٤ ج ١٥٥/٣/١

(٢) ج ٣٧٨/٩/١-٣٨١

(٣) مثل حب الدنيا فى الخليج واستبعاد الاسويين.

(٤) ج ٣٣١/١١/٤ ج ٣٤٤/٨/٢ ج ٤٨٩/١/٤-٤٨٤/٤٩٠-٤٨٥

لو صحت تاريخيا فان استعمالها شعوبى. ومن علامات الساعة خدمة المسلمين أبناء فارس والروم وقتل الانتفاء وتغير الزمان وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال<sup>(١)</sup>.

وتظهر أحاديث آخر الزمان والخلاص فى المستقبل على يدى المهدي. فقد جاء الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء. وقد يكون الخلاص على يد أربعين رجلا من الصالحين على ملة إبراهيم الذى عاش فكره، واستمسك بالتوحيد نظرا وعملا حتى النهاية، الايمان بالله والاستغناء به عن سواه. ويتحد مجتمع المؤمنين بالطبيعة والكون، بالأرض والسماء، فالخلاص فردى واجتماعى وتاريخى وكونى<sup>(٢)</sup>.

هـ - رسالة الجامعة. وفى رسالة الجامعة هبط الموروث إلى النصف تقريبا<sup>(٣)</sup>. وأكثره فى الجزء الثالث فى حين كان فى الرسائل فى الجزء الرابع. وتختلف نسب الوافد والموروث فى كل جزء<sup>(٤)</sup>. ويبدو التحول من الوافد إلى الموروث إلى الموروث بلا وافد إلى غياب الوافد والموروث معا من أجل الإبداع الخالص. كما قل استعمال لفظ "القرآن". وقل أيضا ظهور أسماء الأنبياء<sup>(٥)</sup>. وتختلف الآيات طولا وقصرا. والغالب القصر كعامل مساعد. وقد تتوالى الآيات دفعة واحدة كما يفعل الخطيب والواعظ والفقهاء وأهل السلف قدماء ومحدثين. وأحيانا تكون الآية بديلا عن العبارة وليس استشهادا على قول. فالقرآن لغة شعرية تكمل الخطاب النثرى. وتبدو الآيات بالرغم من كثرتها غير دالة، مجرد تجميع دون

(١) ٥٣٤/٢/٤ - ٣٨٣/١١/٤ - ٢١٣/٥/١ - ٥٣/٤/٤ - ٤٦٠/١١/٤ - ٧٥/٥/٤ - ٤٨٤/١/٤

٤٩٠ - ٤٨٩/٤٨٥ - ٤٤١ - ٤٤٠/١/٤ - ٩٩/٥/٤ - ٢٩٠/٨/٢ - ٣٧٨/٩/١ - ٣٨١

(٢) ٢٧٠/٩/٤

(٣) هبط مما يزيد على الالف آية إلى ٥٨٠ آية. ١ - (١٣٠) - ٢ (٩٦) - ٣ (٢٣١)، ٤ (٢٤) المقمة (٨٧).

(٤) فى القسم الأول : ١- وافد بلا موروث (١٢/١١/١٠/٤/١) = ٥.

٢- وافد وموروث (١٤/١٣/٩/٧/٦) = ٥.

٣- موروث بلا وافد (٨/٥) = ٢.

٤- لا وافد ولا موروث (٣/٢) = ٢.

فى القسم الثانى : ١- وافد بلا موروث (٢).

٢- وافد وموروث (١٧/١٢/١١/٨/١) = ٤.

٣- موروث بلا وافد (١٦/١٥/١٤/١٣/١٠/٩/٧/٥) = ٨.

٤- لا وافد ولا موروث (٥/٤/٣/٢) = ٤.

وبالتالى يكون التخرج كالتالى ١٠٠:١٠٠:٦.

(٥) قل استعمال لفظ القرآن من ١٠ إلى ٣ ، وأدم من ١٠٠ إلى ٣٣ ، وموسى من ٨٠ إلى ١ ، ونكرت حواء

(٤). وبقت أسماء هارون وإسماعيل والثنوية وشريعة، واللغة العربية، ولخوان الصفا وخلان الوفا، وكليلة

ودمنة والحجاز وبلاد الشرق وبلاد الغرب (١).

توظيف. ويتم الحديث عن الاخوان بضمير الغائب الجمع وكان الملخص كمي دون آية دلالة كيفية. وقد تبلغ النصوص حد سورة بأكملها واعتمادا على سلطة النص دون تصورات خاصة بل مجرد صلوات وأدعية. وتحول رسالة الحيوان إلى آيات الحيوان اتجاها نحو التفسير الموضوعي للقرآن. وأحيانا لا توجد قضية لاثباتها بالنص بل مجرد استعمال الآيات كأسلوب انشائي بطريقة الأزهر وطبعات حوارى الازهريين عن المعاد وعالم الجن والملائكة لا توجد حجج أن استشهادات بل مجرد رصد مادة خام مثل: المعجم المفهرس<sup>١</sup> عن مشاهد القيامة دون تأويل أو فكر جمالي، مجرد تقابل آيات ووقائع<sup>(١)</sup>. وكما هو الحال في الرسائل من الاقل إلى الأكثر إلى الأقل تغيب آيات العدل، وتقل آيات التوحيد ثم تكثر آيات النبوة والمعاد. ثم يقل من جديد الايمان والعمل، وتكاد تغيب الامامة. وقد تنتهي العقليات لحساب السمعيات، والالهيات لحساب النبوات. وتطغى النبوة والمعاد على الايمان والعمل. وتكثر الآيات في رسالة البعث والقيامة والحشر والحساب وكيفية المعراج، فالموضوع هو الاغتراب خارج العالم المفقود وتعويضاً عنه<sup>(٢)</sup>. وأحيانا لا تذكر عناوين الرسائل بدقة، وتختلط بصلب نصوصها مما يدل على أن التلخيص قد تم عن وعى وبلا رؤية.

وتقوم كل الآيات المنتقاة على ثنائية الخير والشر، الجنة والنار. وكل آية لها تأويل مقابل من أجل بيان التضاد بين الحق والباطل، العدل والظلم. فالتضاد الديني ما هو إلا تعبير عن التضاد السياسي. وهي مقياس الاختصار، الابقاء على الآيات الاشرافية وحذف غيرها لأنها عمدة الرسائل.

ولا فرق بين النفس والطبيعة. الكل نماء وحياء وإشراق. وتغيب الآيات الاجتماعية الموجهة إلى أوضاع العصر كما تفعل بعض الحركات السلفية الاصلاحية المعاصرة.

وأحيانا يكون استعمال الآية في غير محلها. ويتحول سبب النزول من الواقع التاريخي الأول إلى الوضع النفسي الحالي لدرجة الافتعال في الاستشهاد. وأحيانا يبدو القصد إيجاد مناسبة للاستشهاد بالآية. وتكرر الآيات بنفس المعنى وفي نفس السياق وكان المقصود هو مزيد من الاقناع أو اللزمة الشعرية من أجل ضبط الايقاع النفسي. ويتم التوجه نحو العواطف للتأثير واستبعاد العقل لنزع المقاومة ومنع الاعتراض، واستعمال النصوص للتستر والتغطية اعتمادا على السلطة. لا يوجد اقناع عقلي بل تملق لأذواق الجمهور بطريقة حسية ساذجة، وإيهامهم بالخلاص مع كثرة البسملات والحمدلات لتجريد الفرد من سلاح الفردية.

(١) لذلك يمثل "في ظلال القرآن" لسيد قطب خطوة إلى الامام بالتحول إلى التصوير الفني لمشاهد القيامة.

(٢) تتكرر حوالي ١٠٢ آية على ١٥ نفقة.



يخرج على هذا العهد. ومن لم يشهد تحول قردا أو خنزيرا وعيد الطاغوت، وتحول إلى حجارة أو حديد، وأوتى من الأموال والأولاد وكل ما وعدة الشيطان من شرور. ويضرب القرآن المثل بالشجرة الخبيثة التي ليس لها قرار أو ثمار. وخلق الناس من نفس واحدة<sup>(١)</sup>. وقد تم الخلق بالحق. وكل شيء خلق زوجين كي تستمر الحياة. والقمر منازل، والإنسان خليفة الله في الأرض، كل شيء في الطبيعة مسخر له، والانعام بدفنها، والاطعام منها، وحملها الانتقال. ويسير الخلق طبقا لسننه وليس لسنة الله بتبديل<sup>(٢)</sup>. ولم يكن لأدم عزم. نهاه الله عن الأكل من الشجرة فظلم نفسه وزوجه وكشف المستور وبان العرى. فخرجا من الجنة بعضهم إلى بعض عدو إلى حين، من غرور الناس بعضهم ببعض، وغواية الشيطان إلا عباد الله. وقد طلب إبليس الانتظار تحديا للإنسان لغوايته وليزين له زخرف القول إلا عباد الله الذين ليس عليهم لابلis سلطان. وقد تلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه<sup>(٣)</sup>.

وفي الذات والصفات تظهر صفة الوجه وهي تعادل الوجود، وصفة البقاء، فكل شيء هالك إلا وجهه، وصفة التنزيه والتسييح والتعالى عن الوصف. وهو أحد. تسبح له الملائكة، يعملون بأمره، وهم صافون حول العرش، وسعت رحمته كل شيء. وأمره لكل شيء كلمح البصر. علمه شامل، لا يضل ولا ينسى. يعلم السر وما يخفى، ويحصل ما في الصدور، ويعلم مستقر الحب ومستودعه<sup>(٤)</sup>. قدرته مطلقة، يقدر كل شيء بتقديره. ولا تستطيع الجن أن تتفذ إلى السماء إلا بسطان. ومن عصى منهم قلة العقاب. وقد خلقوا لعبادة الله. والله يمسك السموات والأرض أن تزولا، وتأتياته طائعين. وهو كل يوم في شأن، رزاق ذو قوة متينة. يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. له الأسماء الحسنى، عالم الغيب والشهادة، له الخلق والأمر، يمسك السماء ثم يبقها، ويفجر في الأرض الماء ويجففها<sup>(٥)</sup>.

وفي خلق الأفعال تظهر الآيات التي تدل على الجبر والرضا بالقضاء والقدر أول الكسب على أقصى تقدير. فالله هو الرامي، وهو المتم نوره. يمحو ما يشاء. الهداية من الله، فضل يؤتيه من يشاء، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. والله متم نوره مهما حاول أحد أن

(١) جـ ٥٠٠-٦٣/٢٦/١٠٣/١١٩/١٠٨/١٤١/١٥٣/١٨٠/٢٠٦-٢٠٧/٢٢٦/٢٦١/٣١٣/٣٥٨/٤٢٥/ ٢٨٣/ ٣٥٣-٣٥٢/٤٠٧/٨٧/٨٥

(٢) جـ ١٦/١٧/٨٥/٢١٤-٢١٥/٢٨١/٢٦-٢٧/١٦٣/١٦٤/٣٨٥/٣٢٦

(٣) جـ ٥٠٩/٥-٤٦٠/٦٨/٦٩-٧٤/٧٧/٨٣/١٢٣-١٢٤/١٢٤/٩٠/١٢٧/١٦٩/٢٥

(٤) جـ ٥/٤٩٤/٤٦٠/٤٦١/١٩/٣٦٥-٣٦٤/٤٦٢/٤٦٣-٤٦٤/٢٥٧/٢٦٨/٢٥٧/٣١٤/٣٩٤-٣٩٣/٤٠٣/٤١٤/٤١٤/٤٠٧/٢٦٣/٣١-٣٠

(٥) جـ ٥/٥٢٨/٥٢٨/١٥-٧٠/٣٩٢/٧١-٧٠/٤٢٧/٤٣/١٩٨-١٩٦/٤٢٧/٤٢٧/٥٠٤/٣٩٢/٧١-٧٠/١٥/٤٩٠/٥٢٨/٥/٤٠٨/٣٩٤/٣٧٥/٣٢٥/٢٨٦/٢٨٠/٢٧٥/١١

يمنعه. والرزق من الله. وأحيانا يبدو التيار الاعتزالي في بعض الآيات مثل التكليف طبقاً للطائفة، وأن الانسان حر يختار أحد الطريقتين، النجاح والفوز والخلود أو الشقاء والفناء والخسارة. فإله برىء من الشر. وأحيانا يظهر لفظ الكسب، كسب الأفعال بعد الإيمان بالله. والله ينصر المؤمنين وجبريل وصالح. ومولى المؤمنين على. وتغيب آيات العقل إيجاباً أم سلباً نظراً للطابع الاشراقى لنظرية العلم<sup>(١)</sup>.

وفى النبوة تظهر عدة آيات أخرى. فإله لا يكلم البشر إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا. فالرسول مجرد إنسان يوحى إليه، يرسل بلسان قومه. وما عليه إلا البلاغ والانداز. فالنبوة تذكرة وبشارة ونذير وإعلان. وهى أمر وطاعة، امتثال للأوامر واجتتاب للنواهى. وقد اصطفى الله انبياءه فرجع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل. وشرع الله من الدين ما وصى به نوح وإبراهيم وموسى وعيسى لاقامة الدين دون تفرق فيه. ثم حرف أهل الكتاب القلم عن مواضعه، يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون من عند الله. والقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. نزل به جبريل على قلب محمد بلسان عربى مبين. لا يمسه إلا المطهرون. يؤمن به كل الناس. ويصدق ما فى الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى. وموسى كلم الله، أبلغه الله رسالته، وناداه من جانب الطور. وأبلغ الرسالة إلى أحمد بالوحدة وعدم التفرق<sup>(٢)</sup>.

وفى المعاد تذكر آيات البعث والحساب بداية بعلامات الساعة، تكوير الشمس وتسخير البحار، وتزويج النفوس، وسؤال الموقودة عن ذنبها، ونشر الصحف، وكشط السماء، وسعر الجحيم، وأزلاف الجنة. حينئذ تعلم النفس ما أحضرت. وكلها صور حركية يمكن تأويلها بأى مضمون إشراقى أو اجتماعى. فاشراق القدماء يعادل ثورة المحدثين، هروب روحى وعمل سياسى. والآيات تسمح بذلك، لغة الستر والكشف فى أيديولوجية الصراع بين الخير والشر، الأنا والآخر، الأصدقاء والأعداء، والمدبرات أمرا. ثم إلى الله يرد كل شىء واليه يرجع الأمر. يبدأ الخلق ويعيده. ويثبت بقياس الأولى. فبعث العظام أصعب من الخلق، والخلق أسهل من البعث. والكل يعود إلى الله<sup>(٣)</sup>. والمسؤولية فردية صرفة، لا يعرف المرأ أخيه وأمه وبنيه وصاحبته. الخلق فرادى دون شفاعة. تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها. حينئذ يتبرأ المتبوع من التابع. ويغيب قانون الاستحقاق كما هو الحال عند

(١) جـ ٥٣٣/٥٤٩٨/٢٩٨/١٨٩/٢٩٥/٢٩٨/٣٥٦/٤٤١/٥٠٨/١٥/٢٣/٤٧/٤٤٩-٤٤٩/٣٥٥/٣٩٨.

(٢) جـ ٤٦٦/٥٤٦٦/١٧٨/٢٤٩/١٧٨/٣٨/٢٢٣/٥١٦/٤٦٣/١٥/١٧٨/٤٣٧-٤٣٧/٥٠٩/٢٩٩/٥٠٩/٥٢٠/٥١٠/٤١٠/٢٠٦-٢٠٥/٥١٤/٤٧٤/١٥٤/٢٤٤/٢٤١/٣٦٥/٥١٦/٤٦٣/١٧٨/٤٢٦.

(٣) جـ ٥٠٠/٤٨٩/٣١٤/٥٢٣/٣١/٢٩٥-٢٩٥/٢٩٩/٤٤٩-٤٤٩/٥٠١/٤٣٢-٤٣٢.

الأشاعرة. الثواب والعقاب مرهونان بالمشيئة الالهية. ومع ذلك ينفع الصادقين صدقهم. ويشهد كل نبي على أمته. ويشهد الرسول على الأمم كلها. وتوضع الموازين بالقسط، وكل نفس حسيبة على نفسها دون ظلم أو جور. الخير بالخير والشر بالشر ولو مقال ذرة. والموازين الثقيلة تنجى، والموازين الخفيفة تؤدي إلى الهلاك. والاختصاص يوم الفصل لا يفيد لأنه لا مجال للزمان. وقد تم التنبيه من قبل في الزمان. ووعده الله حق. ولم يستجيبوا له. فاللوم عليهم. وتقف الملائكة والأرواح صفا. لا يتكلم أحد منهم إلا بإذن، ويتكلمون صوابا. والكل راجع إلى ربه يسبح له. ولكل مقام معلوم<sup>(١)</sup>. وكل شيء مسجى ومحصى ومعد. والوعد صادق. وتشهد اللسان والأيدى والأرجل والجلود بما كانوا يعملون فيستحقون جزاء الأعمال دون ظلم<sup>(٢)</sup>. ويأتي مع كل نفس شهيد من نفسه وجسده ولا يتكلم أحد يوم الفصل إلا بإذن. ويفرح المؤمنون بالعودة إليه. ويشعر الجميع أنه لم يبرح إلا منذ يوم ومقداره ألف سنة أو خمسون ألف سنة. وتتكاثر الصور الفنية. إذ ينفخ في الصور، ويعصف بالسماء والأرض، وتشرق الأرض بالنور، وحيء بالنبيين والشهداء، وتوتى كل نفس ما عملت خيرا أم شرا. ويأتى الله في ظل من الغمام. وتزلزل الأرض. وعنده علم الساعة، وما تكسب النفس وبأى أرض تموت. والروح من الله ولم يؤت الانسان إلا قليل من العلم. ويظهر التقابل بين الخير والشر في المعاد بين أصحاب اليمين فى سدر مخصوص وطلع منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة وفرش مرفوعة فى مقابل أصحاب الشمال فى سموم وحميم. كتاب الأبرار فى عليين، كتاب مرفوع، يشهده المقربون، وكتاب الفجار فى سجين. البلد الطيب يخرج نباتا طيبا، والبلد الخبيث يخرج نباتا نكرا. وهناك أهل الاعراف، يعرفون بسيماهم، حالة افتراضية للتريجيج، وإلى الخير أقرب للميل الطبيعي نحوه<sup>(٣)</sup>.

ويعجل المؤمن إلى الله ليرضى. وهى النفس المطمئنة التى ترجع إلى ربها راضية مرضية. وطوبى للمؤمنين حسن المأب. يظنون أنهم ملاقوا ربهم. ينالون النعيم الحسى والروحى. يسقون ويطعمون، ويعيشون بلا غل فى الصدور، على سرر متقابلين وحسن الرفاق. لهم نخيل وأعنان. يستقبلهم أهل الجنة، تحيتهم فيها سلام وليس فيها شمس ولا زهرير. صحفهم مكرمة، مرفوعة مطهرة، بأيدي كرام بررة. يذهب الله عنهم الحزن،

(١) جـ ٤٥١/٥-٤٤٢/٤٤٣-٤٣٣/٤٣٤-٤٤٧/٤٤٨-٤٤٨/١٧١/١٥٦-١٨٥/١٩٠-١٩١/٢٣٣/٣١٠-٤٤٩/٤٥١-٢٩٧/٢٥/٤٤٣

(٢) جـ ١٥٤/٥-١٥٥/٢٣٢/٣٤٧/٩٢/١٥٤-١٥٥/٢٣٢/١٥٥-٢٠٦/٢٠٧-٤٤٥/٤٤٥/١١٧/٥٩-٤٤٣/٤٤٤-٤٢٩/٤٢٨/٤٣٢-٤٣١/٣٦٠/٣٥٦/

(٣) جـ ١٧٤-١٧١/٣٧٥/٢٢٥/٨٨/٥-١٦٩/٤٣٨/١١٥/٣٦١/١٧٤-١٧١/٣٧٥/٢٢٥/٨٨/٥-١٧٠.

ويحلهم دار المقامة دون نصب أو لغوب. فنعم أجر العاملين. والملائكة من حول العرش، يحمله ثمانية. وتوفى كل نفس ما عملت. ينعم الله عليهم ولا يغضب. ويستغفرون، فقد وسعت رحمته كل شيء<sup>(١)</sup>.

وعندما يأتي أمر الله دون استعجال يحجب الكافرون عن ربهم. وتتحسر كل نفس على ما فرطت في جنب الله، وتتمنى لو كانت ترابا. ترى ما عملت من سوء محضرا، وتتمنى لو كان بينها وبينه أمد بعيد. ولا ينفعها جدالها عن نفسها أو الندم. ويعض الظالم على يديه ويتمنى العودة بعد فوات الأوان. ولا يمكن رده كي يعمل صالحا. ويحاسب قوم عيسى عما نقلوه عن لسانه واتخاذه وأمه إلهين من دون الله وإنكار المسيح ذلك. وقد آمن بعض أهل الكتاب بالطاغوت. قتلوا فريقا وكذبوا فريقا، وأشركوا بالله ولم يؤمنوا به. ظلموا أنفسهم وآمنوا بالطاغوت، وقلدوا غيرهم من الأمم حيث لا ينفع الندم والتفريط في حق الله. ولا يدخلون الجنة حتى يدخل الجمل في سم الخياط<sup>(٢)</sup>. وينكشف الخداع في العمل، العمل للدنيا رياء للناس والذي لا ينفع في الآخرة، ويذهب هباء منثورا. وتبرز الجحيم للغاوين. شياطين الجن والانس يوحون بالغرور. لم يطعموا المسكين، ولم يكونوا من المصلين. بل خاضوا مع الخائضين، وكذبوا بيوم الدين، وأخذوا أموال الناس بالباطل، وقالوا زخرف القول غرورا، فكانوا كالانعام أو أضل سبيلا. يأتي السماء بدخان مبين، ويغشى الناس عذاب أليم، ويردون سكارى وما هم بسكارى، ويلقون عذابا شديدا، وتكون السماء دخانا. ولا يخفف عنهم العذاب، وتغير جلودهم لمزيد منه. نار الله الموقدة تطلع على الأفئدة. وأعد الله لهم سلاسل وأغلالا وسعيرا، أمة يدعون إلى النار كأنهم أعجاز نخل خاوية، مقرنين في الأصفاد، سرايلهم من قطران، تغطى وجوههم النار. حينئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم، ولا تنفع نفس إيمانها إلا إذا آمنت من قبل، والأخلاء اليوم بعضهم لبعض عدو إلا المتقين. تشهد عليهم جلودهم، يملؤون النار هم وأتباعهم. لهم مقامع من حديد، ولهم فيها زفير وشهيق. حينئذ يتصل الشيطان من غوايته ويوقع المسؤولية على ظلم الانسان. والخاسرون في الآخرة رضوا بالحياة الدنيا، أعمالهم حسرات عليهم، ولا ينجون من النار. فخسروا الدنيا والآخرة، يصلون نارا حامية، يحسبون أنهم يحسنون صنعا. أعمالهم حسرات عليهم، يؤخذون بالتواصي والأقدام. ومن ورائهم برزخ إلى يوم البعث، ويعرضون على النار غدوة وعشيا. والتركيز

(١) جـ ١٠/١٦٥/١٤٣/١٧٣/٣٠٤/٢٢/٢١٣/٢٢٣/٢٥٨/٣٢١-٣٢٠/٣٥٩/٢٢/٥٠٤/٣٥٨/٢٨٩ / ٤٨٨-٤٨٧

(٢) جـ ٥/٤٤٥-٤٤٦/٤٤٨/١٠٣/٢٣١/٢٣٤/٣٥٢/٢٨١/٣٠٩/٤١٠/٤٣١-٤٣٢/٤٤٦-٤٤٧/٤٤٢/١٤٠ / ٣١٥/٢٦٨/٣١٧/٢١٣/١٧٤.

على المعاد على هذا النحو إنما هو رد فعل على مآسى العصر والرغبة فى الانتصار كما هو الحال فى نشأة الأخرويات فى تاريخ الأديان<sup>(١)</sup>.

وفى الإيمان والعمل تذكر آيات تجمع بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح فشرط المحبة اتباع الله، والذكرى والصبر طريق النجاة. وعبادة الله والعدل والاحسان وإتداء ذى القربى وتجنب الفحشاء والمنكر والشكر والتوبة، كل ذلك يؤدى إلى اليقين، وذكر اسم الله والتسبيح له فى الغدو والآصال وعدم اللهو بالبيع والتجارة عن ذكر الله. وخير الزاد التقوى، والشريعة نور الله الذى يتم دون إطفاء. والأمانة حملها الانسان بعد أن رفضتها السموات والأرض والجبال مشفقين منها. ومضمون الإيمان الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل. قمته الجهاد، جهاد النفس، والعزلة عن الظالمين الذين يقتلون الأنبياء، ويكفرون بهم<sup>(٢)</sup>. فى مقابل أعمال أخرى تؤدى إلى الهلاك مثل النفاق الذى يؤدى إلى الاستهزاء بالمؤمنين والطمع مثل من له تسع وتسعون نعجة ويطلب من أخيه نعجة الوحيدة، وتكذيب الأنبياء وقتلهم، وهى أعمال الخاسر الذى بيته أهون من بيت العنكبوت<sup>(٣)</sup>.

والتجمع طبيعى فى البشر بل وفى الحيوان. فالذباب والطيور أمم وفى المجتمع أحزاب، كل حزب بما لديهم فرحون. وحزب الله هو الناجى وحزب الشيطان يريد إطفاء نور الله والله متم نوره ولو كره الكافرون. وينصر الله الذين استضعفوا فى الأرض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين، ويهلك فرعون وهامان وجنودهما مما كانوا يحذرون. ويتكون فريق فى الأمة للتفقه فى الدين وإنذار القوم. وهنا تبرز الامامة العملية على استحياء<sup>(٤)</sup>.

وتذكر فى الجامعة عشرة أحاديث يتكرر منها حديث الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر مرتين. وهو حديث ضعيف يحول الجهاد من الخارج إلى الداخل، والعدو من الخارج إلى الداخل<sup>(٥)</sup>. ثم يظهر التشيع خاصة فى أحاديث فضائل على وخلافته. فالرسول وعلى أبوا الأمة، ولا إله إلا الله عنوان المسلم. والله هو الدهر، لذلك لا يجب سبه. ولذلك جعل الفلاسفة

(١) جـ ٥/٤٣/٢٠٨ - ٢١/٢٩٦-٢٩٧/٣١١/٤٤/٤٤٣-٤٤٣/٤٣٢/١٢٦-١٤٠/٤١/٢٥٩/٤٢٧

٥٠٥/٤٤٩-٤٥١/٣١٧/٣٦١/٥٠٧/٥٠٠/٤٨٩/٣١٤/٢٢٠/٢٢٩/٢٥٠/٢٩٣.

(٢) جـ ٥/٤٦٢/٤٦٢/١٧/٤٦/٥٩-٦٠/٧١/٧٨/٨٠-٨١/٩٠/١٠٢/١٢٣/١٢٥/١٧٥/١٧/٤٦/٥٩-٦٠/٧١/٧٠

٨٠/٧٨-٨١/٩٠/٤٠٣/١٢٣-١٢٥/١٧٠/١١٥/٣١٢/٩٠/٥٠٨.

(٣) جـ ٥/٥٢٣/٢٠٦-٢٠٥/٨٢/٨٧.

(٤) جـ ٥/٤٧٢/١١٥-١٧٨/١٧٩-٤٧٤/٤٧٥-٣٩.

(٥) وقد تمت معالجته فى الفكر الاسلامى المعاصر عند الشهيدين حسن البنا وسيد قطب.

الزمان قديماً. وهناك عدة أحاديث عن آخر الأنبياء وآخر الأمم ووقت ظهورها<sup>(١)</sup>. ويستعمل لفظ القرآن ليدل على معاني عادية مثل ما ذكر فيه من بناء على المؤمنين أو المقارنة بين لفظ الجن والجنان والجنات أو آيات الصداقة والجن. كما تشير إلى ضرورة تأويله والتدبر والتفكير فيه وضرب الأمثلة على معانيه الخفية التي لا يدركها إلا الراسخون في العلم، والموعظة والتذكرة وضرورة تأويله. والمعنى الأهم والجديد هو دور القرآن أي مرحلته التاريخية التي تبدأ بها دولة أهل الخير وزوال دولة أهل الشر إلى أجل محدود في الدنيا ثم استئناف دور آخر في الآخرة. الدور الأول مجرد تذكرة ومثل، والثاني تحقق وتصديق. الأول هو السجن والثاني هو الخلاص. ولا يكون الخلاص للإنسان وحده بل للحيوان والطبيعة. الأول القرآن الرأسي الذي يستغله الظالم والثاني القرآن الاقوى الذي يؤثر به المظلوم. الأول خارج التاريخ، والثاني داخل التاريخ<sup>(٢)</sup>.

و- قصص الأنبياء. ويعتمد الاخوان على قصص الأنبياء كملحمة تاريخية يظهر فيها الصراع بين الخير والشر، قراءة للحاضر القريب في الماضي البعيد. فالتاريخ يعيد نفسه في دورات وأكوار. وآدم هو الأكثر ذكراً لأنه أول الخلق وسره، ثم موسى الذي يمثل القوة في مواجهة طغيان فرعون، ثم المسيح الذي يمثل سر آدم في الخلق من جديد ووحدة الروح والطبيعة والنفس مع البدن، ثم إبراهيم خليل الرحمن الذي عارض عبادة قومه للإصنام، ثم محمد خاتم الأنبياء، ثم سليمان الذي علم منطق الطير، ثم نوح صاحب العزم ونجاته وهلاك من عصاه، ثم يوسف الصديق، ثم هارون رفيق موسى وداود صاحب المزامير، ثم لقمان الحكيم، ثم إدريس هرمس الحكيم، ثم يعقوب، ثم اسحق وشعيب وصالح، ثم يحيى ويونس، ثم يوشع ونون والخضر وهود وإسماعيل ومريم وزكريا<sup>(٣)</sup>. ولكل نبي قوم. فيشتق من آدم بنو آدم، ابن آدم، الأدميون، آدمى. وبنو اسرائيل قوم الأنبياء<sup>(٤)</sup>. ولكل نبي عدو، فرعون لموسى، وقارون نقيض لقمان، حب المال في مقابل حب الحكمة، وطالوت لجالوت. ومن الاعداء ابن

(١) ج-٥/٤٤٥-٤٤٦/٤٤٨/١.٣/٢٣١/٢٣٢/٢٣٤/٣٨١/٣.٠٩/٤١٠/٤٣١-٤٣٢/٤٤٦-٤٤٧/٤٤٢/٤٤٠/٣١٥/١٧٤/٢٢٨/٢١٣/٣١٧/٢٦٨

(٢) واستعمل لفظ القرآن عشر مرات ج-٥/٨٠/٢٠٨/٢١٣/٢٤٥/٨٣/١٧٩/٣٣١/٤٧٦/٨٧-٨٨/٧٩/٢٠٠. (٣) آدم (٩٠)، موسى (٨٠)، المسيح (٤٥)، إبراهيم (٤٢)، محمد (٣٠)، سليمان (٢٧)، نوح (١٧)، يوسف (١٣)، هارون، داود (٩)، يعقوب (٧)، لقمان الحكيم (٤)، إدريس، اسحق، شعيب، صالح (٣)، يحيى، يونس، يوشع، نون، الخضر، اسماعيل، مريم، زكريا (١).

(٤) مثل بنو آدم (٨٣)، ابن آدم (٦)، الأدميون (٣) آدمى (١)، بنو اسرائيل (٦)، آل اسرائيل (٣).

النمرود، هامان، قابيل وهابيل<sup>(١)</sup>. وتذكر بعض الأسماء العبرية والفارسية وأسماء الملائكة وأسماء بعض الشخصيات التاريخية العربية الإسلامية. كما تذكر بعض الاسماء الاسطورية كما هو الحال في علم الكلام في آخر فقرة في نظرية الوجود عن الجن والشياطين والقرايين لجرجاس والدعاء له والذي تنتش صورته على الهيكل، وهو جرجاس الجراجسة، وابليس الابالسة، وكبير الشياطين، وعظيم الجن أجمعين، رئيس سبعة وثمانين<sup>(٢)</sup>.

وتاريخ الأنبياء هو تاريخ الصراع بين الخير والشر، بين الحق والباطل، بين النور والظلمة، موسى وفرعون، قابيل وهابيل، إبراهيم والنمرود، نوح وابنه، المسيح واليهود. الصراع سنة الحياة مثل صراع إخوان الصفا مع إخوان الشياطين. ذرية بعضها مع بعض، ومعجزاتهم يؤيد بعضها بعضا بحيث يكونون مسارا واحدا في التاريخ بناء على الاختيار والاصطفاء والاختبار. لذلك يوبخ الله اليهود العصاة. الأنبياء هم شמוש بنى آدم والشيطان عدوهم أجمعين وقصصهم معه معروفة. لا يحيط بعلومهم أحد من البشر أو الفلاسفة إلا ما شاء الله. لم يذكر الله ذنوبا لهم في كتبه ليكونوا قدوة لغيرهم. اتفقوا مع الفلاسفة في التوحيد والعدل. وعلماء التأويل هم الأئمة وخلفاء الأنبياء. أخبروا عن نعيم الجنات كما أخبر الحكماء عن خلود الأرواح. غرضهم وضع النواميس والشرائع كما أن غرض الحكماء وضع السياسات والصلاح في الدنيا والآخرة. والايمان اقرار باللسان بما أتوا به. ولم يحرموا إلا الموسيقى التي تضعف النفوس لنيل شهوات الدنيا وليس الموسيقى التي ترهد في الدنيا طلبا للآخرة التي اشتغل بها الحكماء. والعلماء خلفاؤهم، يسرون على طريقهم وهم الأئمة المهديون الذين يقضون بالحق. الأنبياء والحكماء متفقون في الغاية. والخطورة في جعل الفلاسفة أو النبوة المصدر الوحيد واستبعاد الآخر وكلاهما من الله. موضوعهما واحد. ويستعمل الاخوان الشعر حول الأنبياء، إبراهيم ويوسف سليمان ويونس والمسيح وأسماء قابيل وهارون وماروت وأهل الكهف وأجوج ومأجوج والدجال. وهو شعر ركيك ولكنه قادر على صياغة القصص، ويكشف عن أهم الأنبياء والحكماء خاصة مع توافر الطابع الدرامي للصراع بين الخير والشر، وأثر السحر على الآدميين في أجسادهم، وقصة هاروت وماروت

(١) ابن النمرود(١٦)، قابيل وهابيل(٧) عاد وثمود، الفراعنة(١).

(٢) من الأسماء العبرية: عيصو، أصف بن برخيا(١٠)، بان(٥)، راحيل(١). ومن الأسماء الفارسية: خوشاك، مغان أردشير بن بابك(١). ومن الشخصيات التاريخية: أحمد، عائشة، بليس(١). ومن أسماء الملائكة: جبريل(١) ومن الاسماء الاسطورية حير جباس(٦) رئيس الايالسة(١) ولا يذكر من الاسماء التي تبدو يونانية إلا اثنان: بطليموس لتحديد آيات التاريخ عند اليونان ومسيطوس المصري كمصادر لحكمة اليونان

وهبوطهما من السماء إلى الأرض ومفارقتهما جوار ربهما والملائكة مثل مفارقة إبليس للملائكة باستكباره وعصيانه ومفارقة آدم الجنة من خطئه ونسيانه<sup>(١)</sup>.

ويذكر آدم أبو البشر بمفرده أو فى صيغة ذريته فردا. ابن آدم مرادف للإنسان أو جماعة "بنى آدم" مرادفا للبشر. خلق من طين ثم نفخ فيه بالروح. خلق مرتين، الأولى من الطين، والثانية من الروح. وخلقت به النسب الكونية. فأدم نموذج النسبة والتناسب والمقياس فى الخلق. قرنت النفس الانسانية بجسد آدم الذى خلق من تراب. وقد خلق الله آدم على صورته ومثاله كما جاء فى بعض الكتب. فهو مؤهل للطاعة. وخلق آدم عاريا وكانت الكواكب فى إشراقها، وأوتاد الأبراج قائمة، والزمان معتدل، وعلى رأسها شعر طويل. وكان قبل آدم الجن وعزرائيل وإبليس أسير، فرعون آدم. كان خلق آدم وحواء من الطين بعد كون الحيوان من الأرض، وآدم وحواء بحذاء الجوزاء من الشرق. اصطفاه الله وكرمه هو وأولاده من بين سائر الحيوانات. ومن فضائله كثرة العلوم<sup>(٢)</sup>.

وقد سجدت الملائكة لآدم ساعة الخلق إلا إبليس، رفض واستكبر وقرر غوايته إلى يوم الدين، وأخرجه من الجنة. وظل هو وزوجه فى الأرض دون حماية إلا أن الله ألهم عطاردا فألهم آدم النطق. وترمز قصة خطيئة آدم من السقوط والخلاص إلى محمد فى هذه الدنيا وحاجته إلى العون والخلاص منها، عالم الكون والفساد ومعاونة الاخوان الفصحاء أقرب إلى المسيحية منها إلى الاسلام. وبعد أن سقط آدم فى عالم الظلام احتاج إلى عالم النور. وكبر إبليس إحدى المعاصى، وامتدت إلى جسد قابيل، وكبر فرعون وكذلك أخذ ما ليس للإنسان واستحقاقه فسقطت رتبته، وانكشفت عورته، وشمت به أعداؤه. وشر الأخلاق كبر النفس، وحرص آدم، وحسد قابيل. وتقبل الله قريان أحدهما دون الآخر. والقصة كلها لا يمكن معرفتها بالعقل. لذلك أيدى الله بالوحي والالهام، وأنزل معه الكتاب ليدعو إلى الجنة التى منها خرج. وعلم الله آدم الاسماء كلها، منافعها ومضارها أى حقائق الكون. وأمر الملائكة بالصعود إلى الجنة. ثم علم آدم أولاده تلقينا وتعريفا لما تكاثروا. خلق الله آدم أبا للبشر وجعله ناطقا متكلما فصيحا مميزا بالقوة الناطقة والروح الشريفة والقوة العاقلة القدسية. وأصل الحروف والخطوط خطان ومنهما تركبت الحروف مثل صوت الانس كلهم من شخصين آدم وحواء. وهى الحروف التى

(١) ٢٣٩/٢١١/٥/١ - ٢٥١/٢١١/٦/١ - ٢٧٥/٧/١ - ٢٩٩-٢٩٨/٧/٣ - ١٤٤-١٤٣/٣/١ - ١٤٤ - ٥/١  
٢٣٩/٢١١-٢١٠ - ٢٥٤/٦/١ - ٢٧٥-٢٧٣/٢٧٧/١ - ٢٩٥-٢٩٤/٢٩١/٨/١ - ٣٦٣/٣٤٤/٩/١

٣٧٣ - ٢١٠/٥/١ - ٢٥١/٦/١ - ٢٧٥/٧/١ - ١٤٤-١٤٢/٥/٤ - ٣٢٧/٣٠٩/١١/٤ - ٣٧٥/٩/١  
(٢) ٣٤٣/٢٨٢/٢٨/٨/٣ - ١٨/١٤/١ - ٢٠٦/٨/٤ - ٦٣/١٦/٣ - ٢٢٩/٨/٤ - ٣٢٧/١١/٤ - ٣٦١-٣٦٠/٧/٤ - ٢٢٨/٨/٢ - ١١١/١٧/٣ - ٣٠٦/٨/٢ - ٢٢٨/٤/٢ - ١١١/١٧/٣ - ٣٠٦/٨  
٣٠٦/٨ - ٢٢٨/٤/٢ - ١١٢/٧/٣ - ٢٨٣/٨/٥ - ٤١٤/١/٤

علمها الله لهم. وأصل العلوم وأشكال الكتابات وفنون التأليفات لأهل الهند من الحروف التي خرجت مع آدم والتي بها عرف أسماء كل الموجودات. وعدد حروفها تسعة لمناسبتها للأفلاك التسعة الحاوية لجميع الموجودات. ثم تفرعت بعد ذلك واختص بها أهل الهند لأن آدم هبط بها من الجنة. وظل آدم يحفظ أسماء هذه الحروف ويتكلم باللفظ وينطق بالمعنى ويدل عليه. ولم يخط بيده بالقلم إلى أن ظهر علم الكتابة<sup>(١)</sup>.

ومع ذلك فهو خليفة الله في أرضه منذ الخلق حتى يوم القيامة لما به من مثال باق إلى يوم الدين. هو الإنسان الأول، النفس الكلية، أبو البشر الترابي، له الحكم في هذه الأرض والربوبية على جميع من فيها إلى يوم القيامة. حذره الله من إبليس الذي رفض السجود له والاستخلاف في ذريته بعد التوبة وهو الأمر الثاني والألوهية الثانية، وهي خلافة النبوة، ومملكة الرسالة، والامامة وفي ساعة الخلق. وبعد أن استوى الله على العرش أخذ الميثاق عليه وعلى ذريته إلا يعصون ربهم. وقد عاتب الملائكة الله وراجعته في الخطاب وسجودهم لآدم. فالتصفت كلها محكمة الأطراف تفسر سبب كون الظلم ووقوع النفس في غرورها وخلق آدم الأول وسبب عصيانه وحديث الملائكة وسجودهم لآدم واستنكار إبليس من السجود وشجرة الخلق والملك الذي لا يبلى، وسبب أخذ الميثاق إلى ذرية آدم، وأخبار القيامة. ثم أصبح الاخوان نياما في كهف أبيهم آدم مدة من الزمن حتى جاء وقت الميعاد ففترقت بهم البلاد في مملكة صاحب الناموس. وشاهدوا المدينة الروحية التي خرج منها آدم وزوجه بعد خداعهما من إبليس. فالتصفت تعود من جديد، والعودة إلى السماء. السقوط من السماء في البداية، والعودة إليها في النهاية<sup>(٢)</sup>.

وابن آدم أصبح عنوانا للإنسان من حيث هو إنسان، مخلوق إلى الأبد. ويطاعته الأوامر وتجنبه النواهي يصبح حيا مثل الله وأن يقول للنساء كن فيكون مثله. وله محلان، الأول فيه عيوب نفسه، والثاني عيوب غيره. ويرتبط به ولداه قابيل وهايبل، استمرارا لقصة الظلم والعدوان والصراع في نشأة البشرية. فقد قتل قابيل هايبل وظن أهل هايبل، أنه قتل بفعل الجن. ومنذ ذلك الوقت استظهر بنو قابيل على بنى هايبل. واستمر القتال أخذا بالتأثر هو نفس ما فعله السباع بعدما رأوا امتثال بنى آدم<sup>(٣)</sup>.

(١) ٤٨/٦/٢ - ٣٤٣/٨/٢ - ٥/١٥/٣ - ١٠٠/٢/١ - ٢٦٣/١٥١/٩/١ - ١٦٦/٧/٤ - ١٦٧/٣/٤ - ١٥٧/٧/٤ - ٢٢٩/٨/٥ - ١٢/١٧/٣ - ١٤١/١١٣/١٧/٣ - ١٤١/١٤٤/٤٧/٣ - ٥١/١٤٨/١ - ١٠٠/٢

(٢) ٣٠٦/٩/١ - ٢٠٨/٨/٢ - ٤٧٥/١/٤ - ٣٧٧/١١/٤ - ١٧٩/٧/٤ - ٥١٢/١/٤ - ٢٦١/٧/٤ - ١٢٢/١٨/٨/١ - ١٨/٣/٤ - ١٠٠/٩/٢ - ٤٢٧/١/٤

(٣) ٢٩٨/٩/١ - ٢٣٠/٨/٢ - ٢٤٧/٢٣٥ - ٢٧٥/٢/٤

ولبنى آدم العلم والمعرفة، والنبوة والحكمة، الكتابة والقراءة، والأخبار المروية وادراك الحواس. اصطفى الله من بينهم الأنبياء رسلا لاعطائهم الوحي ليدعون الله، يرضون بقضائه، وهم ذرية الأنبياء الذين قربهم الله اليه. والنفوس متقوته في طاعة الله في ذرية بنى آدم. والأنبياء هم الأولياء والأصفياء منها. بنو آدم أجسامهم ثقيلة إلى أسفل وصورتهم آدمية. أما العلماء والفقهاء فقد تجاوزوا الأدمية الحيوانية<sup>(١)</sup>.

وبنو آدم هم ذرية آدم. واليهم يتوجه النداء بأن الله حي لا يموت. توالد من آدم وزوجه البشر جميعا. اقترن بها وحملت منه. أبوان، الذكر والأنثى، والأنثى تحت الذكر، ومنهما كان العالم. وكما أن لأدم ذريته فكذلك للشيطان ذريته في غواية بنى آدم وعداوتهم له. وهم مطالبون بالتخلص من جنابة آدم بعد أن عصى ربه فخرج هو وذريته من الجنة، عالم الأرواح. ولما كانت النسب تختلف بين الأفضل والأقل فضلا فان البشر أفضل من الملائكة الذين كانوا قبل آدم لأنهم في هذا العالم يصارعون الأضداد الذين بهم سيكون خراب العالم<sup>(٢)</sup>. ويظل بنو آدم في الأرض قادرين على الهداية أو العصيان، على العدل أو الجور، لقد خلق بنو آدم من شعوب وقبائل مختلفة ألوانها وأسنتها. وكلهم خلفاء الله في الأرض. ولهم ملوك يدبرون أمورهم ولكنهم أضلوهم بكثرة اختلافاتهم وآرائهم ومذاهبهم. فالاختلاف مهلكة. وهم الآن الأكثر عددا أفرادا وشعوبا. لذلك تكاثرت لغاتهم وتعددت. كما ركب بنو آدم من الأخلاط الأربعة، وعليها قامت الأخلاق، العزم من التراب، واللين من الماء، والحدة من الحرارة، والأناة من البرودة. لذلك تم الخلق تدريجيا حتى لا تضيق بهم الأرض<sup>(٣)</sup>.

وبين بنى آدم والحيوان صراع وألفة كما بين الانس والجن. وقد تم تأجيل الصراع الحالى بين الانسان والحيوان تاريخيا. بل إن طباع الحيوان قد تغيرت بظهور الانسان. فالضفدع يداخل بنى آدم فى منازل، فى حين أنه بين الانسان والحيات عدواة قديمة وحقد كامن. يأكل بنو آدم الحيوان ثم تأكلهم الديدان. وقد تغيرت طباع الحيوان إلى أسوء. فظلت تقاثل بعضها بعضا بعد أن رأت بنى آدم يفعلون ذلك. والله يعلم بنى آدم من النحل الذى يخلق عسلا من غير هيولى لاقيات قدرته. ويتناظر الحيوان والانسان أيهما أفضل بعد مناظرة الجن

(١) → ٢٠٨/٢/٣ → ٧٤-٧١/٩/٤ → ١٥٣/٥٣١/٢/٤ → ٣٤٣/٨/٢ → ٢٩٩/٧/٣ → ١٢٧/٤/٢ → ٢٢٧/٢٤٣-٢٤٢ → ٢٤٣/٨/٢.

(٢) → ١٥٨/٤/١ → ١٨١/٢٠٩/٨/٢ → ١١٣/١٧/٣ → ١٤٤-١٤٥ → ٣٦٥/٩/١ → ٢١/١/٢ → ٦/٢ → ١٤٧/١٣٦.

(٣) → ٢٢٥-٢٢٤/٢٠٤/٨/٣ → ٢٨٩/٨/٢ → ٣٥٦-٣٥٥/٣٠٠ → ٣٧٢-٣٦٩/٢ → ٢٠٤-٢٠٣/٨/٢ → ٣٤٥/٢٠٨ → ١١٥/١٧/٣ → ٣٠١/٩/١ → ٤٧٥/١/٤.

والانسان. فالانسان بين الحيوان والجان. الكلاب تجاورهم وتتداخل معهم وتتجانس مع أخلاقهم. وأطعمة الانسان والحيوان متشابهة. ولهم طباع السباع. ومع ذلك يعتدى الانسان على الحيوان بالسلاح. ولهم ملوك وطغاة معتدون. ولهم حيل يسيطرون بها على البحار. وللحيوان يد بيضاء على الانسان. حواه الحوت فى بطنه، وتسلط الذباب على الملوك. فأيهما أقوى وأيهما أفضل، الانسان أم الحيوان؟ وفى قصة رمزية تشكو الحيوانات بأسرها فى أيدى بنى آدم كما تشكو تعاونهم مع بنى آدم ضدهم. وتود البهائم الهرب من بنى آدم، وهى تصلح جنودا للملوك. يجور بنى آدم على الحيوان. لذلك جاءت دعوات الرفق بالحيوان عن حق بعد أن تحول الواقع إلى مبدأ شرعى نتيجة لاضطرار الانسان البدائى الصيد للطعام وأخذ جلد الحيوان للكساء<sup>(١)</sup>. وهناك عداوة أخرى بين بنى آدم والجن، بين بنى الانسان وبنى الجان، عداوة قديمة قبل آدم إذ كان قد أخذ عذرا ئيل أسيرا وهو فرعون آدم. وكلما تذكره بنو آدم امتلأت قلوبهم حقدا عليه. العداوة قديمة والذاكرة حية. حاولت الشريعة والملة والدين الصلح بينهما. وترجع بنو الجان إلى ديار بنى آدم. فلما طرح إبراهيم فى النار اعتقد بنو آدم أن ما فعله النمرود كان من فعل الجان. ولولا معاونة الجن سليمان لكان حكمه حكم بنى آدم. ثم الصلح بين بنى الجان والمسلمين من أولاد آدم إلى اليوم. ويظل الجان يجاور بنى آدم فى بساطينهم وبنى آدم يبغضونه. ويستطيع الجان أن يدخل من أهواء بنى آدم<sup>(٢)</sup>. والسماء مسكن لنفوس الجميع، الملائكة والشياطين وبنى آدم والحيوانات.

ويأتى موسى بعد آدم فى الأهمية. وإذا كان إبليس عدوا لآدم فإن فرعون عدو موسى. والمعنى الشعبى لفرعون معنى صحيح، الشر والفرعنة والطغيان. وعلاقة موسى بفرعون مثل علاقة إبراهيم بالنمرود. وقد استطاع موسى إبطال سحرة فرعون بعد أن أتهم بالسحر من هامان وفرعون. وسحر أقوى من سحر، والعقلية واحدة. وأنجى الله إسرائيل من عذاب فرعون، وقلق البحر وأعطى الله موسى النبوة والملك ليجمع فيه الدنيا والآخرة نظرا لتعود بنى اسرائيل على الملك، القصد الأول الدين، والثانى الملك. وفرعون خاصية الكبر التى لا يلبس. لذلك أجابه موسى عن أسئلة فرعون عن رب العالمين بجواب يلىق بربوبته. والوعى الفردى لآل فرعون مستقل عنه. وهو الرجل المؤمن الذى دافع عن موسى فى حين استكف آل فرعون من الدخول تحت طاعة الأنبياء<sup>(٣)</sup>.

- (١) جـ ٢/٨/٢٦٦/٢٧٢/٢٩٧/٣٣٥/٣٦٤، جـ ٢/٨/٢٤٤-٢٤٦/٢٥٦/٢٥٩/٢٦٣/٢٨٢/٢٠٤-٢٣٩/٢٣١-٣٤٣ جـ ٢/٨/٢٤٥/٢١٨/٢٢٢٦/١٤٢ جـ ٢/٨/٢٠٤-٢٢٤/٢٠٤.
- (٢) جـ ٢/٨/٢٢٨/٢٣٠-٢٣٢/٢٣٢-٢٥٤/٢٦٦-٣٠٧ جـ ٤/١/٤٧١.
- (٣) جـ ١/٩/٣٧٤ جـ ٢/٨/٢٢٣/٢٨٣/٣٦٤-٣٦٥ جـ ٤/١/٥١٣-٥١٤ جـ ٤/١/٣١٣/٣٢٨/٣٧٥ جـ ١/٤/٤٦٦/١١ جـ ٤/١/٥١٣-٥١٤ جـ ٣/٧/٢٩٧/٤٠٨ جـ ٤/١/٥١٤-٥١٣/١١ جـ ٣/٧/٢٩٧/٤٠٨.

ولكل نبي صديق مثل هارون لموسى، يسر اليه ما يشعر به. وقد بدأ موسى بالدعوة لأخيه هارون من أولاد يعقوب وغيره من علماء إسرائيل حتى بلغوا سبعين رجلا سرا ثم أظهروا بعد ذلك الدعوة وبدأ موسى بالفتيان. وكذلك فعل المسيح فى بيت المقدس ثم محمد فى مكة. تبدأ الدعوة سرية قبل أن تصبح علنية وهكذا يفعل الاخوان. ولما أراد موسى الصعود إلى الجبل وترك هارون لبنى اسرائيل خشى هارون أن يحدثوا حدثا آخر بعد عبادة العجل. إلا أن ملك الموت قبض روح هارون فأخذها موسى فاتهمته اسرائيل بقتل أخيه. وبقي موسى بعد وفاة أخيه، وكتب لهم التوراة. وسلمهم إلى يوشع. وصعد إلى الجبل وتوفى هناك. وبقت اسرائيل أربعين سنة فى التيه حتى انقذهم يوشع<sup>(١)</sup>.

وكما أن لآدم علاقة خاصة بالله، فقد خلق آدم بروح منه كذلك لموسى علاقة خاصة بالله. فهو كليم الله بعد أن طلب رؤيته بوسوسة الشيطان. فلما ناجاه الله أدخل السرور والفرح على قلبه فصفر وغنى وطرب. كلم الله موسى وناجاه وناداه باسمه. وسأله موسى عن سبب خلقه. فاذا كان الخير فقد سكن الجنة مع الملائكة بشرط ذكر اسم الله وخشيته. واذا كان لابتلائه فرعون فلأن الله اختاره يخاطبه بلسانه ويعلم بنى اسرائيل التوراة. فلما طلب موسى البقاء فى الجنة دون الابتلاء بالأرض كان جواب آدم الذى عاش فى الجنة ولم يحفظ عهده فعصى وغوى وخرج. أما طلب موسى النظر إلى الله إذا ما استجاب الله فانه لن يهنا له العيش بعد ذلك، وتم تأجيل الطلب حتى موعد اللقاء. وهو تحليل فى غاية التعقل والاحترام المتبادل فى حين أن التوراة كلها لعنات على اسرائيل. ويبدو فى التحليل الوضع بالمعنى فى الأخرى وليس فى المصالح العامة. ويتجاوز أسلوب التوراة إلى عمل أدبي فنى مثل أدب الانتحال، أقرب إلى التأليف منه التى الترجمة مثل استعمال القرآن الحر لتقوية النثر الفنى<sup>(٢)</sup>.

وقد جعل الله موسى منذ ولادته قرّة عين فرعون. وأتم موسى ميّعاد ربه وكان من الشاهدين. آمن موسى مع غيره من الأنبياء بخلود الروح وبقائها وصلاح حالها بعد تلف الأجساد. وأثبت أن الاجسام تقطع بالحديد وليس النفوس. ولكن بنى اسرائيل عبدوا العجل فى غيبته، وأنكروا خلود الروح. فطلب منهم موسى التوبة. وأمرهم بضرب عنق العجل لأن فى تلف الأجساد صلاح النفس وطاعة الرب. لذلك رضى السحرة بتلف أجسادهم استبقاء لأرواحهم. والنبوة رسالة من الله إلى النّبي للسيطرة على أهواء البشر. فقد ارتد رسول موسى بعد أن عشق امرأة. وقد أوصى موسى بنى اسرائيل بالخضوع إلى شرائع التوراة التى أنزلها الله، وبالتنصرع والدعاء وإقامة التوراة. وأصلح ما بين الجان وبنى اسرائيل بالدين والشريعة

(١) جـ ١١١/٥/٢ جـ ٢٦٢/١٧/٣ جـ ٢٨٠/١٦/٣ جـ ١٥١/٧/٤

(٢) جـ ١٤٢/٣/١ جـ ٢٤١/١/١ جـ ٢٨٠/٨/٢ جـ ١٣/٤/٤ جـ ٣٨٥-٣٨٣/٩/١

فدخل كثير من الجن وبنو موسى. وقد أعطى الله موسى الشريعة لما فيها من أمر ونهى وحدود ورسوم وأحكام. وأعطى الخضر السر والغيب والكتمان. ولم يستطع موسى معه صبورا. والشرائع تتغير وتتبدل. فكانت شريعة موسى لزمانه<sup>(١)</sup>.

وبنية النبوة واحدة، وقصة كل نبي لها نفس المغزى. قام المسيح بعديد من المعجزات في حياته عن طريق الاشفاء. ويؤولها الاخوان تأويلا روحيا، مداواة النفوس لا الأبدان. وكان لا يمر بحجر أو شجر أو شيء إلا ويكلمه ويعرفه ما يصلح له بوحى من الله الذى يعطى الحكمة لعباده المصطفين. أحيا الأجسام بعد موتها، وأخرج الأرواح الشريرة من الأبدان. وشريعته لعصره تتبدل كما تبدلت شرائع الأنبياء السابقين. وجاءت شريعة المسيح ودعوته إلى بقاء النفوس كرد فعل على تمسك اليهود بمظاهر الشريعة. يقرأون التوراة وكتب الأنبياء غير قائمين بواجبها ولا عارفين حقائقها ولا أسرارها. فشرح المسيح صدورهم للمعاد، ووجههم إلى العالم العلوى، فسار معه قوم كثيرون. ودعا المسيح الخلق من الجن والانس. ونصره الحواريون. وانتصرت دعوة المسيح من أقاصى الأرض شرقا وغربا. ونصح الحواريين بالألأ يضيعوا الحكمة فيضعوها لغير أهلها أو يمنعوها عن أهلها فيظلمونهم<sup>(٢)</sup>.

ويستشهد بأقوال عيسى للحواريين على الزهد فى العالم اليوم لمن يريد دخول الفردوس غدا. فطلب الدنيا والآخرة لا يجتمعان مثل المشرق والمغرب فى مواضع كثيرة للمسيح لبنى اسرائيل بطريقة حوار الله وموسى حتى حج آدم موسى. هناك إذن دين واحد هو التصوف. الحياة الدنيا استعداد للأخرة. وتلك مسؤولية العلماء الذين يصدون عن سبيل الله ولا يسرون هم فيه. والجاهل أعذر من العالم. الموت مفارقة الجسد. كما أن الولادة مفارقة الرحم. والترهب مثل أعلى<sup>(٣)</sup>. وقد وصف المسيح الجنان ونعيم أهلها بأوصاف غير جسمانية مثل ملكوت السموات، على يمين. الله ولم يرمز لأن التوراة قد هزبتهم، وكذلك كتب الحكماء، وكانوا غير محتاجين إلى الاشارات والتنبهات. وقد طلب المسيح الاستعداد للقتل والصلب، وحذر من عدم الارتداد. وقد نصره الحواريون اعتقادا منهم فى خلود النفس. وقد عبر المسيح للحواريين عن هذا المعنى بأنه جاء من عند أبيه وأبيهم، وأنه سيكون على يمين العرش بعد

(١) جـ ٣٥٣/٨/٢ جـ ١٩/٣/٤ جـ ٢٨-٢٧/٧/٤ جـ ٧٤/٥/٤ جـ ١٥٦/٣/١ جـ ٣٥٣/٨/٢ جـ ١١٧/٥/٤ جـ ٢٣١/٨/٢ جـ ٤٨٧/٥٠٩/١/٤.

(٢) جـ ٢٣٠/٢٢٨/٨/٢ جـ ٢٣٠/٢٢٢-٢٥٤/٢٣٢٢-٢٥٤/٢٦٦١-٣٠٧/٢٦٦١ جـ ٤٧١/١/٤.

(٣) جـ ١٥٠/٣-٧٢/١٦-١٤٤/١ جـ ٤٨٧/٤٨٥/١/٤ جـ ٤٢٦-٤٢٥/٣١٢/١١/٤ جـ ٢٠-٢٨/٣/٤ جـ ٣٦٨/٣٣٢/٨ جـ ٤٢٢/٥/٤ جـ ٤٤/٣/١ جـ ٢٨٤/٨/٢ جـ ٣٨٤-٣٨٥/٩/٢ جـ ٣٧٥/٣٣٩/٩/١ جـ ٧٧/١٦/٣ جـ ٨/١٢/٣.

مفارقة الهيكل، يشفع للمؤمنين. ورضى المسيح بقضاء الله، وانقاد للمقادير، وسلم ناسوته إلى اليهود عن طيب خاطر، وهى النفس مطمئنة. فلا فرق بين الانجيل والقرآن. وعرف الناس أن المسيح لم يقتل، فنبشوا القبر، ولم يجدوا الناسوت فاختلفوا. وتفرقوا إلى بلاد الغرب والحبشة وروما وأنطاكية وفارس والهند ومن بقى فى إسرائيل. وما يهم أيضا هو بعث المسيح. إذ قال للحواريين فى وحيه له أنه إذا فارق الهيكل أى البدن فإنه يكون واقفا فى الهواء على يمين العرش ومن ثم فهو حاضر شاهد لا يجب مخالفته حتى يكونوا معه فى السموات. وهذه هى الولادة الثانية. وقد اعتقد البعض اعتقادات خاطئة مثل قتل اليهود له. والله هو الذى يحكم بين عباده فيما اختلف فيه أنصاره. فارتدوا وصوروا وعملوا التماثيل لله وللروح القدس وجبريل ومريم والمسيح تذكرا لهم بأحواله<sup>(١)</sup>.

وإبراهيم خليل الرحمن، ناجاه ويحث عنه حتى عرفه. وتلك ملة إبراهيم. اتبعه عليها الناس وهى ملة الاسلام. بنى الكعبة كما بنى سليمان إلبا فى القدس. ففى كل الديانات مناسك وبيوت وقرايين وهياكل وصلوات. وضع الحجر والمقام وعلم الناس المناسك ليشهدوا منافع لهم. وحج وطاف وليى وصلّى وطاف وسعى ووقف بعرفات وبات بالمزدلفة، وضحى بمنى، وحلق وعرى، تصفية للنفس. وانتقل إبراهيم إلى التأمل فى الطبيعة إلى إقامة الشعائر إلى الصعود بالروح. حطم الفتى الأصنام. وكانت نفسه مطمئنة بالإيمان حتى رأى ملكوت السموات والأرض وكان من المؤمنين. وتبعته نريته. والسحر الحلال هو العلم الذى يعرفه المعلم الواصل والحكيم الفاضل<sup>(٢)</sup>. طرحه النمرود فى النار. وظن الناس تعليم المنجنيق من الجان ولكن البق قتل النمرود فى النهاية. قتل الأضعف قوة الأعظم سلطانا وصولة وتكبرا. وهو اسم النمرود فى الثقافة الشعبية. وطرح إبراهيم فى النار مثل تخريب نبختصر إلبا وحرقة التوراة وقتل أولاد سليمان وآل اسرائيل وطرد آل عدنان. وقد فعل ذلك نمرود لما أخبره المنجمون بمولود جديد يخالف دينه على عبادة الأصنام. ولو انه سأل النجوم لأهدته. ولكن إيمان إبراهيم خلصه من جنون الآميين اعترافا بالوحدانية، فإله هو الذى يهدى ويشقى ويغفر. ولإبراهيم حكاية أخرى مع قارون تمثل التعارض بين الروح والبدن، بين الآخرة والدنيا. وقد امتحن إبراهيم فى منامه

(١) جـ ٣٦٩-٣٦٨/٨/٢ جـ ٣٦٩-٣٦٨/٨/٢ جـ ٣٢١-٣١٢/٣/٤ جـ ٧٤/٥٨/٤/٤ جـ ١٧٥/٤/٤ جـ ١٥٧/١٣٨/٣/١ جـ ٤٤٣/١١ جـ ٤٤٤/٧٢/٣/١ جـ ٤٨٣-٤٨٢/٤٤١/٤.

(٢) جـ ١٤٢-١٤١/٦/٢ جـ ١١٣/٣/١ جـ ١٢٩-١٢٨/٥/٢ جـ ١٨٣/٣٥٣/٢٦٦/٢٨٠/٨/٢ جـ ١٥١/٧/٤ جـ ٢٦١/٩/٤ جـ ٤٦/١٥/٣ جـ ٢٦/٦/٤٨/٥٨/٥٣/٤/٤ جـ ٣٢٣/٣/٤ جـ ٤٨٧/١/٤ جـ ٤٦/١٥/٣ جـ ٤٦/١٥/٣ جـ ٢٦/٦/٤٨/٥٨/٥٣/٤/٤ جـ ٢٦١/٩/٤ جـ ١٤٣/٦/٤ جـ ١٢٩-١٢٨/٥/٢ جـ ١٤٢/٦/٢ جـ ١٥١/٧/٤ جـ ٢٥٢/٩/٤ جـ ٣٠٥/٢٨٩/٧/٣ جـ ٥٣١/١/٤ جـ ١٨/٣/٤.

بذبح ولده اسماعيل، وكان لابد من تصديق الرؤيا لأن رؤيا الأنبياء صادقة. ثم أعطى الله درسا للبشر بأن الانسان قيمة. لا ينكر رؤية نبي أو إرادة اله<sup>(١)</sup>.

ويأتى سليمان فى الأهمية قبل داود<sup>(٢)</sup>. فالحكمة تسبق الملك، جمع الله له النبوة والملك كما جمعها ليوסף بالرغم من زهدهما فى الدنيا. وهو من ملوك العراق وليس من الشام نظرا لظلم الأمويين وعدل العباسيين، وسليمان ملك عادل لا يظلم. عرف سليمان كل اللغات، لغة الطير، الهدهد والنملة، ونقل العلوم من أمة إلى أمة، وأخذ علوم الكلدانيين والبابليين والأشوريين والمصريين واليونانيين. وهو ما فعله الروم حين غلبوا اليونان وما فعله اليونان عندما غلبوا غيرهم. وكان سليمان متكلا على الله، مستندا اليه، مستعينا به، عارفا بفضلته على عكس قارون الذى ادعى العلم. عرف سليمان الله وخر له ساجدا. وقد بنى سليمان مسجد إلها الذى يسميه اليهود الهيكل، فى عصره وليس بيديه. وقد هدمه نبختنصر كما فعلت الروم مع ثخور المسلمين بالرغم من دفاع المجاهدين لحماية للبلدان من الأعداء. كما أطاعت اليمن سليمان. والجن أفضل من الانس كفرا بظلم البشر. وسخر له الله الجن وأيده بالملك. واقتحرت الجن على الانسان بمعاونتها سليمان. فلما مات كانت فى عذاب مهين. واتصل عن طريقهم ببليقيس عندما غلبوا غيرهم. بل ويحدد الاخوان أسماء الجن. وكانت الجن تخشاه لأنه كان يكلف الطغاة منهم بالأعمال الشاقة<sup>(٣)</sup>.

وكان داود يقرأ مزاميره فى البيوت فى الصلوات وعند القرابين وفى الدعاء والتضرع والبقاء، وكما يفعل النصارى فى كنائسهم والمسلمون فى مساجدهم لتساعد القلوب على الخضوع والنفوس على الخشوع والانقياد لأمر الله والتوبة من الذنوب. كان الزبور يقرأ فى المحراب بألحان طيبة. وكان داود أواها حليما. ونجا آل داود من عذاب نبختنصر. وقد سعى داود إلى التفرقة بين المرء وزوجة أوريا بن حنان. قدمه أمام التابوت بدافع الهوى والحسد الغالب حتى قتل وتزوج بامرأته. ويقال أنها أم سليمان مما يضع قضية عصمة الأنبياء موضع التساؤل<sup>(٤)</sup>.

(١) جـ ١٤٣/٢/٢١ جـ ٣٧٦/٩/١ جـ ٢٥٧-٢٥٦/٢٣١/٨/٢ جـ ٢٨٠/٨/٢ جـ ٢٥٢/٢٨١-٢٥٤/٢٥٤/٢٢٢ جـ ٤٦/١٥ جـ ٢٤٧/٢/٣ جـ ٨٩/٥/٤ جـ ٢٧١/٩/٤.

(٢) يذكر سليمان بن داود الاسرائيلى مع تبع الحميرى وأفرizon النبطى والاسكندر اليونانى وأردشير بابك الفارسى كنماذج من عظمة البلدان جـ ١٦٦/٤/١.

(٣) جـ ٢٨٠/٨/٢ جـ ٤٩٧-٤٩٦/١/٤ جـ ٢٤٩/٨/٢ جـ ١٥٠/١٧/٣ جـ ٨٠/٥/٤ جـ ٢٣٢/٨/٢ جـ ١٥٣ جـ ٣٢٣/٩/١ جـ ٨٠/٥/٤ جـ ٢٣٢-٢٣١/٨/٢.

(٤) جـ ٢٠٧/١٨٦/٥/٢١ جـ ٤٩٧/١/٤ جـ ١٦٤/١٧/٣ جـ ١٣٣/٢.

ونوح ضمن أولى العزم من الرسل الخمسة مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، ذرية بعضها من بعض. ومن الطبيعي أن يؤمن بالأنبياء أراذل القوم، المضطهدون والمستضعفون والمنبوذون. وكل من يعصى الأنبياء وينكر المعجزات ويكذب ويستكبر يحق عليه العذاب مثل طوفان نوح، وريح هود، وغرق فرعون، وعقر ناقه صالح. كانت المعجزات أداة للاقناع حتى نهاية النبوة. وقد غرق ابن نوح مع الغارقين مع أنه حاول إنقاذ نفسه طبقاً لمقاييس العلم والمشاهدة. وقد تطورت الشرائع من نوح إلى إبراهيم إلى موسى إلى المسيح إلى محمد طبقاً لحاجة كل عصر ومستواه في تقدم الوعي الانساني<sup>(١)</sup>.

وتمثل قصة يوسف أيضاً الصراع بين الخير والشر بدافع الحسد ونزعات الشيطان من أولاد الجن عندما قذفه إخوته في الجب، طبقاً لتاريخ الصراع بين الانس والجن. وهو نموذج لجمال الفتى الذى لا يقاوم عند المرأة، والرجل الصادق القادر على المقاومة. كما أنه نموذج للجمع بين النبوة والملك مثل موسى وداود وسليمان ومحمد بالرغم من زهدهم في الدنيا، وهو نموذج للعلم وتأويل الأحاديث والرؤية الصادقة والمقام عند الله، نموذج النفس المطمئنة<sup>(٢)</sup>.

أما إدريس وهو هرمس الحكيم فانه صعد إلى فلك زحل، ودار معه ثلاثين سنة حتى شاهد جميع أنواع الفلك. ثم نزل إلى الأرض وأخبر الناس بعلم النجوم، وأصبح في مقام على. لذلك يسمى إدريس الرفيع. بالرغم من احتمال خطأ بعض المنجمين إلا أن العلم لا يبطل لأنه معجزة إدريس آمن بها ملك زمانه وليكون العالم على أتم حالاته وأكمل غاياته كما هو الحال في السفر الرابع من صحف هرمس. وهو نفس ما فعله هرمس عندما تشوقت نفسه إلى الصعود والاستمتاع بالنظر إلى الموجودات، مجرد الاستمتاع الشخصي، وفي حالة إدريس منفعة الناس. ولإدريس الحكيم فضيلة ثانية، الصلح بين الجان وبين أولاد آدم بالدين والشريعة والاسلام والملة. فتراجعت عنه الجان إلى ديار بنى آدم. وله فضيلة ثالثة وهو إجابته ذرية من القضاة العدول والفقهاء مثل بلقيس. يمثل إدريس وحدة الحضارات القديمة اليونانية والعبرية والاسلامية مثل الدعاء الأفلاطوني، والمناجاة الارسطاطاليسية، والتوسل الادريسي<sup>(٣)</sup>.

(١) ٢٠٧/٢/٣ - ٢٩٩/٧/٣ - ٥٣١/١/٤ - ٣٣٠/١١/٤ - ١٤٣/٣/١ - ٣٥٥/٢٨/٨/٢ - ٤/١

٤٢٠ - ١٨/٣/٤ - ٥٣/٤/٤ - ٤٨٧/١/٤ - ٩٩/٥/٤

(٢) ٢٣١/٨/٢ - ٦٥/٤٦/١٥/٣ - ١٥٤/١١/٤ - ٤٩٦/١/٤ - ٤٩٧/٧/٤

(٣) ٨٩/٥/٤ - ٦٥/١٦/٣ - ١٣٨/٣/١ - ٢٢٦-٢٢٥/٥/١ - ٢٨١/٨/٢ - ٥٠٢/١/٤ - ٩/١

٢٩٧ - ٢٣١/٩/٢ - ٢٠٩/٨/٢ - ٢٦٤/٩/٤

ويذكر لقمان الحكيم في وصاياه لابنه في مجالسة العلماء لأن الله يحيى القلوب بنور العلم دون منازعتهم لأن الحكمة صافية بعيدة عن أهواء البشر على عكس قارون الذى جمع المال كما هو الحال فى المثل الشعبى أموال قارون<sup>(١)</sup>.

ويذكر شعيب مع صالح ويونس وهلاك أقوامهم بالريح يندفع كالصاعقة، يخترق السحاب ويقتل كثيرا من الحيوان والناس وكان معجزة الهلاك قد تمت من خلال قانون الاحوال الجوية. ونجا المؤمنون بقوة رب الفلك كما نجا قوم يونس وصالح وشعيب. ودعا قوم يونس رب النجوم وخالفها ومدبرها ليكشف عنهم العذاب<sup>(٢)</sup>.

وأخيرا يظهر محمد فى آخر المطاف، خاتم الأنبياء، وأمة محمد أفضل الأمم. والعجيب ان يجعله الاخوان من العراق مثل باقى الأنبياء والملوك رمزا للصراع بين فارس والعرب أو العباسيين والأمويين. وله القابه. مثل صلى الله عليه وسلم، صلوات الله عليه وتحياته، حاكم الحكام، المصطفى، الرسول، النبى. أما أحمد فليس لقباً بل كنية. ويذكر مرات قليلة بلا ألقاب بل بأوصاف مثل حسن الخلق، له الحوض، رسالته عامة وشاملة للجن والانس معا فاستجابت طائفة من الجن وحسن اسلامها. ومضت على ذلك مدة من الزمان. ومنعها من استرقاق السمع. أنزل عليه القرآن وبلغ على لسانه، وطالب بالقراءة. يحتوى على كتب الأولين وشرائع المرسلين. أنزل الله عليه الوحي، واستجابت له الكهنة والمنجمون الذى لديهم علم الكتاب. رسالته آخر الرسالات، ونبوته آخر النبوات، وشريعته آخر الشرائع. وعلى شريعته تقوم القيامة. إذ تختلف الشرائع حسب العصور والأزمان. وقد بعث على تمام ألف سنة. وليس له معجزات تخرق قوانين الطبيعة، تقجر ينبوعا من الأرض أو تنزل كسفا من السماء أو تسير الجبال. الرسول مجرد واسطة وليس كل هذه المزايا الشخصية. ومع ذلك اتهمه الجاهلون بالسحر والكذب. اعجازه القرآن، حرف الله دواعى المتحدين.

كما تذكر بعض أحكام القرآن على اليهود ورفض ما يعتقدونه بأنهم أوليا الله وأحباؤه. كما ينيه على أن الآخرة خير من الأولى. واستوت عند المسلمين الأيام فصارت كلها جمعة وعيدا لمشاهدتهم يوم القيامة. ويؤول الاخوان بعض أقواله الفلسفية مثل تأويل العقل المذكور فى القرآن على أنه العلة الفاعلة المبدعة بلا واسطة، وإشارته إلى النفس المطمئنة<sup>(٣)</sup>.

(١) ٣٧٤/٣٤٨/٩/١ - ٢٢٦/٢٢٤/٨/٢ - ٤٥٣/١١/٢.

(٢) ٧٦/٤/٢ - ٣٥٣/٨/٢.

(٣) ٢٨٥/٨ - ٤٨٣/١٧/٣ - ٤٨٧/١/٤ - ٥٨/٥٦/٤/٤ - ٢٧٩/٧/٣ - ٤١٤/١/٤ - ٢٤٢/٨/٤ - ٢/٤/٣

٢٣٨ - ٣١١/٣٠٥/٢٨١/١٧٥/٧/٤

ويعطى الوصايا لأمته. وكلام الله لجبريل إلهامه للمعاني ثم جبريل لمحمد ثم محمد لأمته ثم أمته بعضها لبعض، وكلها مخلوقة مثل قول المعتزلة. وقد جمع له الله خصال الملك والنبوة كما جمعها لموسى وداود وسليمان ويوسف في محاجة القرآن لليهود والنصارى الذين كانوا ينكرون الملك ويقرون بالنبوة. فجعل الله الملك خادما للنبوة<sup>(١)</sup>. وأتمه خير أمة أخرجت للناس، يعاملها ربها أحسن معاملة. تمنى موسى أن يكون منها نظرا لصلاحها وتميز رجالها كما تصفها التوراة. فأخبره الله أنه منها وهم منه. فكل مسلم منسوب إلى أمة محمد، وكل من تربي بزي المسلمين وأعزهم بعروة الاسلام. وهو القدوة. لذلك ترى عائشة أن أول بلاء حدث في الامة بعد ذهاب نبيها هو الشيع أي حب الدنيا والترف بلغة ابن خلدون بالرغم من اتفاق الاسلام والمسيحية على الزهد والورع، الاسلام الاشرقى بعد تأزم الاسلام الاجتماعى<sup>(٢)</sup>.

ويتم الاستشهاد ببني اسرائيل كثيرا. فهم قوم لهم كتب مثل المسلمين أى أنهم أهل كتاب دون تحديدها بأنها مقدسة، ودون تحديد دقيق أى كتب هى خارج التوراة. قد تكون نصوصا موضوعة فيما عرف فيما بعد باسم الاسرائيليات أو ربما من إخوان الصفا أنفسهم، وفى معظمها نصوص إشراقية يهودية مركبة على الفلسفة اليونانية بحيث لا يعرف الفرق بين نبوة اليهود وحكمة اليونان. والنص اليونانى الموضوع على لسان الأنبياء مثل الأحاديث الموضوعه على لسان الرسول. ليس الوضع فقط فى نصوص الاسلام بل أيضا فى نصوص الديانات الأخرى بل ونصوص الفلاسفة كما فعل الصوفية من قبل فى روايتهم "عن قلبى عن ربي أنه قال". ولما لم يستطع الاخوان عزو ذلك الى الرسول فقد تم عزوه الى الأنبياء خاصة وان حكم القرآن عليهم أن أقوالهم نقلت محرفة. ويبدو الله فى الوضع كأنه فيلسوف طبيعى يونانى متكلم فى الأخلاق على طريقة الأخلط اليونانية. يجمع بين وحى الأنبياء وحكمة اليونان فى تأليف حضارى أخلاقى روحى، طبى طبيعى، الصحة فى اعتدالها والمرض فى اختلالها، ثم تتحول الى أصول وفطر فى أخلاق البشر. العزم من التراب، واللين من الماء، والحدة من الحرارة، والأناة من البرودة. ثم يأتى نفخ الروح ووضع النفس فى البدن. فمن النفس تأتى الحواس وباقى الوظائف النفسية والطبيعية، ومن الروح تأتى الإدراكات العقلية والخلقية بما فى ذلك الأهواء والانفعالات والعواطف. فالله كما يبدو عند الاخوان يونانى المزاج، أفلاطونى النزعة<sup>(٣)</sup>. وإذا كان بنو اسرائيل قد سكنوا الشام فانهم استطاعوا احتواء

(١) وهذا على عكس ما يدعى العلمانيون المعاصرون مثل على عبد الرزاق وخالد محمد خالد فى بدايته وقاسم أمين.

(٢) ١٥٧/٣/١ - ٣٤٢ - ٧٣٨/٣٥٨/٩/١ - ١٥٧/١/٤ - ٤٩٦ - ١١٧/٥/٤ - ١٧٩/٧/٤.

(٣) ٤٤/٤/٤ - ٣٠٢ - ٣٠٠/٩/١ - ٢٢/١٤/٣ - ٧٧/١/١ - ٢٤٦/٤/٣ - ٢٨٨/٨/٢ - ٤٤/٤/٤.

٢٢ - ٢٤٦/٤/٣.

حكمة اليونان. فقد استولى سليمان على خزائن الأمم ونقلها وضمها الى الوحي. فالوحي له مصدران: إلهي وانساني، ديني وديني. يختلط الوحي بالحكمة والدين بالفلسفة ليس فقط في العقل بل أيضا في التاريخ. فعلم إسرائيل أيضا مستمدة من أنبيائهم مثل سليمان والتي أخذها من باقي الشعوب ونقلها الى العبرانية والى الشام. فالحضارات متصلة بعضها ببعض الآخر. وقد بحث الحكماء في النفس قبل نزول التوراة والانجيل والقرآن بقلوبهم وقرائحهم. وصنفوا في ذلك الكتب الفلسفية. فالحكمة مصدر أول قبل الشريعة. ثم تم تدوين الكتب الالهية، ووضع النواميس بالتأييد الرباني وهي أشرف صناعة. معرفة البشر الحقائق إذن من الوحي وكتب الأنبياء أى من الماضى القريب أو من كتب الحكمة قبل الأنبياء منذ آدم أى من تاريخ البشر. ولا تعلم أخبار العالم قبل آدم إلا من النقل. وظيفة القصص إذن إذكاء الوعي التاريخي والبحث عن مصادر المعرفة الالهية والانسانية.

ويعتمد الاخوان على تاريخ الأديان ليس فقط قصص الأنبياء بل أيضا الكتب المقدسة في ترجماتها العربية القديمة. ويذكرون التوراة والانجيل رجوعا الى المصدر الأول للوحي بعد أن استولى الظلمة على آخر مرحلة فيه، القرآن، واحتكروا تفسيره، ومن ثم جعل الأول ضد الأخير والعودة الى جذور الوحي لزعة استحواذ الحكم الظالم على القرآن. القرآن ليس حالة خاصة بل هو استمرار لوحي تحرري طويل. كل مرحلة سابقة تقترب بالمرحل اللاحقة، وكلها تعترف بمرحلة القرآن آخر المراحل، وتتبا بقدم محمد آخر الأنبياء. ومع ذلك شك النصارى واليهود في نبوته لما رأوا أنه جمع بين النبوة والملك. وكثيرا ما تذكر القصص والأمثال والمواعظ والعقائد والأخلاق فى التوراة والانجيل تأكيدا على وحدة الوحي. وأحيانا تستعمل التوراة وحدها واتفاقها مع القرآن فى موضوعات كثيرة مثل التوبة<sup>(١)</sup>.

وتذكر أقوال مأثورة تتفق عليها الأديان جميعا دون صحة تاريخية أو نسبة الى مصدر معين وسط الآيات. الغاية منها أثرها وليس مصدرها، وأحيانا تعزى الى صاحبها موسى أوكتب الأنبياء على العموم أو الخبر على الاطلاق أو كما قيل أو المثل السائر. والبعض منها على لسان الحيوان رمزا على أهواء البشر وتعبير عن حكمة الشعوب، تجمع بين الفلسفة والدين، والحكمة والشريعة. ويستدعى القرآن آيات من التوراة والانجيل، فالحقائق واحدة فى كل الأديان مثل تسخير الطبيعة وطلب المسيحيين من الحواريين الاستعداد للقتل والصلب دون مراعاة للصحة التاريخية والانتقال من الرواية المعنوية (القرآن) الى الخبر المباشر

(١) جـ ٣٦٣/٣٥٣/٩/١ جـ ٥١٢/٤٩٦/١/٤ جـ ١١١-١١٠/٢/٤ جـ ٣٦٨/٨/٢ جـ ٩٣/١٧/٣ جـ ٩/٣/٣٧٩ جـ ٣٥٢/٩/١ جـ ٣٩١/١٠/١ جـ ٤٩٦/٤٩٢/٢٢٩/١/٤ جـ ٥٠١ جـ ٢٨٢/٦/٣ جـ ٤٧٢/٥/٢ جـ ٥٠٥/١ جـ ٢٢٦/٢٠٢/٨/٤ جـ ٤٩٥/١/٤ جـ ٢٢٧/٨/٣ جـ ٣٥٦/٩/٣ جـ ٤١٠/١/٤.

(الانجيل). والاشارة الى صحف ابراهيم وموسى نوع من القراءة التراجعية بحثا عن الأصول<sup>(١)</sup>. وتذكر خصال النبوة فى الكتب الثلاثة وإجراء السنة فى الشريعة، وبيان الحلال والحرام، وتفصيل الحدود. وقد يختار من التوراة الأكتان الداودية أو مزامير داود التى تقرأ مثل القرآن والانجيل. فالتوراة مصدر للعلم عند اليهود. وأحيانا يذكر الانجيل بمفرده. وتستعمل أقوال المسيح من القرآن بالعربية فى معانيها وليس بألفاظها لأن المسيح لم يتحدث بالعربية لأنها مختصرة للغاية قاصرة على الدلالة. وقد تكون قراءات إسلامية أو رواية إسلامية لأقواله.

وقد يذكر القرآن مع كتب النصارى أى الانجيل فيما يتعلق بذكر الشياطين وأفعالها مع المسيح. وقد يستعمل الانجيل وحده. فالنصارى لهم كتاباتهم المستقلة. وقد تأتى من القرآن. فالقرآن مصدر لأقوال المسيح دون مجادلة أهل الكتاب. نصف أقواله من القرآن والنصف الآخر من الانجيل ودون تمييز بين النوعين من النصيين من حيث الصحة التاريخية. فالمهم هو الاتفاق فى المعنى وهو أكبر ضمان للصحة<sup>(٢)</sup>.

ويستعمل الاخوان نصوص القرآن فى نقد اليهود من أجل إعطاء العظة والعبارة مثل طلب الله التوبة من اليهود، وانتصار الحواريين للمسيح، وتحريف الكتب المقدسة ونقد أخلاق العهد الخاصة، فالأرض يرثها عباد الله الصالحون. وقد تسخ الشرائع بسبب تحريف البشر لها وعدم حفاظهم عليها والتلاعب بها طبقا للأهواء. ويكفر اليهود، مثل الخوارج. المخالفين ويستحلون دماءهم على عكس الاخوان. وينتقل تاريخ البشر من الوحدة الى الكثرة كما هو الحال فى تاريخ الفرق الإسلامية. وفى نهاية الرسالة التاسعة عن تهذيب الأخلاق بعد اتفاق الآيات والأحاديث تأتى التوراة والانجيل فتمثل فصلا بأكمله فى حسن التكليف مع موسى أولا ثم المسيح ثانيا. مصادرها من التوراة أو الاسرائيليات أو من الاخوانيات اذ تتسم بنفس الطابع الاشرافى بين موسى الصوفى والله. فلا فرق بين رسالة محمد وموسى والمسيح. ومع ذلك يظل السؤال قائما: لم الخلق؟ وهو سؤال الملحد، سؤال الصلاح والأصلح. وقد حج آدم موسى مثل محاجة الشيطان لآدم فى كتب الفرق<sup>(٣)</sup>.

(١) تكرت التوراة (١٢)، التوراة والانجيل والقرآن(٥)، الانجيل (٤)، التوراة والانجيل والفرقان(٣)، التوراة والانجيل (٣)، المزامير(٢)، الزبور(١)، التوراة والزبور والانجيل والفرقان(١). جـ ١٠٦/٨/١-٣٦٩-٣٦٨ جـ ٤٨٠/٧/٤.

(٢) جـ ٢٤٥/٨/٢-٢٩٠/٨/٢ جـ ٤٤١/١/٤.

(٣) وهو نفس سؤال كائط فى الفلسفة الغربية الحديثة ماذا يجب على أن آمل؟ أحد الاسئلة النقية الثلاث وإجابته فى "تقد ملكة الحكم" جـ ٣٨٣/٩/١-٣٨٦.

كما يذكر في بعض كتب بنى اسرائيل وفي القرآن أن الكبر رداء الله. والعظمة لزاره. كما يذكر في التوراة والانجيل والقرآن وصف الجنان وسعة السموات والروح والريحان والنعمة والرضوان، وفي نفس الوقت ضرورة الاستعاذة بالجن وتوبيخ العاصين. كما يذكر في الكتب الثلاثة آيات الجن ويستعاذ بها في السفر، وفي نصوص أخرى حكايات عنها وأنها موجودات خلقت للبشر، وتأويل النصوص واليقين بها على فنون متعددة<sup>(١)</sup>. ويفسر الاخوان المعجزات تفسيراً خرافياً كما هو الحال عند بنى اسرائيل. فالضفدع هو الذى حمل النار بغمه لاصطناع النار التى وضع فيها النمرود ايراهيم. وكان معجزة لموسى. وهو فصيح اللسان، جيد البيان، كثير التسبيح والتهليل والتكبير. وقد وضع علماء التوراة ورؤساؤهم حساب الجمل يعلمونه للناس.

وتتسج قصص من التوراة لاثبات السحر سواء كانت من الاسرائليات أو الاخوانيات. ويجزم بصحة التوراة من أجل إثبات السحر مما يدل على الوضع<sup>(٢)</sup>. فإثبات الصحة يعنى نفسياً عدم الصحة عند اليهود والنصارى، ووجودها بعدة لغات عبرانية وسريانية وعبرية تدل أيضاً على عدم صحتها بل على مصدرها الشعبى<sup>(٣)</sup>. وهى قصة الصراع بين الخير (عيسو) والشر (ابن النمرود) كما هو الحال فى صدى الاسم حتى الآن فى الثقافة الشعبية. مما دفع الفقهاء مثل ابن حزم الى نقد السحر والخرافة فى الدين. وتتسج قصة أخرى من التوراة فى السحر قصة يعقوب مع لابان مذكورة فى التوراة تدل على وضعها لأنها تخالف أخلاق الأنبياء وتجعل يعقوب غشاشاً أنانياً مخادعاً راغباً فى الدنيا طماعاً محتالاً. ويخلو من السحر بل به بدايات علم الأجنة. والجهل بالموضوع يُعتبر سحراً. وهناك قصة أخرى فى موضوع السحر وكأن الوحي قد تحول الى مصدر للسحر من كتاب الملوك الذى فى مكانة التوراة فى

(١) جـ ٣٥٣/٩/١ - ٣٨٢/٣٧٧/٤ - ١٧٨/١/٤ - جـ ٣٠٧/٨/٢ - ٣٦١.

(٢) جـ ٢٦٦/٨/٢ - ٣٧٩/٩/٢.

(٣) هى قصة عيسو بن اسحق الصياد والذى يخرج له ابن النمرود بن كنعان ويأخذ صيده لأنه كان بليس قميص آدم الذى كان يلبسه فى الجنة ويجعله قادراً على كل شيء اذا وضع يده على صورة أى شيء فيه عندما خرج معه من الجنة فأخبره أبوه إسحق بالسحر وطلب منه مصارعة بعد أخذ القميص. ثم هزمه عيسو وليس القميص وعرف سره من ابن النمرود. ويبدو الخيال فى خروج آدم من الجنة بقميص مع أن القرآن يحكى أن آدم وحواء اكتشفا سوءاتهما وطقفا يخصفان عليهما من ورق الشجر. ولا توجد عورة فى الجنة تستحق الغطاء بقميص. وهل يمكن وضع صور جميع الحيوانات فى البحر والبر والجو على قميص؟ وهل كان آدم عاجزاً عن الصيد وهو فى الجنة وفى حاجة الى سحر؟ ربما نسجت القصة على تعليم الله آدم الاسماء كلها. وهل عاش القميص منذ آدم حتى إسحق، آلاف السنين دون أن يبلى؟ وكيف وصل الى إسحق وتعرف عليه؟ وأين القميص الآن حتى يحل مشاكل غذاء مصر والعالم؟ فى قصة مادية صرفة أخذ بغير حق مثل خداع الصهيونى للتلططينى بأخذ القميص من ابن كنعان تقوم على الحيلة والخداع ولبس مظاهر القوة مثل شمشون ودليلة ومثل غواية آدم وحواء.

كتاب صمويل. فقد استطاع السحر إحياء الأنبياء والأخبار بالمستقبل ومعرفة قوانين التاريخ. وقد نرعت الساحرة من النبي الذي استدعته لمزيد من الحركة المسرحية<sup>(١)</sup>.

وتتسج القصص ليس فقط مع اليهود والنصارى بل أيضا مع المجوس<sup>(٢)</sup>. فتاريخ الأديان واحد في موضوع أخلاقي عملي، المجازاة على المدح والذم، الثواب والعقاب، الوعد والوعيد، الترغيب والترهيب لأن الفعل مكتسب لصاحبه<sup>(٣)</sup>. وتكشف القصة عن خصوصية إله إسرائيل وعدوانيته وشعبه ورفض الأخلاق العامة الشاملة، والتقابل بين الأخلاق العنصرية اليهودية وأخلاق المجوس الإسلامية. استغل اليهودي مثالية المجوس لصالحه، وأصبح المثالي ضحية مبادئه. والحق في النهاية هو الغالب. ويحق العقاب الإلهي على الظالم لتصحيح سلوكه في الدنيا. كال اليهودي بمكيايين، انتفع بالمثالية والمادية معا. والعمل هو محك صحة المبادئ، والواقع هو المقياس. كما تكشف القصة عن التعلم من التجارب مثل رسالة حي بن يقطان، ليست في التوحيد بل في العدل. تعلم المثالي في المرة الثانية وترك اليهودي لولا أنه أشفق به من جديد وعاد إلى مثاليته. وقد انتصرت في النهاية الأخلاق الشاملة ضد العنصرية اليهودية. لقد حول الأخوان العقائد النظرية إلى ممارسات سلوكية وطبيعية ثانية. وقد تكشف البيئة الجغرافية، كرمان وأصفهان، عن الصراع بين نظريتين في الأخلاق. والمجوس هو الذي يبدأ بالسؤال ولديه حب الاستطلاع والرغبة في المعرفة في حين أن اليهودي لديه رغبة إلى المنفعة. والقصة موجودة في نوازل الحكماء مما يدل على اعتماد الأخوان على مصادر مكتوبة.

(١) جـ ٢٩١/١١/٤-٢٩٤.

(٢) ومن عند مرات أسماء الفرق والجماعات يظهر حضور المصدر الفارسي المجوس<sup>(١٦)</sup>، اليهود<sup>(١٠)</sup>، اليهودي<sup>(٨)</sup>، النصارى<sup>(٧)</sup>، الروم، العبرانيين، العماليق<sup>(١)</sup>. ومن أسماء البقاع تظهر فلسطين<sup>(٣)</sup>، الشام<sup>(٢)</sup> بلاد المغرب، بلاد الروم، ملك انطاكية، بلاد القرس، بلاد الهند، كرمان، أصفهان<sup>(١)</sup>. وتظهر المصادر العبرانية والسورانية والعربية. وتتحول الجغرافيا المحلية أحيانا إلى رمز مثل بحر طرطوس الذي تحول إلى كرة الأثير لعذاب النفوس الشريرة جـ ٢٩٦/١١/٤.

(٣) هي قصة رجلين اصطحبا في بعض الأسفار، الأول مجوسى من أهل كرمان والثاني يهودى من أهل أصفهان، المجوسى على بغلة واليهودى لغناه على الأقدام لفقره. ولما سأل اليهودى المجوسى عن مذهبه وهو الخير للناس جميعا حتى لمن ظلمه لأن في السماء لها قاضيا عادلا يكاثو المحسن ويعاقب المسىء، ومذهب اليهودى الإيمان بالله وعبادته وطلب سعة الرزق وطول العمر وسلامة البدن والنصرة على الأعداء وليس لمن خالفه في الدنيا بل إن دمه وماله حلال له وحرام عليه نصرته أو معاونته طلب اليهودى من المجوسى تطبيق مذهبه فنزل المجوسى عن بغلته وأعطاهم لليهودى الذى رفض النزول عنها بعد ذلك تطبيقا لمذهبه. ولما كان الاله عادلا فقد رمت البغلة باليهودى الأرض وتركه المجوسى ولكن طول الأفة جعلت للمجوسى يحملها إلى المدينة فتأب اليهودى. جـ ٣٠٨/٩/١-٣١٠.

وفى رسالة الجامعة يأتي آدم أولاً ثم المسيح، عيسى، عيسى بن مريم قبل موسى مما يدل على النزعة الصوفية الاشرافية للرسائل<sup>(١)</sup>. ثم يأتي سليمان ونوح وإدريس وإبراهيم وكلهم من الأنبياء والحكماء الاشرافيين. فأدم من أولى العزم من الرسل مع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد. وكل نبوة تنتسب اليه. وهو أول مخلوق مركب من المادة والصورة، أبو البشر. وإذا كان الله قد اصطفى موسى لنفسه فانه خلق آدم بيده. وحواء أم البشر. آدم والطبيعة والنبوة بداية واحدة. آدم فان لأن جسمه ذو طبائع متضادة. وكانت الملائكة قبل خلق آدم أشخاصا روحانيين. وهو خليفة الله في الأرض. كل شيء في الأرض مسخر له، الحيوان والطبيعة حتى ولو أتعب الحيوان. وعلم الله آدم الاسماء كلها وأمره أن يعلم الملائكة. والعلوم ثلاثة أصول وجوامع وفروع، شريعة وصناعة ومملكة، آدم ونوح وإبراهيم. فأدم من أصول المعرفة. علم الله آدم الأسماء كلها وأمره أن يعلم الملائكة. ودعوته مثل دعوة المسيح تقوم على ضرب الأمثال. فأدم في كل نبي<sup>(٢)</sup>.

ولما كان لكل نبي عدو ورفيق فان عدو آدم هو إبليس منذ خطيئة آدم. وقد تاب وغفر الله له بالكلمات التي تلقاها، مكتوبة بنور القدرة. ولم يظهر إبليس لآدم إلا في صورة النسبة. ورفض إبليس السجود له رفضا لكرامة الانسان. ولقد عرف الله نفسه للبشر من خلال قصة آدم. وكان إبليس يركله على باب الجنة. لذلك تعنى إبليس اشتقاقا المتحير والموقوف. والعداوة مركبة في البشر منذ عداوة إبليس لآدم، وقابيل لهابيل، وجبار قوم لإدريس، وفرعون لموسى، والنمرود لإبراهيم. آدم يمثل النفس الناطقة وإبليس النفس الشهوانية. وكان حب استطلاع آدم هو سبب الخطيئة، حب الرياسة والاطلاع على ما نهى عنه. لقد اشتاقت نفس آدم للمجهول. لذلك جاءت شريعة ضيقة العلم، حرجة التكليف، قليلة الخيرات، عقوبة له<sup>(٣)</sup>.

ولكل نبي رفيق، هارون لموسى، وعلى لمحمد. ولكن تحليل الأعداء يغلب على تحليل الاصدقاء. ويضم الأعداء معا الجبابرة والفراعة والتمردة، فرعون وهامان وقارون وجالوت ونمرود ومن يتبعهم من المتغلبين على الملك والرياسة ظلما وعتوا بغير حق، في مجالس لم يستحقوها بأعمال ولا علوم. وهنا يبدو الرمز السياسي الأسطوري للواقع السياسي. وقد استدل جماعة المتكبرين جماعة المؤمنين كما فعل فرعون بآل اسرائيل، والانس للحيوان، والجن للانس، وبختصر لآل داود، وآل تبع، وآل حمير، وآل يونان، وآل ساسان، وآل

(١) آدم (٦٠)، بنو آدم (٩)، المسيح (٩)، عيسى (٤)، عيسى بن مريم (٢)، إبراهيم (٤)، إسماعيل، داود، سليمان، أحمد، نوح، اسحق، إدريس، يعقوب، يوسف، جالوت (٢).

(٢) جـ ٥/٤٦٣/٢٢٧/٥٢١-٥٢١/١٦٦/٩٠/٤٤/٥٢١-٥٢١/٤١١-٤١٠/٤٦٢-٤٦١/٨٩/٨٥/٦٦١/١٨١/٩٩/٨٥/١٢٧/٣٠٦.

(٣) جـ ٥/٢١١/٢٤٣-٢٤٤/١٢٨/١٥٩/٨٧-٨٦/١٢٣-١٢٢/٧٣-٧٢/٢٤٤/٤٠٧/٨٢.

أردشير، وآل عدنان، ونجاة الله الخيرين، وهلاك الإشرار. ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾. فالأيام دول. ويبدو آل يونان أشراراً وآل ساسان أخياراً، وكأن هوى الإخوان مع الفرس ضد اليونان. فاليونان بلغة العصر مستعمرون سياسياً وإن كانوا حكماء فلسفياً. وإذا كان الأخيار في الجنان فإن إبليس والشيطان وفرعون وهامان ومالك الغضببان كلهم في النار. فأدم له دوره في التاريخ، مرحلة من مراحل بعد نجاته وهلاك عدوه. وأول من استخلف على دور الستر فأنكشفت عورته، وبعث العلوم، وأخرجها من السر إلى العلن. وحواء بقية دور الكشف. ولآدم دور آخر عند شجرة سدرة المنتهى إذا بدا دور السعادة بظهور النفس الزكية في يوم العرض الثاني إذا تجلت النفس الكلية. فالإقامة رتق للفتق، واصلاح للخطأ، ورفع للسقوط. ولقد أعلم الله آدم ما أخفى عنه. سكن الأرض نعمة وكرامة مثل تأييده بالإنعام والوحي، وإقامة الشريعة، والسجود لله، والعمل بالجسم، وإظهار الصنائع، وكثرة الأولاد، واتساع الدعوة<sup>(١)</sup>. الأنبياء جزء من فلسفة التاريخ وبقارات الأدوار في الفكر الشعبي كما بدا عند السجستاني، تحول تاريخ الأديان إلى فلسفة في التاريخ القائم على التحليل النفسي، وقراءة الحاضر في الماضي، والماضي في الحاضر.

واضح تضخم قصة آدم وإبليس في أشكال متعددة لبيان عداوة الشيطان لآدم التي تعبر عن روح المعارضة في الناس لفرعون والقراعنة وكل نفرعن كما هو الحال في معنى اللفظ في الثقافة الشعبية، وقراءة تاريخ الأنبياء قراءة سياسية، من تاريخ الصراع القديم إلى تاريخ الصراع الحالي.

كما تمثل أهمية قصة آدم في التراث الفلسفي، في الكلام ونشأة الفرق والأهواء في الحكمة لخطيئته وضرورة الخلاص، وفي الأصول نشأة القياس وفي التصوف العدو للنفس وضرورة الوحدة. فلما غواه إبليس عرف آدم بدور الكشف وما فيه من الفوائد العقلية الباقية الخالدة، وأدرك قوته على باقي المخلوقات. واستعمل إبليس الحية في إغوائه فكانت الخطيئة ﴿عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾. فأدم الأسطورة الحية جزء من التراث الشعبي القديم وليست قصة آدم في القرآن. هو استدلال على طريقة الخيال الشعبي والاعتماد على الأخبار المشهورة. ويسيطر إبليس على الإنسان بصور عدة منها جريانه في الدم في العروق كما هو الحال في الخطيئة الأولى في المسيحية. وفرق إبليس بين آدم وزوجه ونفرت منه الوحوش التي كانت قد آستت إليه. أما بنو آدم فهم البشر بعد آدم، ذريته وعشيرته وأهله الذين ساروا في دور الكشف واستحكم العداء بينهم وبين الحيوانات ذات الطباع الجميلة، وتفاضلوا فيما بينهم كالحوانات بناء على نفوسهم الشريرة<sup>(٢)</sup>.

(١) جـ ٢٤٤/٢٤٤/٣١٣-٢٠٠-٢٠١/٢٠١/٣١١-٤١٠-٤١١/٤١١-٤٦١/٤٦٢-٨٥/٨٥-٦٦/٦٦-٦٩.

(٢) جـ ٧٣/٧٤-٨١/٨٢-١٩٩/٧٤-١٧٨/١٥٩-٢٠١-١٨٠.

ويأتى عيسى قبل موسى فى الأهمية. استأنف المسيح من الشجرة ونهى قومه. وضرب المثل بالحنطة والزوان على الرعاع والعوام وقتلة الأنبياء والمرسلين، روح الله وكلمته الى مريم، أبوة علوية وليست بشرية. أعطى الحواريين القوة، وصبرت الآيات والمعجزات على يديه مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل ومبشرا برسول من بعده اسمه أحمد. لذلك قال من لم يولد الولاد ويكن لم ير ملكوت السموات. فلنفس ولادتان، واحدة للجسم والأخرى للروح كما فعل آدم. وقد حرف أتباع المسيح كلامه، ويواجهه الله يوم القيامة به بعد أن كذبوا عليه، ولم يقل المسيح الا الصدق. كانت الدورة الخامسة فى عيسى المسيح يسوع مؤيدا بروح القدس. تكلم فى المهدي. وكان كالمضغة بمعنى مضغة الشرائع وعصارتها وليابها حتى صار غذاء لمن اتبعه. كانت دعوته شبيهة بدعوة آدم فى ضرب الامثال كان ضعيف الجسم مثل المضغة. أراد اليهود افسادها ولكن الله حماه<sup>(١)</sup>.

وقد أخذ موسى من البقعة والوديعة المستورة، وتابوت السكينة من شجرة آدم. وكذلك أخذ منها آل هارون الى مستحقه من ولد إسماعيل الى خاتم الرسل، وهى الشجرة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء، تؤتى أكلها باذن ربها. وقد أمر الله الشجرة بالتوبة. كما قرب اليه موسى وراجت الشياطين تحت امرأة فرعون. جاء موسى وأخاه هارون الى فرعون حاملا للجنين كواسطة بين القوة والفعل. قبل موسى المولود بالقوة وبعد موسى المولود بالفعل، وشريعة موسى مثل المربية للولد. اصطفاه الله لنفسه كما خلق آدم بيده. النهاية مثل البداية، النشأة الأولى مثل النشأة الثانية<sup>(٢)</sup>.

ثم جاء القرآن الثالث فى ابراهيم. وأوحى الله له بتطهير بيته للطائفين والعاكفين. فأولوا العزم يمثلون مراحل سبع: آدم ونوح وابراهيم. وموسى وعيسى ومحمد ثم الفاتح. كان ابراهيم مثل العلقمة المتعلقة بأمور الأصليين الفرعيين، إسماعيل واسحق. ووضع إسماعيل القواعد. وقد رفع ابراهيم رأسه الى السماء لمشاهدة الملكوت الأعلى. ورأى ابراهيم ملكوت السموات، وفدى إسماعيل بالذبح المستخرج من الجنة<sup>(٣)</sup>.

ثم عمل الجن تحت أمر سليمان، وأيد الله داود وسليمان بالملائكة. وغلب جالوت، والآن له الحديد. ويمثل ما أوحى به موسى أوحى به أحمد فى المقام المحمود. ثم رفع الله إدريس مكانا عليا، وأنقذ روح ذريته. ويبرز نوح المؤمن فى مواجهة قومه الذين كفروا به،

(١) جـ ٥/١٧٠/٤٥٤/٤٣٢/٤٤٦-٤٤٨/٥١٥/٤٠٩/٥٢١-٥٢٢.

(٢) جـ ٥/٨٦/١٧٧/٤٠٩/٥٢١-٥٢٢.

(٣) جـ ٥/٥٢٠-٥٢١/٥١٦/٢٤٤-٢٤٥.

وانتهموه بالجدل وهو يحاول إقناعهم. وقام نوح بالأمر والنهي الجديد الثانى فى وقت القرآن الثانى. فالأنبياء علامات على مراحل التاريخ، بيولوجيا الوحى وذرية الأنبياء. ويمثل نوح النطفة التى فى قرار مكين متمكنة فى أصلها ثابتة فى فرعها قائمة بصورتها فى القوة النبوية التى تناسلت منها الذرية الطاهرة من عقب نوح ممن كان فى سفينته<sup>(١)</sup>.

وتذكر ألفاظ الاسلام والمسلمين عدة مرات<sup>(٢)</sup>. الاسلام دين واحد منذ آدم حتى محمد. وقد أخبر الله موسى فى مناجاته له أنه على دين الاسلام. وكان ابراهيم على ملة الاسلام. وهو الذى سمي أمته بالمسلمين. يرتبطون بعروة الاسلام، الاسلام ملتهم، يجعلهم متوادين متراحمين بينهم. وهو مقابل الجاهلية. وتدعى الجاهلية أن محمد قد عمل فى الناس السحر ليحولهم من الجاهلية الى الاسلام. وهو نفس البيت الذى كان فى الجاهلية والاسلام الذى ظهر فيه العلم والنبوة والآيات والمعجزات. وكان رؤساء المناقضين فى الجاهلية هم رؤساء المناقضين فى الاسلام<sup>(٣)</sup>.

والاسلام دين وسنة وهداية. وهو فى نفس الوقت حرب وقتال واستشهاد. فقد استشهد الحسين بكرىلاء فافتضح الاسلام. وهناك من يدخل بلاد الروم لاستنقاذ أسارى المسلمين. والاسلام شريعة أعياد، وأركان خمس، الاسلام أو الجزية أو القتال. وفرض فيه قول ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ فى كل يوم وليلة سبع عشرة مرة. وهناك خلفاء للرسول فى سائر بلدان المسلمين لجباية الخراج وأخذ الأعشار والجزية. فلا بد للمسلمين من قيم بها فى ظاهر أمور الدنيا. يرجع فقهاء المسلمين وعلمائهم اليه فيما يعرض لهم من خلاف. ودور الفقهاء والحكام والقضاة والعلماء وأهل العقل والرأى دور واحد وهو المشورة على الحكام. فالدين لازم للسياسة، والشريعة ضرورة للملك. يجتمعون للفتيا بين العتق والتخلى والبيع والتخفيف والاحسان وهى أحكام الشريعة بالنسبة للحيوان. وقد يجتهد الفقهاء ويتفقه العلماء طلبا للدنيا. وقد يظلم القضاة فليسوا كلهم عدول. ومن بين الجن يكون قضاتها. وقد يكون الملك هو القاضى. وقد يختلفان. فالقضاة خلفاء الأنبياء، والملك حارس الدين<sup>(٤)</sup>.

(١) جـ ٤٤٦/١٩٧/٤٤٦/٥٠٨.

(٢) الاسلام (٩)، دين الاسلام (٥)، عروة الاسلام، شريعة الاسلام، الشريعة الاسلامية، علماء الاسلام (١)، المسلمون (٣)، زى المسلمين، أسارى المسلمين، طوائف المسلمين، فقهاء المسلمين، أحكام المسلمين (١).

(٣) جـ ١٢٦/١٧/٤١٥-٣١٤/١٩٥/١٧١/٣٧٨.

(٤) جـ ٢٧٨/٣٦٨/٢٦٩/٤ جـ ١٦٣/٣ جـ ٢٦٩/٤ جـ ٣٨٠/٢١٨/١٦٧/٢٦٧/٤ جـ ٥٢٥/٤ جـ ٤٩٣/٤ جـ ٢ /

٢٣٤-٢٣٥/٢٧٥/٢٢٤/٢٤٣/٢٠٩/٣٦٠/٢٩٩/٢٣٦-٢٣٤



للاضهاد، والدين وسيلة للثورة. والكل الى رسول الله منتسب، وكلاهما يعتمد على الكتاب والسنة. لذلك كانت الاختلافات فى الدين هى فى الحقيقة تعبيراً عن تباين المصالح. ووحدة الدين لا تعنى وحدة المصلحة. الدين سلاح ذو حدين يقوم بوظيفتين متباينتين بل ومتعارضتين طبقاً للتكوين الطبقي للمجتمع. وتغلب على الخطب الاستشهاديات القرآنية. والأساليب القرآنية بل والتوجهات القرآنية مثل إدراك الطبيعة حكمة التمايز والاختلاف فى أسلوب إنشائي خطابي أشبه بخطب المساجد أيام الجمع والأعياد، يصل أحياناً الى الحد السجع الركيك. وتنتج كلها نحو الاشرافيات. والاشارات الالهية والتصوف والوجدانيات دون فكر أو اشكال ودون تحليل لقضايا الواقع وأوضاعه الاجتماعية، تقوم على التصور الهرمي للعالم وقسمته الى أعلى وأدنى، علة أولى وعلل ثانية، مع بعض الأدعية والأدعية المضادة طبقاً لتعارض المصالح. والدرس المستفاد هو أن القوة ليست فى الحكم ولا فى الجسم بل فى العقل. وبالتالي يكون السؤال هل العقل أداة للتبرير أم للتغيير، للقهر أم للتحرر<sup>(١)</sup>؟

٤- آليات العرض النسقي الشعبي. يتضح فى "رسائل" إخوان الصفا وفى الرسالة "الجامعة"، وفى "جامعة الجامعة" نماذج كل شيء مع كل شيء، الدين، والفلسفة، والعلم، واللغة، والكون، والطبيعة، والتاريخ، والانسان، والأعداد، والأفلاك، فى موسوعة شاملة تعطى صورة وافية عن حالة الثقافة القديمة فى النصف الثانى من القرن الثالث، بعد الكندي وقبل الفارابي<sup>(٢)</sup>. فالعرض النسقي الشعبي تاريخياً عند إخوان الصفا سابق على العرض النسقي المنطقي عند ابن سينا فى النصف الأول من القرن الرابع. وهو تطور طبيعي من الثقافة العامة الى ثقافة النخبة، من فلسفة العامة الى فلسفة الخاصة، ولكن بنويها يمثل العرض الشعبي انهيار العرض المنطقي. ويمكن تطابق التاريخ مع البنية من العرض النسقي الشعبي فى النصف الثانى من القرن الثالث (إخوان الصفا) الى العرض الجزئى والكلى (الكندي، الرازى، الفارابي) فى القرن الثالث والنصف الأول من القرن الرابع (إخوان الصفا) الى العرض النسقي المنطقي فى النصف الأول من القرن الرابع (ابن سينا).

وأسباب تأليف "الرسائل" ثلاثة: الأول تبيد الأخطاء العلمية الشائعة والتي تجد تبريرات لها فى سوء تأويل القرآن والذي لا يقوم على اللغة العربية والمعانى الاشتقاقية للأسماء. وهو سبب يتعلق بالموروث. والثانى التحول من النقل الى الإبداع ووضع الثقافة الوافدة داخل الثقافة الموروثة بعد أن أصبح الوافد موروثاً شعبياً ثانياً يجاور الموروث

(١) جـ ٢٧٨/٢٧٦/٨/٢٠٦-٢٠٧/٢٤٧/٢٦٦-٢٦٨/١٧١/٢٧٧-٢٧٨/٢٣٩/٢٧١/٢٠٧/٢٣٧/٢٤٧-

٢٤٨/٢٥٥/٢٥٨/٢٦١-٢٦٢/٢٦٦/٢٦٨-٢٦٩/٢٧٦/٢٧١.

(٢) تعتبر أول موسوعة فى الحضارات القديمة قبل موسوعات الحضارة الغربية وسيطا وحديثا.

الأصلى ويزاحمه فى قسمة نسقية رباعية جديدة بعد اختصارها وضم العروض الجزئية والكلية، وتوضيح ما غمض منها بسبب نقلها من لغة الى لغة فى عصر الترجمة<sup>(١)</sup>. والثالث تركية العقول وتبنيه النفوس وإعطاء دائرة معارف من كل علم.

ومع ذلك اختلفت الرسائل فيما بينها كما. وطال بعضها الى حد الاسهاب. وأحيانا تكون الفقرات الرابطة طويلة للغاية تعبر عن مسار الفكر كله. كما قد تصل الدعوة للقارىء الى صفحات بأكملها داخلية فى تحليل الموضوع ذاته. وقد تغطي أحيانا على عناوين بعض الرسائل. قد تطول مقدمات بعض الرسائل على طريقة الكندى فى رسالته الى المعتصم بالله فى الفلسفة الأولى. وقد تكون فى البداية أو فى الوسط أو فى نهاية الرسالة.

وهناك فقرات تبين أن الرسائل كانت مكتوبة من قبل، ربما من مصادر مجهولة أو معلومة، وربما من صياغات سابقة<sup>(٢)</sup>. توحى بعض العبارات بان الرسائل كانت مكتوبة كمجموعة من الأفكار ثم وزعت حسب كل رسالة على حدة دون تأليف كل منها تأليفا مستقلا<sup>(٣)</sup>. ويظل موطن الابداع هو وجود الوحي التاريخى فى الوعى الجماعى فى تفاعل مع الواقع السياسى والاجتماعى، تفاعل الثقافة والسياسة، الماضى والحاضر، الدين والثورة. ويبدو ذلك فى شرح معنى قول الحكماء الانسان عالم صغير، واحتوائه داخل الموروث فى ثقافة ابداعية جديدة حتى وإن لم يتم التزاوج العضوى بينهما كما تم بعد ذلك فى العرض النسقى. هناك إحساس بابداع جديد وليس تكرار القديم، بداية الدمج العضوى بين الوافد والموروث، بين علوم الوسائل وعلوم الغايات.

ويغلب على الرسائل كلها طابع الاشراف وهو طابع الدين الشعبى، ترك الدنيا والتوجه الى الآخرة واحترام الأئمة. وقد تتحول الاشرفيات الى بكائيات نعيًا للعصر وترحما على الماضى كما هو الحال فى بعض الجماعات الاسلامية المعاصرة. ويستعمل الاخوان لغة الرمز والاشارة كما هو الحال فى كل النزعات الصوفية يتم به التعبير عن مذهب متسق بأسلوب شعبى، الأساطير والخرافات والحكايات والقصص على لسان الحيوانات<sup>(٤)</sup>. ويتدخل

---

(١) ولقد تكلم فى هذه الاثنياء من قبلنا الحكماء الأولون وبنوها فى الكتب وهى موجودة فى أيدي الناس ولكن من أجل أنهم طولوا فيها الخطب ونقلوها من لغة الى لغة أغلق على الناظرين فى تلك الكتب فهم معانيها وضاعت فى الباحثين معرفة حقائقها. من أجل هذه عملنا هذه الرسائل وأوجزنا القول. فيها شبه المنخل والمقدمات لكيما يقرب على المتعلمين فهمها ويسهل على المبتدئين النظر فيها جـ ٢٠/١/٢ على قدر الطاقة، جـ ٢١٧/٤.

(٢) وتلك أهمية الدراسات الاستشراقية الحفرية.

(٣) "ويعد هذه زيادة لم توجد فى سائر النسخ ولعلها أزيبت من رسائل مقدمة" جـ ٢٢١/٣.

(٤) "من أجل أن مذهب اخواننا" جـ ١٥٨/١

الأسلوب القرآنى الحر مع النثر الفنى لتقوية الأسلوب مع الأدعية والتوصيات. والذي قد يصل أحيانا الى حد السجع السطحى والأدب الركيك فى العصر العثمانى المتأخر.

ومن أهم ما يميز أسلوب الرسائل مخاطبة القارئ كما هو الحال فى التراث الشعبى. فالمستمع جزء من المقرئ والمغنى والخطيب فى كل الثقافات التقليدية<sup>(١)</sup>. فهناك مشروع مشترك بين المؤلف والقارئ. مشروع فكرى ثقافى حضارى سياسى تاريخى واحد، طالبا تأييده بالروح وان لم يكن بالمصلحة، الداعى والمدعو، الشيخ والمريد، والمشاركة معه فى التحقق من صدق الأقوال. فالكاتب خبير من يعبر عن إحساسات القارئ ووضعه المأزوم. وهو أسلوب قرآنى فى مخاطبة الرسول والمؤمنين بحروف النداء وألفاظ القول وبضمانر المخاطب المفرد والجمع. والغاية منه تجنيد الناس للانخراط فى سلم الاخوان اعتمادا على فلسفة الانذار وشفاعة الاخوان، باعتبارها حركة سرية واستراجهم. فالنص نداء الى العمل، وتوجه نحو سلوك القارئ ابتداء من فهمه، لا فرق بين مخاطبة النفس "أعانا الله" ومخاطبة الآخر "وياك أيها الاخ" نظرا للتوحد بين الأنا والآخر، بين الكاتب والقارئ. وأحيانا يكون الخطاب ناقدا للناس كما يفعل الخطيب المعاصر لاعطائهم الاحساس بالذنب وطلب التوبة والمغفرة بالانخراط فى سلك الاخوان. وبطالبه الخطاب بالتأمل فى الطبيعة وفى النفس، فى الآفاق وفى الأنفس، فى الخارج وفى الداخل حتى يتحقق المستمع من صدق القائل.

ويبدأ الخطاب بصيغ النداء المختلفة بحروف النداء أو بدونها والتوجه الى القارئ مباشرة بضمانر المخاطب. وقد سبق حروف النداء ضمانر المخاطب المنفصلة مثل "أنت"، "انتم" أو بصيغ نداء الذات فردا أو جماعة مثل "ها"، "هلم" دون فعل "أنت أيها الاخ" أو بفعل أمر "كن أيها الاخ" أو بحرف جر "فعلبك أيها الاخ" أو بفعل الشرط فى الماضى "إذا كنت أيها الاخ" أو بفعل الأمر المخاطب. "فكن أيها الاخ"<sup>(٢)</sup>. وقد تكون أفعال الأمر أفعال التحذير والدعوة الى الانتباه والاستعاذة بالله من الشر والغفلة والتأمل والتفكر والنظر، والدعوة الى العلم والاعتقاد وأداء الواجب<sup>(٣)</sup>. وقد تأتى هذه الأفعال فى صيغة الأمر مباشرة دون حرف

(١) ويتضح ذلك فى خطب الزعماء الامريكيين الأفريقيين أمام جماهيرهم فيما يتعلق بالحقوق المدنية.

(٢) من أمثال هذه الصيغ هلم بنا أيها الاخ جـ٤/١٨/١٩/١٣٧ ١٣٧/١٣٤/١٩/١٨/٤ فكن أيها الاخ جـ١/٢٧٤-٢٧٥ جـ٤/٥٢٨ أنت أيها الاخ جـ٢/٥٦٠-٤٦٣ جـ٣/١٢٠/٣/٧٨.

(٣) أعينك أيها الاخ جـ٤/٤٥٠ فابشروا، فافتدوا بهم جـ٤/٤٣ جـ٤/١٨٨/٥١/١٧١/٢ وأعينك جـ٣/٣١٦ جـ١/٢٦٠ فانتبه أيها الاخ جـ٤/٤٤٥/٤٠ جـ٣/٢٦٧-٢٦٨/١٩٨ جـ٣/٣٢٢-٣٣ جـ٢/٤٥٥ فاحذر جـ٣/١٦٠ فاحرص جـ٤/٢١١ نبيك الله جـ٤/٤٤٩-٤٥٠ فتأمل أيها الاخ جـ٣/١٧٨، فتفكر جـ٣/١٦٨-١٦٧ فاذا تفكرت جـ٣/١٥٦ فانظروا أيها الاخوان جـ٤/٤٧ فاعلم أيها الاخ -



له وللاخوان التأييد بروح الله. ثم تصغر الصيغة باسقاط صفتي البر والرحمة أو الدعوة أوتتغير من البار الرحيم الى البار الحكيم أو الى البار وحده<sup>(١)</sup>. وتكثر الدعوات للقارىء بالتوفيق والتأييد من الله في صيغة "أيدك الله"، "وفك الله". فالقارىء جزء من خطاب المؤلف، يشارك معه في مدلول الخطاب كما يفعل القرآن. وتكون الدعوة والعياذ بالله من الأشرار، وهى دعوة للمتكلم والسامع للمؤلف والقارىء فى آن واحد. ويتم مخاطبة القارىء بأدب جم ويتعاطف شديد وباحترام كامل لرأيه وبدعوته الى الاجتهاد والنظر والتفكر والتأمل والفهم والتفقد والانتباه والمعرفة والاعتبار والصبر على العلم حتى ينكشف فى النفس. كما يحترم اعتراضه. فلا إجبار أو قهر<sup>(٢)</sup>. وأحياناً يكون الفعل فى صيغة الماضى مثل "علمنا" أو فى صيغة المضارع "تعلم"<sup>(٣)</sup>.

وتظهر أفعال القول مما يدل على شيوعها فى التأليف بصرف النظر عن الواقد فى الاستعمال الشهير الذى أخذ أكثر من حجمه وهو "قال أرسطو" والذى أصبح فى الاستسراق شعاراً للتبعية الحضارية. وتكثر فى رسالة "الحدود والرسوم" فى تعريف المصطلحات بأسلوب "إن قيل .. يقال". وهناك صيغ أخرى عدة كلها تبدأ "فإن قيل"، وجواب الشرط مرة فعل أمر "قل"، ومرة مبنى للمجهول "يقال". وكذلك تستعمل صيغة "تقول" مما يدل على أن المتحدث هو الوعى الجمعى وليس الآخر. وقد تستعمل صيغة "قال" مفرداً أو "قالوا" جمعاً وصيغة "تقول" هى الأكثر انتشاراً وليس القائل أرسطو أو اليونان بل هى عادة عربية فى أسلوب العرض استعملها القرآن فى صيغة "قل". وظهر فى أسلوب التأليف فى العلوم الاسلامية للرد على الاعتراضات مسبقاً من أجل صياغة خطاب محكم شامل. "إن قيل" فعل الشرط، "قل" جواب الشرط<sup>(٤)</sup>. لا تعبر أفعال القول عن التبعية للأخر بل على التحول من النقل الى الابداع. وقد يكون القائل "بعضهم"، غير محدد مع النشاء عليه "تعم ما قيل". وقد تكون الصياغة فعلية أو إسمية<sup>(٥)</sup>.

(١) أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيئانا بروح منه (٤٠)، أيها الأخ البار الرحيم(١١) جـ٤/١٩/٥٣٨ جـ١/٤٨/٢٦٠ جـ٢/١٧١/٤٤٥ أيها الأخ أيدك الله (١)، أيها الأخ البار الحكيم(١)، أيها الأخ البار الرحيم وجميع اخواننا (١)، أيها الاخوان الأبرار الرحماء جـ٤/٤٧.

(٢) جـ٣/٣٢٠ جـ٤/١٨٧-١٨٩/١٩١ جـ٣/٣٠٣. (٣) اعلم(١٢٥٠٩)، اعلموا(١١) انتبه(١٠)، انظروا(٥)، اجتهد(٤)، تفكر (٢) تفقد، إصبر، اعتبر(١) علمنا، فهنما، اخترنا(١).

(٤) تقول (٢٢٠)، قيل، يقال(١٤٠)، قال(٣٠)، قوله(٨)، أقول(٩)، قالوا(٥)، فإن قيل، فإذا قيل، قل (١) جـ١/٢٠٠-٢٠١/٢١١/٢١٧/٢٢٧.

(٥) أفعال الماضى(٣٤) جـ٤/٦٤ جـ٢/٨٧-٨٨/٣٩٧ جـ٤/٨٣ جـ٢/٤٠٥ جـ٣/٣٣٨/أفعال الحاضر(١٢). جـ٣/٣٧٨/٣٢٢ جـ٤/٣٢٢/٤٥٥/٤٥٠ جـ١/٢٩٨/٣٠٥/أفعال المستقبل (٢٥) جـ٤/٤٥٠ جـ٣/٢٩٨/٣٢٥/١١٤/٩٨/٩٦/٨٨ جـ٤/٤٣٢/٤٥٠/٤٥٠ جـ١/٢٩٨.

وتستعمل ألفاظ البيان والتبيين لشرح الفكر وكأن الخطاب نظرية في البيان والايضاح. ويكون البيان في الماضى والحاضر والمستقبل كأفعال ثلاثة متلاحقة "كما بينا"، "كما نبين"، كما سنبين. وأحيانا يتم البيان في فعلين فقط، الماضى والحاضر، الماضى والمستقبل أو الحاضر والمستقبل. ويكون مع ضمير المتكلم الجمع أو بدونه عندما يتبين الشيء بنفسه. وقد تسبق الإرادة فعل البيان "أردنا أن نبين" للدلالة على أن التبيين فعل شعورى. وقد يضاف ضمير يعود الى الشيء المطلوب بيانه. وقد يكون البيان سلبا أى ما لم يتبين. وقد يكون فعلا أو اسما. والبيان فعل وجوب، إخراجا للفكر من دائرة الغموض الى الوضوح<sup>(١)</sup>.

وهناك بؤرة للفكر ومحور رئيسى فيه تعود اليه الرسائل باستمرار وتمنع من الاستطراد والشرح خارج الموضوع. فبعض الموضوعات تحتاج الى إسهاب فى الشرح ويحال الى كتب أخرى مثل كتب القرانات وأدوار الألف أو كتب أحكام التحاويل أو كتب الموالييد أو كتب التشريح. يطول شرح الموضوعات مثل العظام، والأقوال المجملة، والعلل<sup>(٢)</sup>. وهناك ترتيب للشرح، ما يتم شرحه أولا أو آخره. وأحيانا يضم فعل البيان مع فعل الشرح تأكيدا على أن البيان شرح، وأن الشرح بيان، وأنه شرح موجز مخافة التظويل.

وتظهر أفعال أخرى تحيل الكل الى الجزء، وترد أول الكلام الى آخره وآخره الى أوله مثل "فلنرجع"، "أفردنا"، "أشربنا"، "فسرنا"، "مثلنا"، "وصفنا" فى صيغة الماضى، أو فى صيغة الأمر "فلنرجع"، "فليعتبر". ويحال الجزء الى الكل إما إلى رسائل من الداخل أو الى مصادر فى الخارج. وقد تكررت صيغ فعل "ذكر" ومئات المرات مما يدل على وحدة الموضوع. فالذكر حاجة شعورية ورغبة وإرادة من أجل بيان بداية الموضوع ووسطه ونهايته. لذلك تظهر تعبيرات "احتجنا أن نذكر"، "نحتاج أن نذكر"، "تريد أن نذكر"، "وجب أن نذكر"، فى الماضى لتذكير ما فات أو فى صيغة المبني للمجهول. وقد يكون الفعل فى المضارع لبيان استمرار الشرح أو فى صيغة إسمية "كما هو مذكور"<sup>(٣)</sup>. وقد يحال الجزء الى الكل، رسالة الى باقى الرسائل وأكثرها الى المبادئ العقلية<sup>(٤)</sup>. وتبين هذه الاحالات القصد

(١) كما بينا (٢٠٠)، قد بينا (٨٠)، بيان (١٢) نريد أن نبين (٨) احتجنا أن نبين (٣)، لم نبين (١).

(٢) ٨/٣ جـ ٢٦٦/٣٢٨/١ جـ ٣٣٠/٤٤٥/٤٣٩-٤٣٨/١٢٢/٢ جـ ٤٥٤/٤٥٢-٤٥١/٢ جـ ٢٧٢/٣ جـ ٤٦٥ جـ ٣٢٦/٣٧/٣ جـ ٢٩٩/١ جـ ١٠٧/٣ جـ ٦٩/٤٣٣/٢.

(٣) وقد نكرنا (٣٥) كما نكرنا، نريد أن نذكر، نذكر منها (١٠)، كما ذكر (٨)، التى تقدم ذكرها (٧)، ما يأتى ذكره، تركنا نكرها، كما هو مذكور (٦)، واذا قد نكرنا، وكل نكرنا (٥)، نحتاج أن نذكر (٤)، على ما نكرنا (٣)، مثل ما نكرنا (٢)، الذى نكرنا، وذكرنا، وانما ذكرت، ذكرت، وقد نكر كما بينا نكرها، فلتنذكر (١).

(٤) المبادئ العقلية (٢٨)، الحاس والمحسوس (٢٥)، البعث والقيامة (٢٠)، الحيوانات، السماء والعالم، الهوى والصورة (٢٧)، الطلسمات والسحر والعزائم، الأفعال الروحانية، الموسيقى (١٥)، الانسان عالم صغير، أحكام النجوم (١٤)، تركيب الجسد (١٣)، المعادن (١١)، الأكوار والادوار، الكون والقياسد (١٠)، الصنائع العملية (٩)، مسقط النطقة، خصال المؤمنين، العلل والمعلولات (٨)، العقل والمعقول، الأفعال الروحانية (٧)، =

الكلية والمنظور النسقى بالرغم من نقد السجستاني للاخوان. والغرض من الاحالة عدم التكرار من أجل التركيز على الجديد والتحول من النقل الى الابداع.

وتخضع الرسائل لترتيب منطقي متسلسل، البداية بالعدد لأنه أول العلوم، والعدد مقدمة للحكمة التي تسمى الفلسفة. وأحيانا لا تذكر اسم الرسائل بل رقمها مثل الرسالة الأولى أو الثانية مما يدل على ترتيبها الذهني. وتذكر عدة رسائل في نفس الموضوع مما يدل على خضوع الرسائل لموضوعاتها. وقد تكون الاحالة استرجاعا واستدراكا على ما سبق تلخيصه لربط السابق باللاحق، إحالة مستمرة الى الذات من أجل بيان وحدة المنظور وليس نرجسية أو انكارا لدور الآخرين<sup>(١)</sup>.

وتدل بعض الأفعال على المسار الفكري، في أول الفقرات أو في وسطها أو في نهايتها وهي أفعال الذكر والبيان والشرح والتعليل والقصد مما يدل على أفعال الشعور وراء عمليات التحول من النقل الى الابداع. فالفكر مسار وقصد وغاية مع دفع تهم سوء النية ولعب الصبيان وتخريف الاخوان<sup>(٢)</sup>. ويتم الحديث عن المسار السابق والاحالة الى شرح طويل ثم يتكرر في شرح صغير ليقرب للمتعلمين فهمها بداية بشرح الألفاظ<sup>(٣)</sup>. وقد يذكر الأصل ثم تأتي الفروع. كما يبدو مسار الفكر في فعل الشرط وجواب الشرط. والدليل أحد طرق البرهان. لذلك تكثر الصيغ الاسمية للفظ الدليل<sup>(٤)</sup>. وقد يستعمل التعليل من أجل بيان مسار الفكر، فالفكر يصف موضوعا في العالم<sup>(٥)</sup>.

= رسالة الهندسة(٦)، خواص العدد، الناموس، الأخلاق(٥)، الآراء والمذاهب، جغرافيا الأرض(٤)، الآلام والذات، نشأة النفوس الجزئية، الارتماطيقى (٣)، الاخلاق الزجر والعزلة، الحركات، اختلاف اللغات، كراهية الحيوان للموت(٢)، الجومطريا، الأسطرونوميا، شرح المقولات العشر، تأثير النجوم في المواليد، الصفات والموضوعات، التعليم، المبادئ والجزئيات، الدعوة الى الله، سياسة النبوة والملك(١). وهناك بعض الاحالات الى الترجمات الارسطية دون ذكر اسمه مثل سمع الكيان، وبالإسم المعرب.

(١) جـ ٢٠٣/١ جـ ٣٢٩/٣ جـ ٤٠٢/٤ جـ ٤٦٠/٢ جـ ١٤/٤ جـ ٢٩٢/٣ جـ ٢٩٢/٣ جـ ٤٢٠/٤ جـ ٤٢٣/٤ جـ ٨٢/٤١٦ جـ ٣٢٩/٣ جـ ٤٠٣/٤ جـ ٤٥١/٤٠٤ جـ ٩٥/٣.

(٢) جـ ٣١٨/٢٦٩/١ كما ذكر أولا جـ ١١١/٣ وقد ذكر جـ ٣٩٤/١ واذ قد نكرنا جـ ٣٩٨/١ واذ قد فرغنا من جـ ٤٠١/١ قد فرغنا جـ ٥٣/٢، نذكر منها جـ ٨٢/٣ فنذكر جـ ٢٣١/٣ نريد أن نذكر جـ ٢٥/٢.

(٣) لما كان .. علمنا .. جـ ٢٧١/٢٥٣/٤ جـ ٣٩٠/١ جـ ٤٨٠/٤ جـ ٢٩٩/١ جـ ٣٠٤/٣٠٥ جـ ٢١٠/٤ جـ ٢٦٧/٤٤٥/٢٦٧ جـ ٢١٧/٤٦٧/٤٤٥/٢٦٧.

(٤) مثل ومن الدليل (٥)، والدليل على ذلك (٣) والدليل أن (٢) وإذا أقمنا الدليل. وكل هذه دلالة، والدليل على ما قلنا، دليل آخر، وكفى بهذا دليلا(١).

(٥) فمن أجل هذا جـ ١٤/٤/٦/٢ ذكر العال جـ ٤١٦/٢ جـ ٤٨٠/٤ جـ ٢٩٩/١ جـ ٣٠٤/٣٠٥ جـ ٢١٠/٤.

